الدكتور عصمت سيف الدولة

حوار مع الشباب العربي



دار المسيرة

حوار مع
الشباب العربي

د. عصمت سيف الدولة

حوار مع الشباب العربي



دار المسيرة
بيروت

الطبعة الاولى : بيروت ١٩٧٨ م

اهداء

هذا حوار جرى على صفحات مجلة « الشورى » فيما بين شهري مايو (ايار) ١٩٧٤ وسبتمبر (ايلول) ١٩٧٥ تحت عنوان « على السفود » ... بتوقيع « ابوذر » .. اهديه الى الجيل الجديد من الشباب العربي الذي كنت اعنيه وحده بما كتبت واخاطبه وحده وانا اتحدث الى الاخرين ...

عصمت سيف الدولة

القاهرة في ٤ فبراير (شباط) ١٩٧٨

١

تعارف

في مكان ما من الوطن العربي جاءني العـدد الاول من « الشورى » · جاءني محمولا على رأس حمـار · لم ار الحمار · لكن لا بد ان حمارا ما قد حمله على رأسه بـين اذنيه مرحلة من الطريق بين طرابلس وبين المكان الذي انـا فيه · كيف تصل « الشورى » بعد شهر كامل من يوم صدورها الا اذا كان قد عوقها رأس غبي ؟· بعدا للحمير عن طريـق الفكر القومي ·

ملحوظة : اضيفوا كلمة التقدمي الى شعـار المجلة · ليس كل فكر قومي يستحق النشر · نستمر · العدد الثاني جاء محمولا مع رسالة صديق · مطلوب ، من اجل عيون الامة العربية ، ان اكتب في « الشورى » · تكرم الامة العربية اما الكتابة فلا · لماذا هربت اذن الى مكان ما من الوطـن العربي · كرهت الكتابة لاني كرهت الكتاب · كرهت مـن بين الكتاب كافة القوميين · اولئك الذين يتغزلون في عيون الامة العربية، امة جريحة تنزف، تنهشها الذئاب ، تلعـق دماءها الكلاب ، تستغيث · لا تسمع من ابنائها الا كلمات

الغزل · مقرف · شيء مقرف · لهذا اكره الكتاب القوميين · اكره ترجمة مأساة امتي الى كلمات مرصوصة بدلا من ثورة عارمة · قاطعت الكتابة قاطعت الكتب · قاطعت الكاتب · دعوت الله من كل قلبي الا يحشرني مع الكتاب القوميين ولو في جنات النعيم · اني افضل جهنم · هناك ساتسلى – على الاقل – برؤية اعداء الامة العربية وهم يلقون جزاء ما اجرموا · ساكون مشغولا عن جهنمي بمتعة الانتقام في الاخرة ممن حرمونا دولة الوحدة في الدنيا · انعزلت انتظر الانتقام الممتع ·

جاءتني رسالة مع العدد الثاني من مجلة « الشورى » تطلب الى ان ادخل الجنة على صفحاتها · المدخل هو النهي عن المنكر· صدق الله العظيم · ليس ثمة منكر اشد ما يدور الان في الوطن العربي · لا تخشى شيئا · لن تجد في الجنة احدا من الكتاب القوميين · انت تظن انهم سيدخلون الجنة لانهم من « اليتامى المساكين وابناء السبيل » في ·· وطنهم !! بعض الظن اثم · وظنك من البعض الاثم · تعالى الله علوا كبيرا · اكتب في « الشورى » ولا تخف فان الله قد حدد مصيرهم في جهنم باية صريحة · في الجنة قد تقابل ذلك الرجل الذي تمنيت دائما لو كان عربيا ·

لينين ·

كانوا نفرا لا يزيدون عن اصابع اليدين عددا · يتحاورون ·اختلفوا · انشقوا · اغلبية (بلشفيك) · واقلية (منشفيك) · لماذا انشقوا ؟ ·· ماذا كان الموضوع ؟ ·· انهم يواجهون دولة القياصرة · هيل وهيلمان · وجند بالملايين وشرطة عاتية · سجون ومشانق · وحلفاء كثير من اوروبا · يريدون ان يسقطوها وهم نفر لا يزيدون عن

اصابع اليدين عددا · لم يختلفوا ولم ينشقوا حول « كيف » يسقطون دولة القياصرة · كانوا اكبر من هذا · كانوا ثوريين حقا · الثوريون حقا لا يتهيبون قوى الاعـــداء · اعتبروا اسقــاط القيصرية بكل هيلها وهيلمانهــا وجندهــا وشرطتها وحلفائها ·· مسألة مفروغا منها · مسلمة · يقال مسلمــة ولا يقال « مسلم بها » · قياسا على ثوريتهم الصلبة كــان اسقاط دولة القياصرة قضاء نهائيا على من يستحق السقوط · لانقض ولا ابرام · لا خوف لا تـــردد لا تعقل لا حكمة لا واقعية ولا يحزنون · تحاوروا واختلفوا فانشقوا لانهم لــم يتفقوا على ما يفعلون بالدولة بعد اسقاط القيصرية · ثـــم انفضوا مختلفين · وبعد بضع سنين اسقط لينين ورفاقـــه دولة القياصرة · وبدأت المسيرة الظافرة · مائة وخمسون مليونا اقل حضارة وعلما من سكان اليمن السعيد اصبحوا اليوم ، بعد نصف قرن ينافسون على قمة البشر · ترى مــا الذي كان قد حدث لو كان لينين قد خاف او تردد او تعقل ·· اللهم اغفر لعبدك لينين الحاده وادخله الجنة حتى التقي فيها بثوري تمنيت دائما لو كان عربيا ·

اما القوميون ،

اليتامى المساكين ابنــــاء السبيل فالى جهنم · قبلوا اليتم والمسكنة والتشرد · قبلوا الظلم لم يقاوموه · ظلموا انفسهم · اعوذ بالله من الشيطان الرجيم · بسم الله الرحمن الرحيم : «ان الذين توفهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا »· صدق الله وعدل · انه ـ سبحانه ـ لا يحرض على الهجرة بل يتحدى بها مماحكـات الاذلاء · قبل الهجـرة المقاومة ·

بكل حيلة وكل سبيل . قال تعالى مكملا نذيره : « الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا » . لا عفو ولا مغفرة للقادرين على دفع الظلم ويظلمون انفسهم فيختارون ان يكونوا مستضعفين في الارض .

كل الاديان تعاقب الظالم . الاسلام وحده يعاقب المظلوم ايضا ، اذا لم يقاوم الظالمين . العزة للمؤمنين هذا قرار قرآني . اذن من ذل كفر وكل كافر في النار . اذن فيا ايها القوميون الذين قبلتم ان تكونوا يتامى ومساكين ومن ابناء السبيل في وطنكم العربي خوفا من اعداء امتكم ان مأواكم جهنم وساءت مصيرا .

لا اريد ان التقي بكم في سعيرها . سادافع عن الامة العربية . حيلتي الكتابة . سبيلي الكلمة . اللهم اغفر لي عجزي عن حمل السلاح فقد بلغت من العمر عتيا . ادافع ضد من ؟ .. ضد الذئاب ؟ .. ضد الكلاب ؟ .. لا . لن اعود الى صفوف المغنيين او الندابين . هذه المرة ليس ضد الذئاب او الكلاب . ضد الكتاب . ضد « الشورى » ومن يكتبون فيها . ان غنوا سأندب . ان ندبوا ساغنى . اريد افساد جوقتهم حتى تكف عن الغناء او البكاء . اريد ان يصمتوا . ان احملهم على بلع الكلمات . لعلهم ان يتحولوا من القول الى الفعل . لعل طاقاتهم التي يبددونها كلمات فاترة ان تتحول الى حركة ثائرة . ان تتحول الشورى الى منشور او منشار .

فيا ايها الذين تفرشون مصير الامة العربية كلمات منمقة على صفحات من الورق المصقول لقد جئتكم من مكان ما فخذوا حذركم . والله المستعان .

على السفود :

هذا عنوان دائم ·

قالوا ان الانسان حيوان ناطق · ربما · ليس دائما · يكون ناطقا حينما تكون الاصوات الخارجة من حنجرته قابلة للفهم · بعض الذين يكتبون في « الشورى » غير الناطقين ، مثال : قال مطاع صفدى في العدد الثاني من مجلة « الشورى » :

« ليست الامة العربية فعل الماضي في الحاضر · وذلك لان الماضي يفعل في الحاضر عندما يكون الماضي هو الحي والحاضر هو الميت » !! ··

يا سلام !!

وقال : « ان اعادة ادخال الشعب الركودي الى حلبة الحدث والفعل ، واستجابته للتفجير الكياني داخل قواه الكامنة وتشريكه في عملية التغيير الشمولية ، لا تتم عن طريق التأكيد على الروابط التقليدية في وحدته السكونية » ·

يا حفيظ !!

هذه اصوات عربيه · ليس هذا نطقا · يا اخ مطاع : ان اردت ان تطاع فاسأل المستطاع · ان اردت ان يفهمك احد فاكتب ما يمكن لاحد ان يفهمه · الشعب العربي لا تنقصه الالغاز · الغاز النصر والهزيمة تكفي وتزيد · اتحدى من يستطيع ان يجيب من الواقع العربي على السؤال : ما هو النصر وما هي الهزيمة وما الفرق بينهما ؟ ·· لا ·· ليس الانسان حيوانا ناطقا ·· دائما ·

الانسان ، دائما ، آكل لحم · صدقوني · كل الشعوب تاكل اللحم · تختلف في الجنس واللون والدين والنظم السياسية والاجتماعية وفي اللغة والادب والامزجة وفي قطر الجمجمة شكل قطاع الشعر وطول عظمة العضد ·· الى اخره ، ولكنها ، كلها ، تاكل اللحم · اللحم « سلعة » نصف مصنوعة · ليست مادة خام اولية · توضع المواد الاولية من النبات في جوف الماشية · تصب عليها عصارات معوية · تتفاعل كيمائيا · تتحول الى خلاصة من اللحم تختزنها الماشية في افخاذها واماكن اخرى وتطرد النفايات · نأخذ نحن اللحم ونكمل صنعه · نحوله الى سلعة استهلاكية · ننضجه على النار · نضع اللحم خروفا خروفا ، او قطعة قطعة ، او نتفة نتفة ، تبعا لكميات « النفط » الذي تنتجه كل دولة عربية على حدة · نضعه فوق النار محمولا على قضيب دقيق من الحديد · لنشويه · لننضجه ليصبح مفيدا · قضيب الحديد هذا اسمه « السفود » ·

هكذا اخترت العنوان ·

اول من استخدم السفود عنوانا المرحوم مصطفى صادق الرافعي · الف كتابا اسماه « على السفود » · خصصه لشوي المرحوم عباس محمود العقاد · رحمهما الله · كانا عملاقين · احدهما يعرفه الجيل العربي الجديد كان وراء العقاد حزب فعرف الشعب العقاد· وكان الرافعي فردا فرديا مفردا فضاع · الفردية ضياع حتى في الادب · الفعل الخالد هو ما تفعله الجماعة المنظمة · لو كان الرافعي من جماعة لكان كتابه « اعجاز القرآن » بعض ما يدرسه الجيل الجديد في المعاهد · اذن لعرف الرافعي عبقري اللغة العربية وصاحب اسرار عبقريتها · ولقرأ له الشباب « اوراق الورد » و

« رسائل الاحزان » . ابلغ وارق وانبل رسائل الحب في كل اللغات . كان يكتبها للاديبة مي زيادة . كان يحبهـا . لـم يرسلها اليها . لم تكن تحبــه لانه لم يكـن وجيهـا حتى في الوجاهة والحب يضيع الفرد الفـردي ولـو كـان متفـردا بالعبقرية .

لنعد الى السفود .

من اجل الا تضيع « الشورى » الوليدة يجب ان تكون منبرا جماعيا . العددان الاول والثاني فرديان . كتبتهمـا جماعة من الكتاب يغني عنها واحد منها . هذا هو معنـى الفردية . فكرة واحدة في العدد الاول كتبها كل واحد منهم . اختلاف بسيط في التناول واللغة . لا اختلاف في المضمون . معنى واحد عن « الوحدة » متكرر من صفحة الى صفحـة فوق توقيعات متعددة . العدد الثاني عصاة واحدة رفعهـا متعددون واسقطوها على راس الماركسية . هذا فقر فـي المادة . الفردية فقر . الفرق بين التعدد والجماعية هــي قسمة العمل . التعدد الفردي تكرار ممل والجماعية تكامـل خلاق . المجلة منبر جماعي . يعطي كـل واحد مــا عنده اضافة الى ما يعطيه الاخرون . يتكاملون . تصبح المجلة خلقا جماعيا . تقرأ كل كلمة فيها لان كلماتها غير متكررة . يقرأ كل عدد منها لان كل عدد غير معاد . هكــذا نريــد « الشورى » سنشوي الشورى على السفود لو عـادت الـى التعبير عن موقف فردي تخفيه تحت عناوين متعددة .

هل عرفنا السفود ؟

لينتبه كل كاتب في « الشورى » الى جلده . انها تحمل شعار « مجلة الفكر القومي » . الفكر القومي ليس مباحا لكل قادر على الكتابة . ليس متروكا لتجربة الاساليب .. مـع

ذلك هي مجلة الشباب العربي بدون حاجة الى الحاج محمد السخاوى في العددين · ماذا نفعل ؟ ·· سنتقبل ماتكتبون ، ايها الشباب ، في كل عدد لنشويــه في العدد التالــي · لانضاجه فلا تغضبوا · اريد من كتاب « الشورى » ان يفهموا اننا نشوى لننضج لا لنحرق هل في هذا عيب ؟ ! · لا اريد ان اتعرض لاظافرهم المطبوعــة ينهشونني بهــا · فــي « الشورى » كتاب ينهشــون بالكلمات الجارحة · هــؤلاء يخيفونني من الان · لا · لست جبانا الى هذا الحد لكنــي ضد المغامرة والتهور الطائش · هل من الشجاعة ان اتعرض لمثل الكلمات النهاشة التي قدم لنا منها آسماعيل مرهج عينات حادة في العدد الثاني من الشورى ؟ ··

رد اسماعيل مرهج على صلاح حافظ يحاوره فانشــب كلماته في عنقه : التلفيق ، العبث الكلامي الذي لا رصيد له ، اكثر من حجمه على الورق ، المماحكة السخيفة ، الاضطراب ، الحقد ، نفث السموم ·· الى اخره · ليس هذا حوارا هذه مذبحة · فقد اسماعيل مرهج عــن طريق النهش بالكلمات الجارحة قدرا كبيرا ما كسبه بالاجتهاد الصحيح ·

لا تنهشونا عندما نشويكم عــلى « السفود » حتى لا نتركم على النار اكثر مما تطيقون فتحرقون ·

وقد اعذر من انذر · والبادي اظلم ·

ابوذر :

لماذا ابوذر توقيعا ؟ ··

اخوفا من الكلمات الطويلــة ؟ ·· واسباب اخر · كثيرة · اولهــا الاقتداء بالصحابى الجليل ابوذر الغفارى يقولون انه اول الاشتراكيين · كلام · الاشتراكيــة نظــام اقتصادي اجتماعي حديث · ولد من رحم الراسمالية تصحيحا

لعلاقاتها الاجتماعية الخاطئة · الاسلام اقدم من الاشتراكية والراسمالية · الاسلام ابقى من الاشتراكية والراسمالية · الاسلام اشمل من الاشتراكية والراسمالية · الاسلام فوق الاشتراكية والراسمالية · الاسلام نظام للانسانية بغير حدود من المكان والزمان · يجتمع في قواعده كل ما هو مشترك بين بني الانسان في كل مكان وزمان · لا يدنو اكثر من هذا زمانا ومكانا · في ظله يعيش الاشتراكيون والراسماليون ويتحمل كل منهم مسؤولية ما اختار على ضوء مصلحة الجماعة في زمانها ومكانها · ثم يحشرون · من اختار استغلال الانسان نظاما فالى جهنم · ومن اختار تحرير الانسان نظاما فالى الجنة · عندئذ يعرف الظالمون أي منقلب ينقلبون · يكون الاشتراكيون مسلمين ويكون المسلمون اشتراكيين ولكن الاسلام ليس اشتراكيا · الخاص ينسب الى العام وليس العكس · واضح ام انها اصوات غير ناطقة ؟ ··

كان ابوذر يقول : ليس للمسلم ان يمتلك الا ما يحتاج اليه ليعيش بدون اسراف · ما يفيض هو ملك المسلمين كافة · كذلك فهم وفسر الصحابى الجليل قوله تعالى : «وانفقوا ما جعلكم مستخلفين به» · وقوله : «واتوهم من مال الله الذي اتاكم » · المال مال الله وللانسان حق النفقة منه · الحديث يقول : « ليس لك من مالك الا ما اكلت فافنيت ولبست فابليت وتصدقت فابقيت » ·

الفيء (الغنائم) للمسلمين يقسم فيما بينهم اخماسا · نص في القرآن صريح · فلما فتح المسلمون العراق عادوا الى عمر يطلبون قسمة ارضه (السواد) · استشار العبقري ثم قرر · الفيء للمسلمين نعم · للمسلمين جيلا بعد جيل ·

فكيف تقسم الارض بين جيل الفاتحين فتحرم منهـــا اجيال قادمة من المسلمين · لا · تجرى القسمة فـــي المـــال المعد للاستهلاك · اما مصدر الانتاج الدائم فيبقى ملكـــا عامـــا للمسلمين · هكذا افتى عمر ونفذ فلم يعرف الاسلام في عهده ملكية رقبة الارض قط ·

اين من عمر دعاوى الاشتراكيين ·

لم يكن عمر اشتراكيا · لا · ولا كان ابوذر · رضى الله عنهما · كانا مسلمين اجتهدا فاختارا ما ينفع المسلمين · ليس هذا سبب اختيار « ابوذر » توقيعا · كثيرون قالـــوا ويقولون ما قال ابوذر · اعجبني من ابي‌ذر انه كان يقوله متحديا ولي الامر امير المؤمنين واصحابه في سلطة الخلافة · شجاعة ابي‌ذر هـــي المغريـــة · يعجبني التحدي بالحـق بدون حساب « لموازين القوى » · ابوذر نموذج الثائر وليس نموذج الاشتراكي · استعرنا اسمك يا استاذ الثوار فعسى ان يكون فينا بعض من شجاعتك · لنقول « للشورى » بحسم عقاري : ارفعوا اسم ثورة الفاتح وقائدها من صفحاتكم · لا عداء · وكيف يكون العداء للصامدين الرافضين · السبب انهم دولة الجماهير العربية تريد ـ ولو مـرة واحدة فـــي تاريخها الحديث ـ ان تقرأ الكلمة القومية بعيدا عن ظـــل الدولة ·ان يكون لها منبر مستقل عن سلطة الدولة · هـــل هذا ممكن ؟ ممكن · ثورة الفاتح من سبتمبر وقائدها ورفاقه يقبلون ان تصدر « الشورى » في ليبيا ولا تكون ليبية · لماذا تصر « الشورى » على الانتساب الضمني بان تطرح فـــي افتتاحية العدد الثاني اقتراحا لا طاقة لهـــا بتنفيذه الا اذا غرفت من خزائن الحكومة الليبية ؟ ·· مهلا يا جمعة ؟ ·· اجل اقتراحك الى ان تستطيع « الشورى » حمل عبء الانفاق

عليه من عائدها الخاص · ولماذا تصر الشورى على الانتساب الضمني بان تطرح على صفحاتها كلمات عن ثورة الفاتح بقلم قائد الثورة ؟ ··

ان افضل ما قاله القذافي في حياته جاء في برقية وصف نفسه بانه «شاب عربي من شمال افريقيا» · يا هلا بكل الشباب العربي · بهذه الصفة يكتب · وبهذه الصفة سيلتقى به ابوذر على صفحات « الشورى » · ولعله الوحيد من بين الحاكمين الذي يمكن ان يوضع ما يكتبه على السفود بدون ان يتعرض اباذر للنهش والبطش· الاخلال بهذا الشرط يعنى انني لا استحق الاسم الذي استعرته · فالى اللقاء ·

الفراسة ·

الفراسة هي معرفة الكل عن طريق الملاحظة الدقيقة للجزئيات · اسلوب علمي · مارسه العرب وعرفوا به · على رمال الصحراء قدمين لهما اتجاه · نظر السائر يطابق الاتجاه دائما · ننظر الى اثر القدمين · ان كان الاثر مائلا الى اليسار (ميلا دقيقا) عن خط الاتجاه فالسائر فاقد العين اليسرى او ضعيفها · ان كان اثر القدم اليمنى اعمق من اثر القدم اليسرى فالسائر يحمل على كتفه اليمنى ثقلا · ان كانت الاثار متتابعة عن قرب فالسائر يجري · ان كانت على البعد المالوف فهو يمشي الهوينا · انزادت المسافة بين القدمين عن شبرين فهو طويل · ان قلت فهو قصير · ان كان يجري فهو خائف · لا · انه مستعجل · الاثر لاصابع منفردة · الخائف تتقلص اصابع قدميه وتنكمش · هكذا كان العرب يعرفون من الجزئيات حقائق كثيرة · بلغت الثقة في صدق الفراسة عند العرب الاحتكام اليها في صحة النسب ·

انا عربي ٠

رئيس تحرير مجلة الشورى متزوج «سعيـد» ٠ المرأة ليست مشكلة في حياته ٠ لا تثير انتباهه ٠ هكذا غابت اقلام الاخوات العربيات من صفحات الشورى ٠ هكــذا غـابت مشكلات المرأة العربية من موادها ٠ ان كنتم تريدون اقامة دولة الوحدة للرجال فقط فاني اقليمي ٠ ان كنتم تريدونهـا للشعب العربي رجالا ونســاء فافسحوا مكانـــا مرموقـــا لشريكات المصير الواحد ٠ عجز الرجال عن انقاذ امتهـــم نعسى ان تحقق اخت عربية لامتها ما حققته لدولتها ، ولا نقول جان دارك ، بل نقول بندرانيكا وانديرا غاندى وجولدا مائير ٠ ان الله لا يستحي من الحق ٠

اخيرا ٠

تعارفنا ٠ حسن ٠ هل نبدا ؟ ٠٠ تلك قسوة ٠ غدر ٠ نكتفى اليوم بالتعارف ٠ ليستعد الجميع وموعدنا العـــدد القادم ٠ ومن يريد ان يعيننا على شوى الكتاب فليرسل الينا بحطبه نقدا ينضج ولا يحرق فنصوغه غفاريا ٠ لست نادما على الصبر الا لان العدد الاول قـد افلت ٠ كنت اريـــد ان احرقه ٠ انه ليس مجلة انه مقتطفات مــــن كتابـــات وكتب شخص بعينه ٠ لماذا لم تضعوا عليه اسمه وترسلوه اليه ٠ هذا لا يجوز ٠ حذار من التكرار العدد الثاني افضل ، ينقصه التنسيق من اجل التكامل في المضمون ٠ اعجبني مقال بدون توقيع ٠ اعجبني غياب التوقيع ٠ سأحلم بيوم تلتقي فيـــه « الشورى » بقرائها مادة مجردة مـــن التوقيعات ٠ حينئذ سيلقى كل مقال ما يستحقه لا ما يستحقه صاحبه ٠

الى اللقاء اذن ·
او وداعا ·

قد اعود وقد لا اعود · يتوقف الامر على ما ستفعلــه « الشورى » باللغة التي تصدر بها · لا اقبل الكتابة في مجلة تحمل صفحاتها كل تلك الاخطاء اللغوية · تثيرني الاخطاء الساذجــة · اغفر للافراد الاخطاء التـــي لا يكتشفهـــا الا الضالعون في علم اللغة · ولكني لا اغفرها لمجلة تستطيــع ان تقوم لغة الكاتب فيها بمن يستطيع التقويم ·

والسلام على من اتبع الهدى

٢

مع المتقادمين :

مالتس (١٧٦٦ ـ ١٨٣٤) كان قسا فقيرا ٠ نشر في ١٧٩٨ كتابا لم يضع عليه اسمه ٠ كان البحث العلمي عند الكنيسة هرطقة ٠ اسم الكتاب « بحث في مبدأ السكان » ٠ فكرته بسيطة ٠ يزداد عدد السكان بنسبة هندسية ١ : ٢ : ٤ : ٨ : ١٦ : ٠٠ ٠٠ ٠٠ الخ ٠ تزداد المواد اللازمة للمعيشة بنسبة حسابية ١ : ٢ : ٣ : ٤ : ٥ ٠٠٠٠ الخ ٠ النتيجة كارثة من الجوع ٠

ريكاردو (١٧٧٢ ـ ١٨٢٣) كان عضوا في مجلس العموم البريطاني ٠ كان غنيا فلم يخف ٠ نشر كتابا وضع عليه اسمه ٠ اسم الكتاب « مبادىء الاقتصاد السياسي » ٠ فقال ، اول من قال ، ان العمل هو مصدر القيمة ٠ اخذها عنه ماركس ٠ اخذ عنه ايضا نظريته في الاجور ٠ قال ريكاردو : انه في ظل المنافسة الحرة (النظام الراسمالي) يتجه السعر الى ان يكون مساويا لتكلفةالانتاج : لو ان سلعة بيعت باكثر من تكلفة انتاجها لزاد الربح فيها عن غيرها ٠ زيادة الربح تدفع المنتج (الراسمالي) الى زيادة انتاج تلك السلعة ٠ يزيد المعروض منها عن الطلب عليها ٠ ينخفض سعرها ٠ يتجه الى ان يكون مساويا لسعر تكلفتها ٠

ثم قال ريكاردو : ان العمل سلعة · يتوقف الاجر (ثمن العمل) على العرض والطلب في سوق العمل · اسماه الاجر الجاري · ارتفاع الاجور يؤدي الى زيادة عدد العمال الراغبين في العمل · يتنافسون · تهبط الاجور · تتجه الى ان تكون مساوية لتكلفة انتاج العمل ذاته · وقال ريكاردو : ان تكلفة انتاج العمل ذاته هو المواد الضرورية لبقاء الانسان قادرا على العمل مجرد قادر على العمل · اسماها الاجور الطبيعية· اذن ، تتجه الاجور (الجارية) الى ان تكون مساوية للاجور (الطبيعية) ·· في ظل النظام الراسمالي · النتيجة كارثة فقر للعمال ·

اثنان من علماء الاقتصاد الرأسمالي · متشائمان · لانهما توقعا كوارث النظام الراسمالي ولم يعرفا الحل· لم يعرفا الحل الاشتراكي · هذا جاء فيما بعد · اذن ، التشاؤم هو توقع السؤ والجهل باسباب منعه او ردعه او تلافيه ·

فرويد يقول غير هذا ·

قال فرويد : « التشاؤم منشأه الدوافع العدوانية القاسية المكبوتة · فالجزء الاكبر من التشاؤم ينم عن الخوف من شر مستطير · ومن يتمنى لغيره الشر ، ولكنه يضطر الى كبت هذه النزعة الشريرة في اللاشعور نتيجة لحسن تربيته (شكرا ··) فانه يتوقع العقاب على هذا الشر المكبوت عقابا ياتيه من الخارج على شكل شر او نحس » ·

فرويد كاذب · انتهز فرصة اثبت فيها ان فرويد كان اكذوبة ·

ها انذا متشائم · لا اتوقع « للشورى » حياة طويلة ·

من عدد الى عدد اشعر بأن هذا الوليد لن يعيش حتىنراه كما نتمناه · متشائم انا لانني لا اعرف · اتوقع السؤ ولا اعرف كيف تنقذ « الشورى » من مصير لا يستحقه الفكر القومي التقدمي الذي تحمل شعاره · هل نترك « الشورى » تموت ؟ هذا نكوص · النكوص مرض · النكوص وباء في الوطن العربي ·

مرض النكوص :

مكدوجال عالم في النفس · يونج علامة · علامة صيغة مبالغة من عالم · قال العالم يلخص ما قاله العلامة : « النكوص فعل نفسي يفيد ـ بمعناه العام ـ ابتعاد الانسان عن طريق التكيف مع الحياة الى حالة الطمأنينة التي يشعر بها الطفل بين ذراعي امه قبل ان يكتشف مسؤوليات الحياة » · يقول ويلز ، وهو علامة اخر ، : « النكوص اخفاق الطاقة في مواجهة الموقف الراهن » · النكوص ، اذن اسلوب مرضي يجتنب به المريض العقبات التي تصادف مسيرته · هرب · كم هم الناكصون هربا من متاعب تحقيق الحرية والاشتراكية والوحدة في الوطن العربي ؟ القوميون التقدميون لا ينكصون وما ينبغي لهم · لنواجه اذن العقبات التي تعرقل مسيرة « الشورى » ·

ماذا تريدون ؟

سؤال الى كل الذين كتبوا العدد الثالث من « الشورى » · ان شئتم والعددين الاول والثاني · ماذا تريدون ؟ ·· تنثرون كلمات طيبة من بالونات محلقة بعيدا ، بعيدا ، بعيدا عن حياة الناس من امتكم · تلك مقدمة مقبولة

ان هبطتم من بعد تحليق لتزرعوا البذور في الارض فتثمر حياة كان موعد هبوطكم العدد الثالث بعد ان عـرف الناس من العددين الاول والثاني الاتجاه العام لمجلة « الشورى » ٠ لماذا كل هذا التجريد النظري ؟ هل هذا هو كل ما في جعبة الفكر القومي التقدمي ؟ ٠٠ اذن فستستمر الحياة على مـا تكرهون وانتم محلقون ٠

الامة بشر٠الامة ارض٠البشر جوعى٠ عرايا٠ مرضى٠ اميون ٠ مقهورون ٠ الوطن ممزق ٠ الارض مغتصبة محتلة ٠ موات لا تستثمر ٠ حلقوا ما شئتم ثم اهبطوا وقولوا مـــا ينفع الناس ٠ كيف يشبع الجوعى ؟ كيف يكسى العرايـــا ؟ كيف يصح المرضـــى ؟ كيف يتعلم الجهلـــة ؟ كيف يتحرر المقهورون؟ كيف يتوحد الوطن؟ كيف تسترد الارض؟ واسئلة اخرى ٠ بعد كيف اين ٠ بعد اين متى ٠٠٠ الخ ٠

اتمنى لو ان « الشورى » الزمت كتابها ان يختموا مـا يكتبون بجملة ملزمة ٠ اقترح صيغتها : ٠٠ « بناء على مـا سبق فاني (اي الكاتب) ارى ان يفعل القراء كذا في مكان كذا في وقت كذا ٠٠٠ » هكذا يتصل الفكر القومي التقدمي بحياة الناس ٠ ان لم تفعلوا فهي موعظة ٠ وانتم واعظون او وعاظ ٠ الاولى صفة والثانية « مهنة » فهل انتم واعظون ام وعاظ ؟

مثال :

ذلك الكاتب يبلغ نقاء كلماته حد الشفافية ٠ هذا مدح للكاتب وليس مدحا للمكتوب ٠ الكلمات الشفافة تفلت مـن الانتباه ٠ لا يتوقف عندها النظر ٠ يخترقها ليتأمل غيرها ٠ اخلط ، اخي ، كلماتك بما يشد اليها الانتباه ويوقف عندها

النظر فلا يتخطاها الا بعد ان يعيها · اتعب نفسك قليلا فان لك قلمنا لن يخذلك ان حملته اثقال العلم · تحدث الاخ خالد ابراهيم تحت عنوان « الشورى والطموح الواعــي » حديثــا سلسا كالماء العذب · شفافا مثله · خواص الماء لا طعــم له ولا رائحة ولا لون · اقصد المــاء النقي · تحدث عــن المدارس · اسماها مدارسنا · القوميون ابرياء من نسبتهــا يا اخ خالد وانت من القوميين لا شــك في هـــذا · انهـــا مدارسهم · مدارس الاقليمية · ليس في الوطن العربي كله مدرسة قومية واحدة · قال انها اجهزة تفريخ موظفين · ماذا كنت تنتظر منهم ؟ لا يهم · يهم القوميين ان يعرفوا ما اذا كانت تفرخ قوميين ام اقليميين ما اذا كانت تجنى على الجيل الجديد ام تحافظ عليه · هذا جانب من المشكلة يهم القوميين · نبدأ بالمدارس · نترجمها الى بشر · نوزع الاعداد من بنى امتنا على مراحل التعليم :

	ابتدائي	ثانوي	معاهد عليا وجامعات
موريتانيا	١٤٢٩٥٩	٣٩٧٠٣	١٣٣٩
المغرب	١١٣٥٨٦٥	٢٧٤١٠٢	٢٤٠٢٤
الجزائر	٤٧٤٤٢٥	٦٨٢٠٥	٢٠٨٦٢
تونس	٨٤٤٩٩٤	٩٥٥٦٤	٤٥٠٧٦
ليبيا	١١٠٢٥١	١١٣٢٤	١٦٤٥
مصر	٣٤٩٢٩٣٥	٩٥٩٣٦٦	٣٥٨٦٢٣
السودان	٤٩٦٦٣٢	١٣٠٠٠١	١٦٢٠٠
الصومال	٢٨٨٩٠	١٧٠٤	٣٤١٨
اريتريا	غير معروف	(تحت الاحتلال الحبشي)	
فلسطين	غير معروف	(تحت الاحتلال الصهيوني)	
سوريا	٧٤٢٦٨١	٢٠٩٧٧	١٢٧٢٠
لبنان	٥٤٤٤٧٥	١١٥٥٤١	٥١٦٣٠
الاردن	٢٢٩٦٩١	٧٥١٣٩	٢٦٥٥٤
العراق	١٠١٧٠٥٠	٢٨٥٧٢١	٥٣٦٥٠
الكويت	٦٥٤٩٥	٥١٤٣٤	٦٢٩٦
السعودية	٣٦٣٤٢٦	٨٥٦٧٤	١٣١٩٩
اليمن	٦٩١٣٩	١٩٤٩	٥٤

ضعيف انا في الحساب · لا بد نسيت دولا عربية اخرى · انهم اكثر من الهم على القلب · اظن ثمة دبى وظبي او ابو ظبي ، قطر ، والشارقة ، والبحرين · ودولة يحكمها شخص يسمى قابوس يقتل الشعب بجند من ايران · لايران جند غرب الخليج · رحمك الله يا عبد الناصر والهم امتك فيك الصبر والسلوان ·· كفانا هما ما عرفنا ، عرفنا يا أخ خالد ان في مدارسهم ثلاثة عشر مليونا من ابناء امتنا · خلاصة الجيل القادم · كان ذلك عام ١٩٦٧ · كم هم الان ؟ اجب انت ·

منهم ٩٧٥٨٩٠٨ ناشئا في المرحلة الابتدائية · من الذي يعلمهم ؟ ماذا يتعلمون ؟ باية لغة يتعلمون ؟ كيف يرعون صحتهم ؟ من يتحمل نفقة تعليمهم ؟ اين باقي الناشئة من اطفالنا ؟ كم منهم شريد ؟ كم منهم لا يجد مكانا في مدارسهم ؟ كم منهم يضطره الفقر الى العمل في سنه الغض ؟·· اختصارا ، كيف تكون التربية والتعليم في الفكر القومي التقدمي وهل توفي الاقليمية بمتطلباته ؟ لو استطاع كتاب « الشورى » ان يجيبوا على هذا السؤال بالنسبة الى ٩٧٥٨٩٠٨ ناشئا عربيا في المرحلة الابتدائية و ٢٤٠٢٨٠٤ يافعا عربيا في المرحلة الثانوية و ٦٩١٥٠٠ شابا عربيا في المعاهد العليا والجامعات ، اجابة تثبت من واقع المناهج التعليمية والتربوية وظروف التعليم ومستقبله ان الاقليمية تحرم ابناء امتنا من امكانيات هائلة تقدمها لهم الوحدة ، لكسب الفكر القومي التقدمي خمسين مليونا من الاباء والامهات والاخوة والاخوات المشغولين بفلذات اكبادهم · هكذا يتصل الفكر القومي التقدمي بحياة الناس ، ولو كان موضوع الدراسة مقارنة بين نوع وكمية وسعر

الخبز في ظل الاقليمية وفي ظل الوحدة · ولتدخل « الشورى» البيوت ولو مع الخبز ·

حتى لا يغضب الاخ خالد احكي له حكاية من الصين ·

حكاية من الصين :

«شيه هوانج تي » كان اول اباطرة الصين · حكم من عام ٢٢١ الىعام ٢٠٧ قبل الميلاد· انفق اموالا طائلة في بناء الحصون وحفر القنوات وتعبيد الطرق · افتقد الاموال اللازمة لحرب موشكة · بلغه ان بخيلا مفرط الثراء من قرية « لان شو » قد مات عنغيروارث وعن كنز عظيم · كنز دفين · قيل ان احدا لا يعرف مدفن الكنز الا شيخ في القرية · امر الامبرطور فجيء بالشيخ · عم ، ان امك الصين في مازق حرج · العدو يحشد جنده وجندنا يفتقدون العدة · العدة يلزمها مال · المصير يتوقف على ما تعرف · اين الكنز ؟ · قال الشيخ : غدا اقول لك · قال الامبراطور : اتقسم ان تقول اذا جاء الغد ؟·· قال الشيخ : اذا اقسمت الا تقتلني قبل ان يجيء الغد · قال اقسم فقال اقسم · وافترقا · الامبرطور يعد الجند في انتظار الغد والشيخ ينعم في القصر في انتظار الغد في اليوم التالي قال له صاحبه : اين الكنز ؟· قال الشيخ :غدا اقول لك ··

لا اطيل · فطن الامبراطور الى ان كلمة الغد في اللغة الصينية تعني ما بعد اليوم اطلاقا ولا تعني اليوم التالي المعارك لا تنتظر احدا · انتقل الامبرطور الى الجبهة وانتقل الشيخ الى السجن وهو يعد بان يقول اينالكنز اذا جاء الغد· ولم يزل حتى اذا مات الامبراطور اطلقوه ·

قال له من قال : لماذا لم تقل للامبراطور اين الكنز؟ قال لانني لا اعرف· قال لماذا قلت انك ستقول· قال : لانعم بالبقاء

في القصر · قال : لماذا لم تقل انك لا تعرف بعد ان انتقلت من القصر الى السجن ؟ قال : لان السجن اهون من سيف الجلاد ·

لدينا شيخ عربي اسمه الدكتور عصمت سيف الدولة· كتب في العدد الثالث من « الشورى » مقالا ذا عنوان مقعر · (اعتاقة من اجل الوحدة ام وحدة من أجل الاعتاق) · الموضوع حوار مع نخبة من الماركسيين حول الوحدة العربية · انتهى المقال الى ان الحل هو التنظيم القومي · لو لم يوقع المقال لعرفناه · منذ ١٩٦٥ يؤلف كل عام كتابا · ويكتب كل عام مقالات عدة · كلها ، كتب وكتابات تنتهي الى معنى واحد : الحل هو التنظيم القومي · حل اية مشكلة من اول اسقاط الامبريالية الاميركية الى تهجين الاغنام في موريتانيا · ثم ينتهي بجملة مكررة : ·· « اما كيف يقوم التنظيم القومي فهذا حديث اخر » ·· عم ، اين الكنز ، المعارك لا تنتظر احدا · ان كان الدكتور عصمت سيف الدولة يعرف فعليه ان يقول · ان كان لا يعرف فعليه ان يكف عن القول : امنا بالتنظيم القومي اداة للثورة العربية ولكن يا دكتور عصمت ماذا تريد من القراء ؟ ماذا يريد كتاب « الشورى » ·

انه مثال اخر ·

حوار مع الطليعة

تحت العنوان المقعر لمقال الدكتور عصمت سيف الدولة ذكرت «الشورى» انه حوار مع مجلة ·«الطليعة» القاهرية · كيف كان الحوار ؟ انقض الدكتور عصمت سيف الدولة على جماعة من الماركسيين نشروا احاديث لم تعجبه في مجلة الطليعة القاهرية (عدد ايار ١٩٧٤) فجرد بعضا منهم مما

يستر العورات وتركهم عرايا فكريا · التجريد والتعرية تمتا بمقدمة عنيفة · كلمات نهشتهم اولا ثم امتدت تجردهم من اغطية الكلمات · اما كان يستطيع الدكتور عصمت سيف الدولة ان يعريهم بدون عنف؟ لا رحمة بهم ولكن ليكون الحوار حوارا · قد لا يعرف قراء « الشورى » ان ما نشر في العدد الثالث تحت العنوان المقعر نشر في الوقت ذاته في مجلة « الطليعة » تحت عنوان بسيط : « الوحدة العربية : دعاء ام دعوة ؟ ·· » عناصر الحوار ناقصة وهذا ظلم من «الشورى» لقرائها · المقالات التي رد عليها الدكتور عصمت سيف الدولة لم تنشرها « الشورى » لها عذر مقبول · سحب العدد من السوق بعد طرحه لانه تضمن مقالا بذيئا يسب فيه احمد ابو الفتح الرئيس عبد الناصر · (ابو الفتح ليبرالي رجعي عتيد هرب من مصر منذ عشرين عاما قضاها مع سادته في اوروبا ثم عاد اخيرا) ·· هناك ما ينقص الحوار ولا عذر « للشورى » في عدم نشره · انه تعقيب الدكتور رفعت السعيد على مقال الدكتور عصمت سيف الدولة · لماذا لم تنشره « الشورى » ؟ يا اهل « الشورى » كونوا منصفين · يا قراء « الشورى »مقال الدكتور رفعت السعيد :

« لكل حوار ادابه وتقاليده ، ولقد فتحت الطليعة صدرها رحبا لكل رأي معارض ما دام ملتزما باداب الحوار الموضوعي ، وان ينتهج اسلوبا يبعد بالحوار عن الشتائم والبذاءة · ليس فقط لان مثل هذه الشتائم ليست من اخلاقيات الحوار العلمي وانما ايضا لانها لا تقنع احدا وتخرج بالحوار عن حدود علميته وموضوعيته · ان كلمات مثل (استحقوا ردا رادعا) و (انعدام الجدية) و (كلمات رخوة كسولة) و (كما لو كان نقدا لاحد افلام رعاة البقر) و (دكتور مثل ··) و (حديث هازل وانتهازي معا) الى مثل هذه

الالفاظ التي ما اسهل ان يرد عليها الانسان بما هو اقسى منها واعنف والتي لا يجوز استخدامها في حوار علمي مهذب انما تهبط برد الدكتور عصمت سيف الدولة الى وهدة ما كنا لنرجوها · ومن تقاليد الحوار ان يوجز الانسان رده وان يضعه في حجم ملائم ميسور النشر · فلقد قلنا رأينا الذي لم يعجب الدكتور شيء منه وكنا سبعة كتاب فأخذنا من مساحة الطليعة احساسا منا بمسؤولية الكلمة عشرون (كذا ··) صفحة فقط فاذا بالدكتور يمط شتائمه ويكررها الى حد الاملال ليستغرق هو وحده من الصفحات قدر ما استغرقنا جميعا » ·

هكذا عقب الدكتور رفعت السعيد فذكرني باقصوصة مرحة ·

يحكى ان شخصا قام خطيبا في اهل قريته يعظهم في امر دينهم · قال : ايها الناس ، انكم تسبون الدين حين تصبحون · تسبون الدين حين تمسون · تسبون الدين في كل آن ما بين الصباح والمساء · ازعجتمونا · افسدتم علينا حياتنا وحياة قريتنا · ولقد نفذ صبرنا عليكم · فوالله لان لم ترجعوا عن سب الدين لالعنَّن دين ابيكم » وقديما قيل العين بالعين والسن بالسن والبادي اظلم · الفرق بين الذي بدأ والذي رد ان الدكتور عصمت سيف الدولة نهشهم ثم قال في الموضوع حقا · الدكتور رفعت السعيد شتمه ثم لم يقل صدقا ·

الاركسة والماركسية :

قال الله تعالى في سورة النساء : « فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا » • وقال تعالى : «ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا » •

الاركسة ، والماركس ، والماركسون ، من اركس اي قلب ادراكه • ثلاثية : ركسه يركسه اي رده مقلوبا • وقلب اوله على اخره فارتكس • (بالعامية : « لخبطه ») • فهل الماركسية نسبة الى كارل ماركس ام الى الاركسة • يستويان فيما قال الدكتور رفعت السعيد • قال « لقد قبل الشعب السوري ـ وبرضاه ـ هذا الانفصال اكرر كلمتي قبل وبرضاه وانا اعرف ان هذا لن يعجب الدكتور عصمت ولكن ما حيلتي اذا كان احدا (كذا ••) لم يتحرك لحماية الوحدة يوم ان وقع الانفصال •• » •

هل من يرد ولو انصافا لشهداء النضال الشعبي ضد الانفصال ؟ •• هل من يصف للدكتور الماركس القتال في شوارع دمشق ودير الزور وحمص وحلب واللاذقية الذي كاد ان يصل الى الحرب الاهلية لولا انرأت القيادة الرسمية الاعتراف بالانفصال ••؟

ماذا تريد « الشورى » من حوار بعضه نهش وبعضه اكاذيب ؟

موعظة من بابل :

كانت مدينة بابل تقع على نهر الفرات شمالي موضـع مدينة « الحلة » القائمة الان · قال هيرودوت : « انها مقامة في سهل فسيح يحيط بها سور طوله ستة وخمسون ميلا ، ويبلغ عرضه حدا تستطيع معه عربة تجرها اربعة جياد ان تجرى اعلاه ، ويضم مساحة تقرب من مائتي ميلا مربعا · الفرات يشق المدينة · فوقه جسر آية في جمـال الانشاء · تحته نفق عرضه خمسة امتار وارتفاعه اربعة · يصل مـا بين الشاطئين · المباني من آجر · الآجر مكسو بالقرميـد المنقوش البراق ذى اللون الازرق او الاصفـر او الابيض ، المزين بصور من الحيوان وغيره · كل آجرة من الاجر تحمل نقشا يقول : « انا نبوخذ نصر ملك بابل » · نبوخذ نصر لم يبن بابل · جدد بنائها وطبع اسمه على آجرها ·· كم هـي قديمة الرغبة في الخلود ·

كان في بابل صرحان مشهودان ·

حدائق بابل المعلقة · مقامة على اساطين مستديرة متتالية كل طبقة منها فوق طبقة · غطى سطحها الاعلى بطبقة من الغرين الخصيب يبلغ سمكها امتارا · ترفع المياه مـن النهر الى سطحها الاعلى بالات مائية غير ظاهرة · تـزرع فيها الازهار والنباتات الغريبة وكثيف الاشجار · وهنـاك بعيدا عن اعين الكادحين في الارض كان نساء القصر يعشن غير محجبات ·· كم هي قديمة الرغبة في السفور ·

على بعد خمسمائة متر من القصر والى جنوبـه كان برج بابل · صرح شامخ كالجبل يعلوه برج عظيم مدرج من سبع طبقات ·جدرانه من القرميد المنقوش البراق · ارتفاعه

مائتي متر · فوقه ضريح يحتوي على مائدة كبيرة من الذهب المصمت · وسرير مزخرف تنام عليه كل ليلة واحدة من النساء الجميلات ·

تقول الاقصوصة ان اهل الارض من بابل ارادوا ان يتحدوا اله السماء فاجتمعوا على بناء ذاك الصرح العظيم· فلما ان بلغ ما بلغ ارتفاعا « بلبل » الاله السنتهم فلم يعد احد منهم يفهم ما يقول الاخرون · ففشلوا في ان يبلغوا ما كانوا يريدون ·· »

منذ بابل ، قبل بابل ، في كل زمان ومكان ، اذا لم يفهم الناس ما يقوله الاخرون يفشلون جميعا · الناس اذن قسمان : قائلون وسامعون (او قارئون) · عملية الفهم تلزم الفهم · نشهد باننا حاولنا فهم ما كتب الاخ اسماعيل مرهج في العدد الثالث من « الشورى » تحت عنوان « الدين والقومية وحركة التاريخ » فما استطعنا ان نفهمه جملة · كل فقرة قابلة للفهم · هذا يعني ان كل فقرة تصلح ، وتكفى ، فكرة لمقال معقول · ولكنها معا حشد غريب من الفقرات اجتمعت بدون مبرر مفهوم · انتهى الى نتيجة قابلة للفهم بذاتها بدون الغرائب التي سبقتها ، فهي بعض ما قيل في « النظرية الثالثة » غير المفهوم هو صلتها بالفقرات العديدة التي حشدت حشدا غريبا · لا يمكن وضع مقال اسماعيل على السفود دفعة واحدة اذ تنقصه الوحدة · يوضع قطعة قطعة وبين كل قطعتين شريحة من البصل كما يفعلون في انضاج الكباب · القطع كثيرة · هاكم عينة للمذاق :

(١) ـ الحركة ـ كل حركة ـ ما لم تقع في نطاق قانون معين تحاكم وتقيم من خلاله فهي شيء اخر » ·

يا اخ اسماعيل :

هل هناك حركة بدون قانون ؟ ·· الحركة بدون قانون فوضى · هل هناك شيء اخر غير الحركة ؟ · غير الحركة هو الثبات · هل يجتمعان في الوجود ؟ ·· يستحيل · اذن لانشق الوجود بحكم التناقض بين الحركة والثبات فيه ·

(٢) ـ « الناموس الذي يقع ضمنه قانون الحركة يقع بين ثلاثة حدود :

« الاول غاية تسعى اليها الحركة ·
« الثاني دافع تصدر عنه ·
« الثالث عامل تتحقق به ·

ياأخ اسماعيل :

ناموس وقانون · ما الناموس اذا لم يكن قانونا ؟· غاية ودافع · ما الفرق ؟ ؟ قلب : « الغاية هي الحرية » · نستطيع ان نقول ان الدافع هو الحاجة الى الحرية · الحرية في حالة سلب · لتتسق حركة التطور من السلب الى الايجاب في ذات الموضوع · لكنك قلت « اما الدافع فيقع في المهمة التي اوكلت لهذا الانسان وهي التبريـر الايجابـي لمعنى الوجود من موقع الخلافة الالهية فيه ضمن اطار الغاية وفوق ما سبق تحديدها » · هل توثقت علاقتك بالاخ مطاع صفدى فاستعرت بعض استعمالاته اللغوية · انك لم تكن تكتب هكذا في العددين الاول والثاني · نحاول الفهم · مهمة الانسـان هي تبريـر الوجود ايجابيـا · الا يعني هـذا ان تلـك غايتـه ؟ ما علاقتهـا اذن بالحرية التي قلت انهـا هي الغاية · وما معنى تبرير الوجود ايجابيا ؟ هل يمكن تبريره سلبيا ؟ ثم ان التبرير اثبات او تعليل · فكيف يبرر الانسان الوجود ولمن ؟ هل هناك من هو في حاجة الى ان يبرر لـه

الوجود فيقوم الانسان بهذه المهمة من اجل اثباته او تعليله ؟ هل الوجود في حاجة الى الانسان ليكون مبررا ؟ الم يكن الوجود موجودا قبل ان يوجد الانسان ؟ ثم كيف وضعت الانسان موضع الخلافة الالهية في الوجود · يقول الله تعالى : « هو الذي جعلكم خلائف في الارض · » ويقول تعالى : « ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون » · والارض جزء من الوجود · هي ذرة من الذرة مجازا من الوجود فهل من استخلف في الارض يكون قد استخلف في الوجود كله ؟

(٣) ـ « الانسان وجود مركب من المادي والمعنوي ولكن الذي لا بد من معرفته وحسمه هو أي الوجودين يعطيه انسانيته وادميته » ·

ياخ اسماعيل · ليس في الانسان وجودان · الانسان ليس مركبا من المادى والمعنوى · الانسان كائن نوعى واحد · قسمته الى مادى ومعنوى كان المنزلق الى النظريات التي تهاجمها فيما كتبت وتكتب · من انحاز الى المادى وصل الى الفلسفة المادية و من انحاز الى المعنوى وصل الى الفلسفة المثالية · ويقولون جميعا اما ان تكون ماديا او مثاليا · وهو خطأ · تجزئة الانسان هي الخطأ · في الواقع العلمي الثابت بالحس والتجربة لا يوجد انسان مادة · هذه جثة · لا يوجد انسان معنى · هذه فكرة · الانسان كائن ذكي · هذه كما هو واذهب به الى حيث شئت · لكن ـ ارجوك ـ لاتجزئة لمجرد ان تصل بعد حديث متقطع وطويل الى ما تريد ان تقوله : انك تؤمن بالنظرية الثالثة التي طرح فكرتها الاخ معمر · يمكنك ان تقول هذا وتجهر به بدون ان « تتعب حالك » وتتعب القراء ···

(٤) ـ هذه المعاني الكامنة خلف الافعال المادية والحركة نوعان ٠

« الاول ايجابي خير يمثل الجانب الرحماني من الانسان والذي يوجه افعاله وجهة يجعلها تتسق مع النظام الكوني الذي ارساه الخالق بحكمة جعلت كل شيء مخلوقا بقدر وجعلت التعامل معه عبثا ما لم يكن متسقا مع نظامه ٠

« الثاني سلبي يمثل الجانب المضاد في الانسان ومهمته تأخذ صفة المعارضة من الاول بحيث يحاول السيطرة على الافعال وتوجيهها وجهة متعارضة مع حركة النظام الكوني فتأتي النتيجة على غير ما يتطلبه طموح الانسان ويتسق مع حركته ووجود المتناقضات في الكون امر لازم تحتمه مقتضيات التطور ٠

لا حول ولا قوة الا بالله ٠

يا اخ اسماعيل ٠

الرحمن مصدر الرحمة صفة لا تنسب الا الى الله ٠ يوصف الانسان بانه رحيم ٠ ثم من اين جئت بهذه القسمة ٠ قوة خير في الانسان توجهه الى الخير ٠ وقوة شر في الانسان ايضا توجهه الى الشر ٠ اين حريته اذن في الاختيار ومسئوليته عنه ما دام خاضعا لما توجهه قوتان متناقضتان فيه ؟ لماذا تقول بعد ذلك ان الانسان « قيادة » ما دام مقودا الى الخير او الشر ؟ وتبرر النقيضين في الانسان « لان وجود المتناقضات في الكون امر لازم تحتمه مقتضيات التطور » ٠ هل في الكون متناقضات ؟ ما معنى اذن « النظام الكوني الذي ارساه الخالق بحكمة جعلت كل شيء مخلوقا بقدر » ؟ ٠ هل في الانسان تناقض يا اخ اسماعيل ؟ اين ذهب

اذن ما قلت في العدد الثاني من « الشورى » : « ان الجدل (التناقض) قائم واساسي في التطور ولكنه ليس كامنا في المادة وذلك اخر ما توصلت اليه الابحاث العلمية في اكتشافات رذرفورد التي انتهت الى ان الذرة وحدة متزنة مستقرة خالية من الصراع » (بالمناسبة انت قلت هناك انها خالية من الصراع والحركة · وهذا مالم يقل به احد في الدنيا غيرك · الذرة عامرة بالحركة ويقال انها خالية من التناقض) · ولماذا يكون وجود التناقضات لازما ؟ الأن هذا « تحتمه مقتضيات التطور كما قلت ؟ » التطور هو النتيجة فهل تحتم النتيجة اسبابها ام ان الاسباب تؤدي الى نتائجها حتما ؟ ·

(٥) ـ بدأت تتكلم عن الانسانية وتطورها وتدهورها وعذابها · اية انسانية يا اخ اسماعيل ؟ ان الانسانية قبائل وشعوب وامم شتى · الانسانية مؤمنون وكفرة · فقراء واغنياء · مستبدون ومقهورون فماذا تقصد ومن تقصد ام انك رسول الى البشر كافة بعد محمد عليه الصلاة والسلام · وهو لا شك كما تعرف خاتم الرسل · واين ادلتك من الوقائع والاحداث التاريخية على انحدار الانسانية؟ اليس التطور الى الامام حتميا بحكم القوانين التي تتكلم عنها فكيف تنحدر الانسانية ضد قوانين التطور ؟ وان كانت غلماذا ؟

(٦) ـ واخيرا تقول ببساطة ان اليهودية كانت ثورة · هل قال احد غيرك هذا الا الذين تعرفهم ؟ ثم الق بنظرك الى المشرق حيث الصين والهند ثم جنوبها حيث استراليا ثم غربا حيث افريقيا ثم في الغرب الاقصى حيث امريكا ثم قل لنا كيف تطورت كل تلك الشعوب بدون ثورة من الاديان الكتابية ؟

يكفي • واعيد ما قلته لعل الاخ اسماعيل يأخذ به •
ان كل فقرة تصلح وتكفى لتكون مقالا مدروسا • اما صب
كل تلك المعلومات صبا في اناء من مقال واحد فلا يزيد عن
ان يحيلها حشـدا غريبـا • وزع معلوماتـك الغزيـرة
يا أخ ضسماعيـل عـلى اعداد « الشورى » ام انك تخشى
الا تعيش « الشورى » • ان كنت فأنت متشائم مثلي •
ولا بأس في ان نتفق ولو في هذه • اما اذا كنت تريد ان نتفق
في اكثر منها فقل لي ماذا تريد من قراء الشورى •
ماذا يريد كتاب « الشورى » من قرائها ؟

غموض الاجابة هو عقبة في مسيرة « الشورى » • ثم
عقبات اخرى ولكن هذا يكفي فالى اللقاء •

القاهرة في ١٧ تموز (يوليو) ١٩٧٤

٣

رسالة الى رئيس التحرير :

... واني لحزين . اخشى الا اطيق صبرا على « الشورى » فاطفيء النار واحمل السفود واعود الى الصمت لقد دعوتني فاستجبت وكتبت . كنت سعيدا اذ التقيت بالكاتبين من الشباب العربي على صفحاتها . ادير معهم حوارا جادا مرحا . اخفف من جهامة النقد الجاد بما ادسه فيه من معارف تثير غبطة الاكتشاف . ابذل في هذا جهد « الخاطبة » . تلك التي تحبب الناس في الناس ليصبحوا ازواجا . كنت اريد ان يقترن القراء بالشورى قران حياة من مدخل الحب . هذه هي المرة الثالثة التي احاول الكتابة فيها . واني لحزين . لا استطيع ان اصطنع المرح فلا استطيع ان اكتب ما يثير الغبطة . لست قادرا على كل ما تقدر عليه الخطابات . ان في « الشورى » ـ عروس القراء ـ عيوبا تهدد الخطبة بالفسخ . الم اقل ان عمر « الشورى » يبدو قصيرا . ان بقيت « الشورى » كما هي سيختفي ابو ذر واحزن انا ، ان اختفت « الشورى » ساكون اكثر حزنا على وليد مؤود نعم يا جمعة يا مهدي يا فزاني . ان اختفت الشورى فقد قتلت قتلا . انت المسئول . لهذا اكتب اليك.

تأمل العدد الرابع .

نبدأ بالفهرس . لم تذكروا اسماء الكتاب . من قبل

كنتم تذكرونها · استقروا على وضع يستقر وضع المجلة في وجدان القارىء · هذى واحدة ·

الثانية ادهى وامر · اختار محرر الفهرس عناوين المقالات على هواه · تلتقط العنوان من الصفحة الاولى تبحث عنه في صفحته فتجد عنوانا اخر · لكل عنوان دلالة ولو تقاربت الصيغ · دلالة العنوان هي المحرض الاول على قراءة المقال ·

يقول الفهرس ان في الصفحة الثامنة مقالا عنوانه « الفكر القومي والتوازن الدولى » · يوحى العنوان بادعاء مغرور · الفكر القومي يحتاج الى موسوعية · التوازن الدولي يحتاج الى كتاب · البحث كله تجريد غير مثير · لا داعي للقراءة · ظلمنا محمد السخاوى · لقد كتب تحت عنوان « مسؤوليتنا القومية والتوازن الدولي » · هذا شيء اخر · جدير بالقراءة · كاتب يحدد موقفا من واقع مطروح · ويقول الفهرس ان في الصفحة الثامنة والثلاثين مقالا عنوانه « الاقتصاد العربي » · اعوذ بالله · الاقتصاد العربي ؟ ·· هكذا · مرة واحدة وفي مقال من ١٢ صفحة لا · فنظلم محمد عبد الشفيع · لقد كتب تحت عنوان « الثورة العربية ومعطيات التخلف الاقتصادي » · هذا موضوع حي · يستحق القراءة · فنقرأ دراسة جيدة كنا سنفقدها لان محرر الفهرس رأى ان يمنحها عنوانا من عنده · وعندما يكتب عودة بطرس عودة تحت عنوان « المسئولية القومية تجاه القضية الفلسطينية مرحليا » تحرضنا دقة الصياغة في العنوان على القراءة · فهو يكتب عن القضية الفلسطينية مرحليا · ان كلمة « مرحليا » توحي بأنه يقتحم الاحداث الحالية بقلمه ويقترح

علينا مواقف عينية تتفق مع مسئوليتنا القومية · لكن صاحب الفهرس يقتل المقال فيقدمه الينا بعنوان « المسئولية القومية تجاه قضية فلسطين » · عنوان لحديث قديم ممل · ثم قضية فلسطين ايضا ؟ ·· انها قضية الامة العربية · او القضية الفلسطينية للامة العربية · وبالله عليك يا جمعة ، من الذي يقرأ مقالا عنوانه « الهجرة المضادة » ·· الهجرة المضادة من اين الى اين ؟ ·· وهجرة من ؟ ·· الطيور ام الاسماك ام الناس ؟ ·· قتل الفهرس مقال : « ظاهرة الهجرة المضادة من اسرائيل ؟ ·· ومن ذا الذي يقرأ عرضا لكتاب عن « وحدة القوى العربية » كما جاء في الفهرس · ان كتابا يحمل هذا العنوان لا بد ان يكون لمؤلف منافق يدعو الى وحدة القوى العربية كما لو كانت كل القوى العربية سواء في مواقفها من قضايا الامة العربية · وظلم صاحب الفهرس صاحب كتاب « وحدة القوى العربية التقدمية » ·· الى اخره ·

باختصار يا اخ جمعة ،

ان من يقرأ الفهرس لا يقرأ الشورى · هكذا تقتلون الشورى قتلا ·

اما الثالثة فتعود بنا الى حديثي الاول في العدد الرابع · قال ابوذر فيما قال نقدا للعدد الاول :

« اعجبني مقال بدون توقيع · اعجبني غياب التوقيع · ساحلم بيوم تلتقي فيه الشورى بقرائها مادة مجردة من التوقيعات · حينئذ سيلقى كل مقال ما يستحقه لا ما يستحقه صاحبه » · لا تقل لي انك قد حققت لي حلمي بأن ضمنت العدد الرابع : «رحلات نكسون» بدون توقيع و «الثورة العربيةالام»

بدون توقيع ، و « ظاهرة الهجرة المضادة من اسرائيل » ٠ بدون توقيع ٠ لم احلم قط بالرقص على السلالم ٠ لا ولا بانصاف الحلول ٠ اما ان يحمل كل مقال توقيع صاحبه ٠ واما الا يحمل اي مقال توقيع صاحبه ٠ لاني احلم بثبات الشورى على وضع يستقر في وجدان القارىء فيعتاد صحبتها ٠

اما الرابعة يا اخ جمعة فهو سؤال ٠ لماذا تتحدث الشورى حديثا انقضى بدلا من ان تنير للقارىء افاق المستقبل ٠ « الثورة العربية الام » محاضرة قديمة وهذا واضح من الفقرة قبل الاخيرة من العمود الثاني صفحة ٢٩ : « ناصر وقضايا ناصرية » مقال للاخ حاتم صادق كتبه سنة ١٩٧٠ وهذا واضح من الفقرة الاولى ، اهذا كل ما استطاعت الشورى ان تقدمه في عدد صدر في الذكرى الثانية والعشرين لثورة ٢٣ يوليو ؟ ٠٠ كلام معاد ؟ هل يرضيك هذا ؟ ٠٠ ان كان يرضيك فهو لا يرضي القراء قطعا ٠ ويضيق به صدر ابي نر ضيقا شديدا ٠ واني لحزين ٠

واخيرا الخامسة ٠٠

انكم تأخذون ثلث صفحات المجلة (٣٤ صفحة) لنشر كتب مسلسلة ٠ في العدد الرابع نشرتم الجزء الثالث من « التطور الحضاري العربي » ٠ والجزء الرابع من « نظرية الحكم في الاسلام » والجزء لا ادري كم من « كراسة واحدة تجمع نضالات امة » ٠ وبالمناسبة « نضالات » تعبير غير صحيح لغويا ٠ الاصل « نضل » اي سبق وغلب ٠ ويقال نضال ونيضال بكسر النون وسكون الياء ومناضلة ٠

ما علينا ٠ لقد اصبحت الاخطاء اللغوية اقل ما تؤخذ

عليه الشورى · نعود الى الصفحات التي تملأونهـا حديثا متتابعا عن التاريخ القديم وغيره · انهـا كتب مجزأة · لا يوجد في الدنيا قارىء يقبل ان تفرض عليه قراءة عشـر صفحات كل شهر من كتاب · وان يحتفظ بمضمونها حاضرا في ذاكرته الى ان يقرأ ما بعدها بعد شهر · اعتقد ايضا ان اي باحث يريد للناس ان يفهموا ما يريد ان يقول لا يقبل ان تقطع اوصال كتابه او بحثه الرصين الى شرائح شهرية · ان كنت تعتقد ان ثمة من يتابع تلك الابحاث التي تنشورنها على دفعات فانك متفائل قد يكون التفاؤل مقتلا · لماذا تقتلون الشورى ؟ ·

··· واني لحزين ·

من اجل النصر :

بيـــن القوميين والتقدميين والماركسيين معركة فكرية مستمرة · دخلتها «الشورى» منذ البداية منتصرة للفكر القومي التقدمي · لا بد ، اذن ، من الانتباه الى ما تحمله « الشورى » منسوبا الى الفكر الذي تنتصر لـه · الانتباه مطلوب في كل موقف تحفه مخاطر الخطأ · موقف القوميين التقدميين فـي المعركة الفكرية مع الماركسيين محفوف بالمخاطر · شبنا في خضم المعركة ولم نعد نملك الا خلاصة التجربة نقدمها الـى الشباب القومي ·

الماركسية نظرية محكمة الصياغة · يقوم بعضها عـلى بعض كالبنيان المرصوص · في البدء فلسفة مادية · المادية تضاف الى الجدل فتصبح المادية الجدلية منهجا للماركسيين · فهم التاريخ بمنهج المادية الجدليـة يؤدي الـى الماديـة التاريخية · توقع المستقبل بمنهج المادية الجدلية يؤدي الى

الشيوعية · الاشتراكية هي المرحلة الاولى (الدنيا) مـــن الشيوعية · هكذا تتوحد الرؤية الماركسية من بدء الوجود الى نهايته · في كل مقولة فروع من القول لا تفلت من حدود النظرية الواحدة الشاملة· من تلك المقولات الفرعية ان النظام السياسي والفكري والروحي والفني والخلقي في كل مجتمع هو انعكاس لاسلوب انتاج الحياة الماديـــة · يسمون الاول البناء الفوقى يسمون الثاني البناء التحتي · الاول قائم على الثاني فهو تابع له · يقوم ما قام ويتغير ما تغير وينهـــار ما انهار · ان سلمنا بهذا كان هذا منا تسليما بالمادية الجدلية كمنهج · ان سلمنا بالمادية الجدلية كمنهج كان هــذا منـــا تسليمـــا بالمادية كفلسفة · التلفيق او الانتقـــاء لا يجدي شيئا ·

تلك هي النظرية الماركسية ·

وجاء التطبيق منذ سنة ١٩١٧ والماركسيون يحاولون صياغة الحياة في مجتمعاتهم على هدى نظريتهم · لم تصدق النظرية في الممارسة · انشقوا آحزابا · حزب يدين اصحاب الممارسة ويتمسك بالنظرية · حزب يطور النظرية لتلتقـــى بالممارسة · حزب يلفق بين الممارسة والنظرية · حزب يسقط الفلسفة ويبقى على المنهج · حزب يسقط الفلسفة والمنهج ويبقى على المادية التاريخية · واصبحت الماركسية مدارس شتى ·

الفكر القومي التقدمي بدأ بداية مختلفة · كانت الممارسة هي الاصل · جرب واخطأ وصحح اخطاءه ثم عاد فاخطأ وصحح ·· من خلال الممارسة وعلى مدارها الزماني كـــان ينضج رويدا رويدا · تعلم من الممارســـة القيمـــة الكبرى

للانسان · منحـــه الاولويـــة فأرسى اولى دعائم نظريته · الفلسفة الانسانية · المنهج الانساني · التاريخ كان مـــن صنع الانسان· المستقبلللانسان· من الماضيالى المستقبليقود في الانسان مسيرة التطور · تحددت أغلب معالم النظرية · اصبح للفكر القومي التقدمي نظرية · ان لم تكن مصوغة في كتاب واحد فهي متناثرة في كتب ووثائق عدة · تتجه مـــن التناثر الى التجمع · من التجزؤ الى الوحدة · من السيولة الى التبلور · من النشوء الى النضـج ·

نظرية تتبلور مصادر شتى ·
ونظرية مبلورة تتفسخ مذاهب شتى ·
نظرية تولد من رحم الممارسة ·
ونظرية تموت من معاناة الممارسة ·

وفي الوطن العربي تقف النظريتان وجهـــا لوجه · وتدور بين القوميين والتقدميين والماركسيين معركة فكريـــة دخلتها « الشورى » منذ البداية· النصر معقود لنظريتنا · هذا لا شك فيه · يعرفه الماركسيون انفسهم · اذ من بـــين ما يعرفون ان المستقبل للجديد الذي يحمل في ذاتـــه كـــل ايجابيات ما مضى· وينفض عنه كل ما استحق الموت· الا ان النصر ليس سهلا · فليست الماركسية نظرية هينة · هي بعد ما تزال قادرة على الدفاع · وليس الماركسيون هينين · هم اكثـــر من القوميـــن التقدميين درايـــة بفنون النضـــال الفكري · ينبغي على الشباب العربي الذي يدخل المعركـــة حديثا ان ينتبه ·

اقول بعد ان شبت في خضم المعركة · انتبهوا الـــى امرين وانتم تلتحمون بالماركسيين في معرككتم الفكريـــة ·

الامر الاول :

ان الماركسيين يتراجعون عن نظريتهم وهم يراجعونها على ضوء ما تسفر عنه الممارسة · لا تهاجموا التراجع او المراجعة · ساعدوهم · شجعوهم · ان مصلحة الفكر القومي التقدمي متحققة لو كسب منكانوا يوما ماركسيين· لنيكسبهم الا أن اكملوا مراجعة نظريتهم فأكملوا تراجعهم · ليس لنا مصلحة في ادانة اقترابهم منا · ادانة المراجعة والتراجع تحملهم على التوقف او النكوص دفاعا عن ذاتالمواقف التي نريد لهم ان يتراجعوا عنها · ليحتفظوا بالعناوين الماركسية كما يريدون · يكفينا مرحليا ان يتبنوا افكارنا ولو تحت عناوينهم · غدا ستسقط العناوين ايضا · نكون قد انتصرنا · يكونون هم قد اهتدوا ولا نقول انهزموا · لا نريد لهم الهزيمة بل نريد لهم ان يصبحوا قوميين تقدميين · الغاية النهائية لنضالنا الفكري ان يلتقي الشباب العربي على نظريتنا لنكون اقدر على تحويلها الى واقع حي · ليس من غاياتنا الاستعلاء على الماركسيين او التشهير بهم او صدهم عنا وعن افكارنا · كلما أقروا بالخطأ نحمد الله ونطوى صفحة لنبدأ معهم صفحة جديدة · أما المعارك العنترية التي لا نريد من ورائها الا الانتصار عليهم في مظاهرة فكرية فهي معارك طفولية ترضى غرورنا ولا تتقدم بنا خطوة نحو غايتنا ·

الامر الثاني :

الا نحمل عناوينهم على افكارنا · الا نصوغ افكارنا بكلماتهم · قد نعنى بها غير ما يعنونه · لكننا نخسر معركة فكرية كلما قدمنا فكرنا القومي التقدمي الى من يقرأونه أو يستمعون اليه مغلفا بإردية ماركسية · سنأخذ على واحدة

من ثلاث · اما اننا ماركسيون ـ كما يبدو من اسلوب التعبير ـ غير واعين الماركسية ـ كما يبدو من المضمون ، واما اننا قوميون تقدميون ـ كما يبدو من المضمون ـ عاجزون عن التعبير ـ كما يبدو من اسلوب التعبير · واما اننا ملفقون وهذه هي ثالثة الاثافي · وثالثة الاثافي هي قطعة الحجر الثالثة تضاف اليها قطعتان لتوقد بينها النار وهي تحمل الوعاء · قد تحمل بدل الوعاء سفودا · كأننا لو قدمنا فكرنا القومي التقدمي مغلفا بأردية الماركسية غير واعين او عاجزين او ملفقين شوانا القراء او سلقونا في اناء من النقد قائم على ثلاث اثفيات · وفي كل الحالات يشكون في صحة الفكر القومي التقدمي ما دام اصحابه يعبرون عنه تعبير غير الواثقين بافكارهم مضمونا وتعبيرا ·

اقول قولي هذا تعليقا على فقرة جاءت في مقال محمد عبد الشفيع عن « الثورة العربية ومعطيات التخلف الاقتصادي » · المقال جيد · اكثر من جيد في الواقع برغم ما فيه من تكرار وعودة في نهايته الى مقدمته بحجة انه يكتب الخلاصة · ينبيء محمد عبد الشفيع بان يكون واحدا من الكتاب القوميين الذين يحسنون الحديث عن قضايا امتهم · لكنه نسي انه بمقاله يدخل معركة فقال :

« ·· وبعبارة اخرى ان اقامة البنيان الاقتصادي الجديد تنمية عربية متكاملة رهن باقامة علاقات اقتصادية جديدة ، علاقات انتاج وتوزيع وتبادل ··

ثم اضاف :

« ان تشييد العلاقات الاقتصادية الجديدة لا بد له ان يتم من خلال بناء علوي جديد ـ سياسات واجراءات واشكال تنظيمية ـ تعكس تلك العلاقات الجديدة وتطورها في

نفس الوقت : فما مضمون هذا البناء العلوي الجديد ؟

«ان هذا المضمون يتحدد في وجود هيئة او سلطة عليا لها حق التقرير (السياسي) والتشريع (القانوني) والتوجيه المركزي (التنفيذي) للاجزاء العربية ، والتي تكون بهـــذه المقومات (وحدةسياسية واحدة) وان كانت اقامة هذهالوحدة السياسية الجديـــدة ليست مهمـــة مـــن مهام البناء العلوي التلقائية وانما هي على العكس الشرط المسبق لصياغة مجمل البناء الموضوعي التحتي والفوقي كله ٠٠٠»

لنحلل ما قال لنعرف ماذا اراد ان يقول حتى نكتشف كيف ربك فكرته فارتبك هو واربكنا معه لمجرد حرصه غيـر المبرر على استعمال كلمات « البناء العلوي والبناء التحتي » هو يقول ان تشييد العلاقات الاقتصادية الجديدة لا بد له من ان يتم من خلال بناء علوي جديد ٠ وان هذا البناء العلوي الجديد الذي يتم من خلاله بناء العلاقات الاقتصادية الجديدة هـــو « وحدة سياسية واحدة » (دولة الوحدة) ٠٠ التي هي شرط مسبق لصياغة مجمل البناء الموضوعي التحتي ٠٠ كل هـــذا يتفق مع معطيات الفكر القومي التقدمي الذي يرى ان قيـــام دولة الوحدة هو المدخل الصحيح لاعادة صياغة العلاقـــات الاقتصاديةفي الوطن العربي على اساس ان دولة الوحدة هي اداة الصياغة وشرطها المسبـــق ٠ لكن هـــذا لا يتفق مـــع اعتبار الدولة بناء فوقيا قائمـــا على اساس العلاقـــات الاقتصادية التـــي تمثل ـ ماركسيـــا ـ البنـــاء التحتي ، والاساسي ، والشرط المسبق لاي بناء فوقي ٠ ان ما يريد ان يقوله وهو يستعير من الماركسيين تعبيرين شهيرين لا يتفـــق مع دلالة هذين التعبيرين بل هو عكس دلالتهما ٠ ودلالتهمـــا غير قابلة للتغير او الانتقاء لانها مستمدة من مقولة اكثـــر

عمقا هي ان اسلوب انتاج الحياة المادية يحدد حتما البناء السياسي والفكري ·· الخ · وقد عبر الكاتب نفسه عن التناقض بين ما يريد ان يقول وبين ما تعنيه الكلمات التي استعارها بأن ناقض فكرته ببعض صياغتها ·

فالقول بأن تشييد العلاقات الاقتصادية الجديدة لا بد له ان يتم من خلال بناء علوي جديد ، يعني اسبقية البناء العلوي بحيث « تعكسه » العلاقات الاقتصادية الجديدة (التحتية) اذ هو الذي حدد مسبقا مضمونها · لكنه اضاف الى ذلك البناء العلوي الجديد سياسات واجراءات واشكال تنظيمية تعكس العلاقات الاقتصادية الجديدة · وهو قول ينقض آخره واوله · ثم اراد في النهاية ان يلقي عن كاهله عبء التناقض بين المضمون والصياغة المستعارة فقال ان البناء العلوي شرط مسبق لصياغة مجمل البناء الموضوعي التحتي والفوقي كله ·· هكذا الغى كل دلالة للتفرقة بين ما يسمى البناء العلوي والبناء التحتي ·· اعني دلالة ماركسية بأن جمعهما معا كموضوعين لارادة فاعلة خارجهما فعاد الى منابع الفكر القومي والتقدمي الذي يعترف بقيادة الانسان · لماذا كل هذا ؟ ·

ليست المشكلة كامنة في دلالة الالفاظ · قد تمر الالفاظ تحت نظر القارىء فلا يفطن الى ما تنقضي به المضمون · المشكلة ان محمد عبد الشفيع كما يبدو من مقاله ، ليس في حاجة الى استعارة الكلمات من التراث الماركسي· الاستعارة اذن متعمدة · فيثور سؤال : هل هو ماركسي يستعير افكارا قومية ، ام هو قومي يستعير افكارا ماركسية ، ام هو ناشيء يلفق بين الفكر الماركسي والفكر القومي في بناء مضطرب ؟··

ان كان قوميا ـ كما يبدو من مضمون فكرته ـ فعليه ان يصوغ افكاره على الوجه الذي لا يسمح بالشك في موقفه • وان لم يجد فعليه ان ينحت من لغته العربية ما يريد من صيغ لا تختلط بالصيغ التي يستعملها الطرف الاخر في المعركة الفكرية القائمة بين القوميين التقدميين والماركسيين وهو يعني بها غير ما يعنون •

تلك خبرة رجل شاب في المعركة يقدمها الى الجيل الجديد من القوميين التقدميين عسى ان يحققوا النصر الحاسم الذي يستحقه فكرهم القومي التقدمي •

هفوة استاذ :

لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة • دعوة عربية الى التسامح • التسامح لا ينفي العتب • نعتب ونتسامح فنبقى على المودة • هفوة العدد الرابع من الشورى جاءت من استاذ ناضج • ما دام ناضجا فلا مكان له على السفود • نحن اذن نعاتبه • صاحبنا الدكتور عودة بطرس عودة كتب مقالا عن « مفهوم المسئولية القومية تجاه القضية الفلسطينية مرحليا » • مقال ناضج بقلم استاذ ناضج • مع ذلك ففي المقال هفوة • هفوة خطيرة • ناخذها منطلقا للحديث الى الجيل الجديد من الشباب العربي حديثا يتضمن على هامشه عتبا موجها الى صاحب المقال •

قال الدكتور عودة :

« •• ما يستحق الوقفة والتأمل هو ان هذا التلاقي بين دولتي القمة الدولية لم يحقق حتى الان الهدف الذي تسعيان اليه رغم اختلاف دوافعهما الاستراتيجية وهو : تثبيت وجود اسرائيل لتصبح وجودا قانونيا •

« انهما تعرفان حق المعرفة انه لا يمكن بلوغ هـذا الهدف الا اذا تحقق احد شرطين لا ثالث لهما :

« الشرط الاول: اما ان ينتهي الشعب العربي الفلسطيني وتستدرج الانظمة العربية الى الصلح مع اسرائيل . وقد فشلت جميع المؤامرات والمخططات التي تزعمتها الولايات المتحدة الامريكية لتحقيق ذلك بفضل صلابة ارادة الشعب العربي الفلسطيني والمسئولية القومية التي تحملتها الثورة العربية بقيادة القائد المعلم جمال عبد الناصر تجاه القضية الفلسطينية .

« الشرط الثاني : واما ان يستدرج الشعب العربي الفلسطيني بالاغراء أو بأي شكل من الاشكال للمشاركة في ما يسمى بالتسوية السلمية لازمة الشرق الاوسط . وهذا ما تحاوله الان القمة الدولية » .

اذن ، فان الدكتور عودة ينقل الى قراء الشورى مقولة محددة ، ان وجود اسرائيل يصبح قانونيا اذا اعترفت بها النظم العربية او اعترف بها الشعب العربي الفلسطيني .

ضد هذا القول بالذات يقف الفكر القومي التقدمي بحزم وحسم ليقول : لا . ان وجود اسرائيل لن يصبح قانونيا ولو اعترفت بها النظم العربية . لن يصبح قانونيا ولو اعترف بها الشعب العربي الفلسطيني . لن يصبح قانونيا ولو اعترفت بها النظم العربية والشعب العربي الفلسطيني معا . الفكر القومي التقدمي لا يعلق قانونية وجود اسرائيل وعدم قانونيته على مواقف ارادية سواء كانت ارادة قيادات او ارادة نظم او ارادة شعوب . لماذا ؟.

الاجابة خلال البناء المتراكب للفكر القومي التقدمي الذي

يساند بعضه بعضا فتكون منه وحدة نظرية غير قابلة للاخلال ٠

قال محمد السخاوي في مقاله الجيد المنشور في العدد الرابع ذاته تحت عنوان : « مسئوليتنا القومية والتوازن الدولي » :

« ٠٠ ان الارض العربية ـ المفهوم المادي للوطن العربي ـ هي ملكية تاريخية خاصة بالشعب العربي ومشتركة فيما بينه وبالتالي فهي ملكية تاريخية مشتركة لكل الاجيال العربية السابقة واللاحقة والحالية ٠ فلا احد يملك الحق في التنازل عن اي جزء من الوطن العربي لانه ليس حقا خالصا له وانما هو ـ اي الوطن ـ حق تاريخي مشترك لكل العرب ٠ كما ان الشعب العربي الآن (الذي) يتمثل في الجيل الراهن لا يملك الحق في التنازل عن اي جزء من وطنه لشعب اخر او امة اخرى لان الوطن العربي ليس ملكا خالصا للجيل العربي الراهن وانما هو ملكية تاريخية مشتركة لكل الاجيال العربية اللاحقة ٠ كما انه لا يستطيع اي جزء من الشعب العربي ـ حتى ولو كان الشعب العربي في فلسطين ـ ان يتنازل عن فلسطين ـ حتى ولو جزء من فلسطين ـ لقوى الاستعمار ، والصهيونية ـ لان فلسطين ليست ملكا خالصا للفلسطينيين وانما هي ملك لكل الشعب العربي ولكل الاجيال العربية ٠٠ » ٠

هذه خلاصة الموقف القومي الصحيح من مشكلة الاعتراف وعدم الاعتراف بالوجود الاسرائيلي ٠ ان الفكر القومي التقدمي يرفض ـ على ذات الاساس العقائدي ـ شرعية الدول العربية ذاتها من حيث هي تجسيد سياسي للتجزئة ، فهل يمكن

للمفكر القومي التقدمي ان يعلق شرعية الوجود الاسرائيلي على ارادة النظم او ارادة المنظمات ؟٠٠ لا٠ للاقليمية منطق اخر٠ كل شعب عربي يملك وطنه ٠ الشعب الفلسطيني يملك ارض فلسطين ٠ فكما يستطيع نظام عربي ان يعترف باسرائيل ٠ قد « يستدرج » الشعب الفلسطيني فيعترف بها ٠٠٠ فيكـون وجود اسرائيل قد اصبح قانونيا ٠ اذا سلمنا بهـــذا المنطق فقد فتحنا لاعداء امتنا الطريق الذي يقطع المسيرة القومية٠ الحصول على الاعتراف بالوجود الاسرائيلي دفعة واحـدة او على دفعات ، صراحة او ضمنا ، من نظام عربي اثـــر نظام ، قهرا او تـــآمرا او استدراجا الى ان تضيق الارض بالشعب العربي في فلسطين فيعترف هو الاخر ٠٠٠ وتنتهي المشكلة فيما يظنون ٠

هذا ما يحاولونه ٠

هذا ما يفزع الدكتور عودة فيصرخ في مقاله محذرا النظم والمنظمات ٠ من حقه ان يفزع ٠ من حقه ان يصرخ محذرا لكن ليس مـــن منطلق « المسئوليـــة القومية » التي اختارها عنوانا لمقاله ٠ من منطلق المسئولية القومية نكمل ما قاله محمد السخاوي فنقول :

أيها السادة اصحاب النظم والمنظمات ٠

ان اعتراف العالـــم كله باسرائيـــل لم يضـف على وجودها اية شرعية ٠ والا لمـــا قاتلت اولا لترغمكـم على الاعتراف بها ٠ والا لما قبلت مفاوضتكم اخيرا لتستدرجكم الى الاعتراف بها ٠ الاعتراف ايها السادة لا يلزم الا من صدر منه٠ راجعوا قواعد القانون الدولي٠ عندما تعترفون باسرائيل لا تمنحونها شرعية الوجود فهذا لا تملكونه ٠ انتـم تلزمون نظمكم ومنظماتكم التصالح والتعامل مع اسرائيل ، لا اكثر

من هذا • فلا تفعلــون الا الخروج على الثورة العربيــة والوقوف مــع اعداء امتكم • تعزلون انفسكم • تلوثــون تاريخكم • ثم يبقى الوجود الاسرائيلي غير مشروع تعصف به الثورة العربية عاجلا او آجلا لا تلزمها حجة مما فعلتم • وعندما تتحرر فلسطين وتزول دولة اسرائيل يزول معها كل اعتراف سابق ، سواء كان صادرا منكم او كان صادرا من دول اخرى • انكم اذن تدفعون ثمنا فادحا في مقابل بضاعة فاسدة •• وان كان القوميون يحذرونكم الان فليس مرجع هذا الى اعترافهم بنفاذ ارادتكم في الاعتراف باسرائيل ،بل ليجنبوكم هاوية تاريخيــة اولا ، ثم ليوفروا على الثــورة العربية بعض الجهود التي تحملونها اياه باعترافكم • اذ ، لا يخفى عليكم ـ رجاء ـ انه عندما تقتحم الثورة العربيــة ساحة المعركة ممثلة للشعب العربي كله ستعصف بالمعترفين والمعترف بهم جميعا •• وفاء منها « بالمسؤولية القومية » •

ويا اخ عودة • ان ما يفزعك الان وتحذر منه الثــورة « الفلسطينية » ليس الا المحصلة النهائية لاقليمية الثــورة ذاتها او قبولها الاقليمية • منذ ان قيل ان مسئولية تحريــر فلسطين تقع على عاتق شعب فلسطين ومنذ ان قبلت الثورة تلك المسئولية الاقليمية عزلوها او عزلت نفسها عن نطــاق « المسئولية القومية » وقبلت ان تكــون منظمة فلسطينيــة حتى تصلح لتكون نظاما فلسطينيا • فلا تداوي الثورة بمــا كان داءها • ان الثورة تحتاج الى ثورة لتصحح هويتهــا فحرض المؤمنين على القتال •

انــذار :

الى الاخ صاحب الصور المطبوعة على غلاف الشورى•

يا اخانا · ارجو الا تظن انك حر في ان تضع على غـــلاف الشورى ما تشاء من خطوط والوان · ان كنت حرا في ان تخطط وتلون مـــا تشـــاء فالقـــراء احرار في ان يحفظوا ابصارهم بعيدا عما يخدش الحس بالجمـــال · ما الـــذي تريده منا ؟·· الا نشتري الشورى ؟··· ام ننزع غلافهـــا حتى لا نضطر الى النظر الى ما ترسم · لا تحتج بحريـــة الخلق الفني وذاتية الفنان الخلاق· اننا نعرف من كل هذا ما يكفي لنقول لك ان الفن ـ قبل كل شيء ـ خلق جمالي · وان له مقاييس موضوعية لا تهدر باسم الذاتية لانهـا ذات القواعد العلمية للتعبير عن الـــذات · وانما لنراك فيمـــا ترسم « متساهلا » كانك تظن انك حر في ان تضع على غلاف الشورى ما تشاء من خطوط والوان · فاما ان تجـد فتجتهد فتجيد واما ان نقترح على مجلة الشورى ان تغير جلدها ···

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ·

القاهرة ٢٧ تموز (يوليو) ١٩٧٤

٤

التعب الموهوم

جاءني العـــدد الخامس من « الشورى » في اليـــوم العاشر مـــن آب (اغسطس) ٠ في آب احاول ـ كما يفعل كثير من الناس ـ ان ارتـــاح٠ شهر آب هو شهر الراحة ٠ منذ ان عرفنا ان للراحة شهرا ـ او شهريـــن حسب المقدرة المالية ـ ونحن نهيء انفسنا للراحـــة في آب٠ كنت اشعر شعورا حادا بالحاجة الى الراحة ٠ ثم جاءت «الشورى»٠ نقد «الشورى» غير مريح ٠ هل اعتذر ؟ نقرأ اولا في الشورى ثم نعتذر ٠ قرأت قراءة التعب (بفتح التاء وكسر العين) ٠ التعب (بفتح التاء والعين) يشتت الانتباه ويضعف المقدرة عـــلى التركيز ٠ عندما نتعب نطلب الراحة ٠ هكذا يقولون ٠ هـــو قول غير صحيح ٠

السؤال هو : هـــل نطلب الراحة لاننا تعبنا او نطلب راحة حتى لا نتعب ؟

نطلب راحة حتى لا نتعب ؟

ما نسميه التعب هو احساس ينبه الى ان الجسم على وشك الانهاك ٠ نطلب الراحة حتى لا نصل الى حد الانهاك٠ الانهاك هو التعب الموضوعي ٠ عجز الجسم بيولوجيا عـــن

الاستمرار في الجهد · نبذل جهدا · نحرق خلايا لنمد الجسم بالطاقة اللازمة للفعل · نعوض الخلايـــا اولا بأول · نفرز حامض اللبنيك · يضعف رويـــدا رويدا معدل التعويض · نقترب من حد الانهاك · يصدر العضو المجهد رسائل كهربية الى المخ منبها الى انه على وشك التوقف عجزا · تصـــل الرسائل الى الفحص الجبهـــي (جهاز الفعل الارادي) · يصدر امرا بالكف عن العمل حتى لا نتعب · حتى لا نصـل الى حد الانهاك والعجز · الى هنا يكون التعب حقا ويكون طلب الراحة صدقا · في الحق لا يجدي التحايل · لا بد من الراحة ·

النفس الانسانية اكثر تعقيدا من هذا بكثير ·

هناك تعب موهوم · نشعر بالتعب لاننا ـ على وجه ـ نريد ان نتعب · وليس لاننا قد بذلنا جهدا متعبا · لم يكـن هذا معروفا · عرف بعد ان اخترع الايطالي موسو جهـازا لقياس التعب · اسم الجهاز « ارجوجراف » · تبين مـــن التجريب المعملي للتعب وقياسه ان الظواهر البيولوجية التي تولد الاحساس بالتعب يمكـــن توليدهـــا هي باصطنـــاع الاحساس بالتعب · عندما تقتنع باننا على وشك الانهاك ، نحس بالتعب ويبدأ الجسم في تعويض جهد لم يبذل اصلا · يأتي الاقتناع بتقدير الجهد المطلوب فيكيف الجسم ذاته عـلى بذل طاقة مقدرة سلفا لعمل معين · اذا انتهت الطاقة المقدرة ولم يتم انجاز العمل يحس الانسان بهبوط حاد في المقدرة على الاستمرار · يحس بـــالتعب · بيولوجيـا يكون قادرا على الاستمرار · نفسيا يكون قد اوشك على الانهاك · هذا تعب موهوم · نعرفه عندما نتعرض لمنبه جديد فنكتشف اننا مـــا زلنا قادرين على العمل ·

منذ بدء العام نعد انفسنـــا للراحة في آب · قبل ان نبدأ العمل نجهز المكان والمقر للراحة · طوال العام ونحـن نترقب آب لنرتاح ترقبا مقطوع الصلة بما نبذل من جهـد · طوال العام ونحن نحشد طاقاتنا حشدا مقدرا بنهاية تموز (يوليو) · عندما يوشك تموز ان ينتهي نكون في حاجة الى الراحة · لا لاننا قد بذلنا جهدا يوشك ان ينهكنا ، ولكــن لان آب قد اوشك ان يبدأ · وآب شهر الراحة ·

في مثـــل هذه الحالة جاءني العدد الخامس مـــن « الشورى » فقرأته قراءة التعب اقرأه ثم اعتذر · اكتشفت انه تعب موهوم · تعب آب · ما ان قرأته حتى عاد شتـــات الانتباه الى وحدته · تبينت انني لم اكن ابدا في حاجة الى الراحة · الواقع انني لم ابذل طوال العام جهدا يستحق ان اعوضه · بلغت مقدرتي على بـــذل الجهد حدا يسر لي ان اعود الى قراءة كتاب « الاقليمية الجديدة » الذي عرضتـــه الشورى في عددها الخامس · كنت قد قرأته حين صـــدر اول مرة · قرأت العرض فأدركت ان الذي عرضه يحتـــاج الى الراحة · ظلم الكتاب ومؤلفه وظلم قـــراء « الشورى » عندما اخل اخلالا شديدا بمضمون واحد من الكتب الجيدة لواحد من المجتهدين في الفكر القومي التقدمي · الى هذا الحد اعادت الي « الشورى » انتباهي المشتت ومقدرتي الضائعـة على التركيز ·

كتاب مظلوم :

الاخ عبد الله محمد الريماوي واحد من كبار الذيـــن ثابروا على الاجتهاد في الفكر القومي التقدمي · منذ عـــام ١٩٥٩ لم يكف عن الكتابة · اول ما كتب لم ينشر · كان عن

ازمة حزب البعث الذي كان الريماوي واحدا من قادته · كتب بعد هذا كتبا عدة حاول فيها ارساء قاعدة نظرية للثورة العربية · آخرها كان « البيان القومي الثوري » (من جزئين)· كان ذلك قبل هزيمة ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ · يسميها الريماوي بنكسة الاندحار · اثرت النكسة تأثيرا قويا في عبد الله محمد الريماوي على المستويين النفسي والفكري · كان شأنه في هذا شأن كثير من القوميين المخلصين لتجربة الثورة قبل ١٩٦٧ · رد الريماوي على « نكسة الاندحار » بكتابه « الاقليمية الجديدة » · يستحق هذا الكتاب ان يقرأ لثلاثة اسباب · من اجلها نحرض الشباب القومي على قراءته ·

السبب الاول : انه حلقة من سلسلة من الكتب التي كتبها عبد الله محمد الريماوي · وعبد الله محمد الريماوي يحاول في كتبه أن يقدم جوابا على السؤال الذي ما يزال يشغل الشباب القومي : ما هي نظرة الثورة العربية · من هنا كان واجبا على كل شاب قومي يبحث جادا عن الجواب ان يقرأ كل ما كتب عبد الله محمد الريماوي بما فيها كتابه « الاقليمية الجديدة » ·

السبب الثاني : ان كتاب « الاقليمية الجديدة » يتضمن تطورا او تطويرا لفكر الريماوي على ضوء هزيمة ١٩٦٧ · من هنا يعتبر نموذجا صالحا لمعرفة اثر تلك الهزيمة على تطور او تطوير الفكر القومي التقدمي عامة او في واحد من اتجاهاته على الاقل ·

السبب الثالث : ان كتاب « الاقليمية الجديدة » · وثيقة اتهام ضد المسئولين عن «نكسة الاندحار» · نقصد وثيقة فكرية ونضالية معا · عبد الله محمد الريماوي ليس مفكرا

مجتهدا فقط بل هو ايضا مناضل ساهم ايجابيا في المعارك القومية وانحاز الى قيادة عبد الناصر سنة ١٩٥٦ فأدان حزب البعث العربي الاشتراكي واسس «حزب البعث العربي الاشتراكي الثوري» الذي لم تطل حياته حتى يختبر نضاليا ٠ من هنا فان الكتاب اتهام من داخل القوى القومية التقدمية او «نقد ذاتي» وليس اتهاما من خارجها ٠ ويهم الشباب القومي ان يقرأوا نقدا ذاتيا لا شبهة في اخلاصه لغاياتهم الاستراتيجية ٠

وبعد ،

فالكتاب من ٢١٣ صفحة ٠ منها ١٣٨ صفحة مخصصة لدراسة « الاقليمية » قبل الدخول في موضوع الكتاب « الاقليمية الجديدة » ٠ يقول الريماوي في صفحة ١٤٠ « ان الابواب السابقة من هذا الكتاب كانت مقدمة ضرورية حددنا فيها ظاهرة الاقليمية العامة تحديدا واقعيا وتاريخيا واضحا ، فحددنا مصالحها وقواها وتابعنا تأريخ نشوئها ونموها تمهيدا لبيان نشوء الاقليمية وتطورها وملامحها ومن ثم لتقييمها » ٠

فماذا فعلت « الشورى » فيما عرضت ؟

لخصت هذا الجزء العام الذي لا يعدو ان يكون مقدمة لموضوع الكتاب ٠ لم تعرض « الشورى » اذن على قرائها شيئا عن الاقليمية الجديدة ، كما طرحها المؤلف في كتابه ٠ هذا ظلم بين للكتاب والمؤلف والقراء ٠ اقتصر العرض على مقدمته ٠ حرم المؤلف من حق طرح افكاره كاملة ٠ حرم القراء من معرفة ما هي الاقليمية الجديدة كيف نشأت وكيف تطورت وموقفها من قوى الثورة العربية ، ومسئوليتها عن « نكسة الاندحار » وما تحمله من مخاطر على مستقبل

النضال القومي · يكفي ان نشير الى ان عبد الله محمد الريماوي بعد ان حدد الاقليمية القديمة (المرتبطة بالاستعمار) والاقليمية الشيوعية ، والاقليمية البترولية ، كقوى اقليمية تقليدية قال ان « الاقليمية الجديدة » اشد خطرا على مستقبل الامة العربية من الاقليمية القديمة والاقليمية الشيوعية والاقليمية البترولية ·

قال في صفحة ١٤٦ :

« ولقد ترتب على ما تقدم ان اصبحت قوى الاقليمية التقليدية على مختلف صورها وشعاراتها قوى عارية مفضوحة امام الجماهير العربية ، غير قادرة على تضليلها او ارباكها حتى لو كانت قادرة ـ مؤقتا ـ على قهرها · واصبحت العلاقة بين القضية العربية وقواها الثورية من جهة وبين الاقليمية التقليدية وقواها الرجعية من جهة اخرى علاقة العداء الصريح والصراع السافر ·

« وهكذا فقد اصبح خطر الاقليمية التقليدية وقواها المذكورة على القضية العربية هو خطر الاعداء الواضحين الخارجين عن صفوف قوى هذه القضية المعزولين عنها كذلك ·

« ولكن الامر يختلف ـ اختلافا كبيرا ـ بصدد الاقليمية الجديدة وقواها · وذلك لانها تدعي العمل للقضية العربية وتدعي تجسيم الثورة والثورة العربية كمنهاج لهذا العمل ، بينما هي في الواقع ليست كذلك · ولانها تحاول ان تقف امام الجماهير العربيةفي موقع الثورة العربية بينما هي في موقع ادعيائها حيث تتمتع بقدرة على تضليل هذه الجماهير وارباكها وتمزيقها ·

لست اريد ان اقول من هم الذين كان يعنيهم عبد الله محمد الريماوي عندمـــا كتب ما كتب في شباط (فبراير) ١٩٧٠ ، لان غاية عرض اي كتـــاب ـ يا ايتها الشورى ـ تحريض القارىء على قراءته بـــاثارة اعجابه او فضوله ، وليس ـ كما فعلت الشورى ـ احبـــاط رغبته في ان يقرأ؟ ٠ لمجرد اثارة الفضول ، تحريضا على قراءة كتاب « الاقليمية الجديدة » ، اقول ان الذين يعنيهم عبد الله محمد الريماوي بالاقليمية الجديدة هم اولئك الذين كانوا سنة ١٩٦٧ فـــي مراكز القيادة من القـــوى التي نسميها « القوى العربيـــة التقدمية » ٠٠ لقد حاول ان يثبت انهم قد تحولوا الى صفوف الثورة المضادة بصرف النظر عن نواياهم ٠

ايها الشباب القومي ،

لا تتكلوا على مـــا عرضت « الشورى » في عددهـــا الخامس واقرأوا كتاب « الاقليمية الجديدة » لتغنوا معرفتكم باثر هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ في الفكر القومي ٠ ويا ايتهـــا « الشورى » حرضي الناس على قراءة الكتب ولا تصديها عن المعرفة بالعرض المخل ٠

عقدة المشكلة :

كان ادراك الظلم الذي وقع على واحد من المفكريـــن القوميين واحداً من اسباب التحرر من وهم التعب واكتشاف المقدرة على النشاط ٠ السبب الثاني كان موضوعا لو تحاور فيه اثنان فوق قبري لشاركت عظامي في الحوار ٠ انـــــه موضوع التنظيم القومـــي ٠ اقتـــرح على « الشورى » ان تخصص قسما ثابتا من كل عدد لنشر الـــدراسات والاراء وادارة الحوار حول موضوع التنظيم القومي ٠

« التنظيم والنظرية والنضال الثوري » كان عنـــوان مقال الاخ اياد سعيد ثابت · هل يعرف كل القراء الاخ اياد سعيد ثابت ؟

اقتـــرح على « الشورى » ان تتولى تعريف القــراء بالمناضلين القوميين · معرفـــة النـــاس لبعضهم بعضا اول شرط التقائهم · التقاؤهم اول شروط التحامهم · عندمـــا يلتحمون يولد التنظيم · عقدة مشكلـــة التنظيم القومي ان المناضلين غير قادرين على الالتحام· الاخ ايـــاد يعرف ان هذى هي العقدة · مقاله جيد ورصين · قرأته مرتين · المرة الاولى لاحيط بفكرته · المرة الثانية لافتش فيه عن حل عقدة المشكلة ·

قال الاخ اياد محللا للعقدة :

« ان ليبيا مدعوة اليوم كي تمارس مسؤولياتها في :

١ ـ العمل على توحيد التيار الناصري ·

٢ ـ التحام الثوار في ليبيا مع الثوار العرب لخلـــق اداة الثورة العربية الاشتراكية · ولكن يا اخ اياد من هـــم الثوار العرب ؟

اجاب مقدما : « ان هذه الساحـــة قد قدمت لنا الجزء الاكبر من الجواب على السؤال الحيوي المطروح من هـــو الانسان الثوري ؟··· فقد استطاعت هذه الساحة ان تحقق فرزا نوعيا لا يستهان به · انها قدمت الينا حصيلة لا بأس بها من الثوار العرب ممـــن توفرت فيهـــم ـ على الاقل ـ الحدود الدنيا لشروط الثورة · ان التحـــام هؤلاء الثوار سيحقق النواة المطلوبة » ·

لا شك في هذا يا اخ اياد · لا شك ان الانسان الثوري ليس قليلا في الارض العربية · لكن من الذي يفرزه ؟ يعينه ؟ يختاره ؟ يحكم بأنه هو الانسان الثوري وليس الاخر ؟ هذه هي العقدة في المشكلة · هذه هي الثغرة في مقالك القيم · ننتظر منك جوابا على هذا السؤال · ارجو الا يكون الجواب دعوة ليبيا الدولة او الثورة الى الانتقاء والاختيار · لقد انتقلت واختارت من قبل وكان مؤتمر القوى الوحدوية الناصرية الذي لم تبق منه الا ذكريات الفشل · لا تحمل ليبيا الثورة فوق طاقتها ·· رجاء ·

حديث الجبهة :

عبد الناصر يقود الجماهير العربية على امتدادالوطن العربي في معارك التحرر القومي · التنظيم القومي غائب · عبد الناصر يدعو الى الحركة العربية الواحدة · هذا من ناحية · من ناحية اخرى معارك التحرر تقتضي ان توحد القوى المختلفة اصلا قواها ضد العدو المشترك · تلك هي الجبهة · التقاء مرحلي مؤقت لتحقيق غاية مشتركة ثم تنفض الجبهة وتعود القوى المختلفة اصلا الى الصراع حول القضايا المؤجلة · لو كانت الحركة العربية الواحدة قائمة تحت قيادة عبد الناصر لدخل عبد الناصر بها في جبهة مع كل القوى ذات المصلحة في التحرر · لكنها غائبة · معارك التحرر لا تنتظر · لا بد من الجبهة بين القوى المتاحة · القوى المتاحة قوى اقليمية · فلتلتق في جبهة من اجل التحرر · الى ان تقوم الحركة العربية الواحدة ·

في اطار هذا الواقع دعا جمال عبد الناصر الى ان توحد القوى التقدمية في كل دولة عربية جهودها في جبهة

وطنية • كانت تلك دعوة صحيحةواقعيا وعلميا في اطـــار ظروفها الموضوعة •

لماذا ؟

قال الاخ صفوان قدسي في مقالة : « عبد الناصـــر والحركة العربية الواحدة » : « ان الجبهة الوطنية التقدمية في ظروف معينة هي الصيغـــة العملية لتحقيـق الوحـــدة الوطنية • والوحدة الوطنية المطلوبـة ليست سوى التجسيد العملي للفكرة القائلة انه فـــي مراحل معينة من التطـــور التاريخي لا تستطيع فئة بعينها ان تنفرد بقيادة العمـــل السياسي والوطني ، وانه يتوجب على كل القوى الوطنيـة التقدمية ان تشارك في قيادة العمل السياسي والوطني ، وان يكون لها دورها الفعال والمؤثر في صنع القرارات التـــي يترتب عليها مستقبل الوطن ومصيره » •

لماذا ؟

قال في موضوع آخر وتاكيدا لفكرته : « •• انه فـــي مواجهة عدو يحاول بالقوة المسلحة ان يضع يده على اجزاء عزيزة وغالية من ترابنا الوطني يلزم الا يكون هنـــاك اي تفريط باية طاقة متاحة دون الاستفادة منها في تعزيز قدرات الوطن ويلزم في الوقت نفسه حشد كل الطاقات وصبهـا في قناة العمل الوطني ••

كل هذا صحيح •

ثم بنى على هذا الاساس الصحيح بناء غير مستقر •

بدأ فقال قولا عاما : « ان الجبهة الوطنية التقدميـــة

ليست صيغة نهائية ، وانما هي مرحلة على طريق التنظيم السياسي الواحد • والجبهة الوطنية التقدمية تحمل مخاطر الانفجار والتمزق ما لم يرافقها جهد صبور للارتقاء بهذه الجبهة الى مستوى الوحدة التنظيمية والفكرية التي يقوم عليها التنظيم السياسي الواحد » •

ثم خصص فقال : « وعندما اعلن في شهر اذار عام ١٩٧٢ ميثاق الجبهة الوطنية التقدمية في القطر السوري العربي ، كان واضحا ان هذا الميثاق يشتمل على كل ما من شأنه ان ينتقل بالعمل السياسي والوطني الى مرحلة جديدة وكان واضحا ان هذا الميثاق يقدم صورة تفصيلية لطبيعة المهمة الموكولة الى الجبهة امر تحقيقها وانجازها • وكان واضحا ان هذا الميثاق يكرس الحقيقة القائلة ان الجبهة ليست صيغة نهائية للعمل السياسي ، وانما هي تمثل مرحلة على طريق التنظيم السياسي الواحد الذي يشكل هو بدوره مرحلة اخرى على طريق الحركة العربية الواحدة التي تعتبر بحق الصيغة المثلى للعمل العربي القومي الموحد •• » •

هكذا اراد الاخ صفوان قدسي ان يتحدث الى القراء تحت عنوان « عبد الناصر والحركة العربية الواحدة » ، حديثا استنفد نصفه في كسب تعاطف القراء عن طريق الاشادة بالقائد الخالد ليصل في النهاية الى ما كان يريده من البداية • كان يريد اقناع القراء بطريق خاص لبناء التنظيم القومي يتم على مراحل :

المرحلة الاولى : جبهة وطنية تقدمية في كل اقليم ٠

المرحلة الثانية : تتحول الجبهة الى تنظيم واحد في كل اقليم ٠

المرحلة الثالثة : تتحول التنظيمات الاقليمية الى تنظيم قومي واحد ٠

الاخ صفوان يعيد هنا ما بدات به الاحزاب الماركسية منذ ١٩٦٣ ونقلته عنها بعض الاحزاب ذات الاتجاهات القومية ٠ وقد كانت تلك دعوة مضادة ـ منذ بدايتها ـ لدعوة الحركة العربية الواحدة التي اعلنها جمال عبد الناصر سنة ١٩٦٣ ايضا ٠ اعتقد ايضا انها ما تزال حتى الان اشد الدعوات تعويقا لبناء التنظيم القومي رغم ما قد يكون وراءها من نوايا حسنة ٠

لماذا ؟

لان توالى المراحل التي يراهن عليها الاخ صفوان مستحيل ٠

١ ـ المرحلة الاولى اي قيام جبهة وطنية تقدمية في كل اقليم قابل للتحقق في ظروفه التي ابانها باكبر قدر من الوضوح الاخ صفوان ٠

٢ ـ المرحلة الثانية اي تحول الجبهة الوطنية التقدمية في كل اقليم الى تنظيم واحد مستحيل الا في حالتين ٠ وجه الاستحالة ان الجبهة تفترض الوجود السابق لقوى منظمة مختلفة في المنطلقات او الغايات تلتقي مرحليا في مواجهة خطر مشترك لتحقيق غاية معينة ٠ اما ان تنهزم الجبهة واما

ان تنتصر · ان انهزمت فقد انتهت · ان انتصرت اصبحت كل قوة منظمة ملزمة مبدئيا وحركيا بان تعود الى الممارسة طبقا لمنطلقاتها الخاصة الى غاياتها المتميزة · أي تعود قوى الجبهة جميعا الى المواقع الفكرية والحركية المختلفة التي بررت نشأتها المتعددة منذ البداية · ثم يبدأ الصراع الذي تأجل الى ان يتم النصر في النضال المشترك · يستحيل اذن ان تنتهي الجبهة الى الوحدة · قلنا الا في حالتين :

الحالة الاولى : ان يستغل الطرف الاقوى في الجبهة فترة التحالف الجبهوي لتصفية الوجود التنظيمي المستقل للاطراف الاخرى بسلبها كوادرها وقواعدها اما اقناعا او بوسائل اخرى · حينئذ تسفر الجبهة عن بقاء تنظيم واحد وتصفية الاخرين · لا يقال هنا ان الجبهة هي الطريق الى الوحدة ، ولكن يمكن ان يقال ان الجبهة ستار للتصفية لينفرد الاقوى بالوجود فيكون حزبا واحدا ·

الحالة الثانية : ان تكون الجبهة بين حزب منظم وبين « شلل » ملتفة حول قيادات فردية لا تملك عناصر التنظيم الجماهيري · حينئذ تكون الجبهة دعوة ذكية لامتصاص تلك الشلل او من يصلح من افرادها وهضمه في جسم الحزب القائد ·

ونترك للاخ صفوان ان يكتشف على ضوء هذا نوع الجبهة الوطنية التقدمية التي اعلن قيامها في القطر السوري في اذار ١٩٧٢ ومصيرها · انه ادرى منا بالواقع · نحن لا ندري الا ان حزب البعث في سورية قد شكل جبهة مع قوى ذات اسماء طبقا لميثاق اعلن ولكنه منذ ذلك التاريخ لم يعترف بشرعية تلك القوى ولم يسمح لاي منها بأن يكون لها منبر صحفي ثم زاد فاشترط لقبولها في

الجبهة الا تمارس اي نشاط في قطاعات شعبية محددة ٠ فقبلت ٠ فان اسفرت الجبهة الوطنية التقدمية في سورية عن تنظيم واحد فانه ـ يقينا ـ سيكون هو ذاته حزب البعث بمنطلقاته وغاياته واساليبه ٠

٣ ـ المرحلة الثالثة أي تحول الاحزاب او التنظيمات الاقليمية (اعني اقليمية التشكيل) الى تنظيم قومي واحد وهم مستحيل ٠ ذلك لان تلك المنظمات الاقليمية التي قبلت اولا ان تجسد التجزئة في ذاتها لا تستطيع ان تتجاوز ذاتها ٠ ومن حيث انها قبلت ان تكون اقليمية (اعني اقليمية التشكيل حتى لا اثير نقاشا حول الشعارات التي يمكن لاي واحد ان يرفعها) فانها قد قبلت التجزئة ٠ فان كانت اضعف من ان تتولى السلطة في اقطارها فانها لن تستطيع حتى الحوار بعضها مع بعض عبرحواجز التجزئة٠ فان استطاعت ان تتحاور وتلتقي وتتعاون فانها لن تصل الا الى ان تكون جبهة من منظمات اقليمية ٠ عندئذ يحتمي كل تنظيم باقليميته خوفا من مخاطر التصفية التي تكمن في صيغة الجبهة فتتكرس اقليميتها اكثر فاكثر ٠ اما اذا كانت من القوة بحيث استولت على السلطة فستتحول الى دولة اقليمية ٠ عندئذ تكون قيادتها ملتزمة بدستور دولتها٠ اول التزام في اي دستور هو الحفاظ على كيان الدولة٠٠٠ الخ ٠

الجبهة اذن يا اخ صفوان صيغة مطلوبة في ظروفها التي ابنتها في مقالك باكبر قدر من الوضوح٠ لكنها ليست طريقا الى وحدة التنظيم في اي اقليم ٠ لا وليست طريقا الى الحركة العربية الواحدة ٠ وعندما تطرح كطريق الى الحركة العربية الواحدة تسد الطريق على الجهود التي

تبذل من اجل قيام الحركة العربية الواحدة تنظيما قوميا يرفض منذ البداية ان يجسد التجزئة في ذاته • وعندما يقوم التنظيم القومي ممثلا لجماهير الامة العربية بصرف النظر عن انتمائها الاقليمي سيدخل في جبهة مع كل القوى التي تشاركه اهدافه المرحلية • فرجاء بارك ما شئت الجبهة الوطنية التقدمية في سوريا او في اي قطر عربي يعجبك ولكن بعيدا عن « عبد الناصر والحركة العربية الواحدة » اذ لا يخفى عليك ان عبد الناصر قد اعلن ان الحركة العربية الواحدة ضرورة تاريخية وحمل الشباب العربي مسئولية وجودها بعد فشل مشروع الوحدة الثلاثية سنة ١٩٦٣ بين مصر وسوريا والعراق • ولا يخفى عليك ان حوارا مضنيا قد دار في القاهرة بين عبد الناصر وممثلي حزب البعث في العراق وسورية واخرين انتهى الى اعلان الوحدة الفكرية بينهم في ميثاق فكري وقعوه جميعا ، والتزامهم بتحقيق الوحدة الثلاثية طبقا لدستور وضعوه ووقعوه جميعا ومع ذلك لم تتم الوحدة ••

انني احاول ان اكون هادئا فيما مسست به موضوعا لو تحاور فيه اثنان على قبري لهبت عظامي تشترك في الحوار • فاغفر لي ان كان قلمي قد افلت من محاولتي في أي موضع • وستغفر – قطعا – لو عرفت ما يمكن ان يرد به غيري على مثل ما قلت •

ان اردت ان تعرف فاقرأ كتاب « الاقليمية الجديدة »•

التعب الحق ؟

قلنا من قبل ان الفص الجبهي من المخ هو اداة الفعل الارادي • نقول الان انه يوجه الانفعالات ايضا عن طريق

تحكمه في موضع آخر من المخ يسمى القشرة الثلموسية • عندما يكون الفص الجبهي ذاته على وشك الانهاك لفرط ما بذل من جهد في الانتباه تفلت القشرة الثلموسية من حكمه جزئيا او كليا • هنا لا يشعر الانسان بتعب بل يشعر بانفعالات متضاربة • سأم • انقباض • قرف • او شيء من هذا القبيل • عندئذ يكون في حاجة حقيقية الى الراحة• اشعر الان بشيء كمرارة اليأس من الحديث ـ بعد كل تجاربنا ـ عن الجبهة وعلاقتها بالتنظيم القومي • لا من اثر ما نشر في الشورى فالواقع انني وجدت الحوار مع كتابها ممتعا • ولكن لاني تعب • قرأت الشورى اكثر من مرة ثم قرأت « الاقليمية الجديدة » وكتبت ما كتبت في وقت متصل •

الى اللقاء اذن بعد آب •

ولعل الاعداد التالية ان تكون في مستوى العدد الخامس •

حاشية :

يا اخ جمعة ، اين باب الوثائق ؟ هل إنتهت وثائق الثورة العربية ؟•• سيظهر هذا التعليق على العدد الخامس في العدد السابع الذي يصدر في السابع من تشرين (اكتوبر)• فلتنشر الشورى في ذلك العدد جانبا مما سجلته وثائق العدو وحلفائه عن بطولات الجندي العربي في معركة العاشر من رمضان • ولنصل جميعا ، يومئذ ، صلاة الغائب على ارواح شهدائنا الابرار •

القاهرة في ١٢ اغسطس ١٩٧٤

٥

الحق المر :

سأل ابو ذر الغفاري رضي الله عنه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يوصيه · اوصاه وصايا عديدة · منها واحدة تقول : « قل الحق وان كان مرا » · حفظ ابو ذر الغفاري ما اوصى به فعاش وحيدا ومات وحيدا ولسوف يبعث وحيدا · قبل ان يموت وحيدا قال فيه علي بن ابي طـــالب كرم الله وجهه : « لم يبق الآن احد لا يبالي في الله لوم لائم غير ابو ذر » · قال ابو ذر الغفاري مفسرا وحدته : « ما زال بي الامر بالمعـــروف والنهي عن المنكر حتى لم يبق لي قول الحـــق صديقا » ·

لا عليك ابا ذر · كنت بغير صديق · الآن انت قدوة · السنا نعود اليك بعد مئين من السنين نستمد شجاعة قـــول الحق المر من الانتساب الى اسمك ؟ ولسنا نبالي في الحق ان نفقد الاصدقاء الذين كتبوا العدد السادس من «الشورى» او غيرهم ·

نقول :

صدر الـــعدد السادس مـــن « الشورى » في ايلول

(سبتمبر) ١٩٧٤ · هو اول عدد من « الشورى » يصدر في ايلول (سبتمبر) · للامة العربية ذكريات مرتبطة بشهر ايلول (سبتمبر) · نذكر منها انفصال الاقليم الشمالي (سورية) من الجمهورية العربية المتحدة · نذكر منها ما جنت ايدي حسين بن طلال على الثوار في الاردن · نذكر منها استشهاد الزعيم القائد الخالد جمال عبد الناصر · نذكر منها ثورة الفاتح من سبتمبر في ليبيا ·· نذكر كل هذا وغيره فنشفق على مجلة « الشورى » مجلة الفكر القومي التقدمي · ان ايلول اختبار جدي لمجلة قومية تصدر في دولة · ما الذي ستقوله « الشورى » في ايلول (سبتمبر) وزحمة الذكريات فيه · هل تتذكر مع ثورة الفاتح من سبتمبر جريمة الانفصال ومذبحة المقاومة واستشهاد الزعيم القائد فتكون قد اطلت من نافذة شهر ايلول على الوطن العربي كله ام تحصر نفسها فتقصر رؤيتها على موقعها من الارض العربية فلا تذكر من ذكريات ايلول الا ثورة الفاتح من سبتمبر كأنها مجلة « الفكر الليبي » ·

لم تنجح الشورى في الاختبار ·

ليس في العدد السادس من « الشورى » كلمة واحدة عن جريمة الانفصال ·

ليس في العدد السادس من « الشورى » كلمة واحدة عن مذبحة المقاومة ·

ليس في العدد السادس من « الشورى » كلمة واحدة عن استشهاد الزعيم القائد ·

كل العدد السادس (اغلبه) ـ عن ليبيا وعن ثـورة الفاتح من سبتمبر · كأن ليس في الوطن العربي الا ليبيا · وكأن لم يقع في ايلول (سبتمبر) حـدث يستحق اهتمـام القوميين التقدميين ، عرضا ودراسة وحـوارا ، الا ثورة الفاتح من سبتمبر ·

نقول الحق ، والحـق مر ، ان العدد السادس مـن « الشورى » قد غلبت عليه الرؤية الاقليمية · الأنه تحـدث كثيرا عن ثورة الفاتح من سبتمبر ؟ ·· لا · ثورة الفاتح من سبتمبر تستحق الاشادة بمنجزاتها في عيدها الخامس · الأنه لم يتحدث الا عن ثورة الفاتح من سبتمبر ؟ ·· نعم · ان ايلول (سبتمبر) هو شهر الاحزان القومية · شهر التجارب القومية المرة · شهر الدروس والعبر لمن يريد ان يجنب امته مثل ما اصابها من انفصال سورية ، وذبح المقاومة ، وغياب الزعيم القائد · لست اتصور قوميا يحمل هموم امته يمر به ايلـول (سبتمبر) فلا يذكر احزانها فيرثي وحدتها المؤودة وثوارها المغدورين ، وقائدها الشهيد ، ثم يكفكف بعبـرة الدروس الماضية عبرات الجماهير العربية المسحوقة ويكشف لهـا طريقها الى مستقبل بدون احزان ·

مع ذلك فليس هذا هو كل شيء · ليس الاقتصار على الحديث عن ثورة الفاتح من سبتمبر هو الدليل الوحيد عـلى الرؤية الاقليمية التي طبعت العدد السادس من « الشورى » · الاكثر دلالة هو ان الحديث عن ثورة الفاتح من سبتمبر كان ترجمة لرؤية اقليمية للثورة ذاتها ·

مثال رقم ١ :

خالد ابراهيم · حكم بأن التنظيمات السياسية عـلى

اختلاف صيغهـــا واهدافها وعلى امتداد الساحـة العربية فشلت في تحقيق الحد الادنى من مسئولياتها الوطنية منهـا او القومية · ثم حكم بأن الشارع العربي الآن يعاني وكمـا لم يعان من قبل حالة من الذهـــول · لا تفصله عن حالــة اللامبالاة سوى مسافة قصيرة · ثم حكم بفقدان الاجابـــة على السؤال المطروح : كيف يمكن الوصول الى الاهــــداف القومية المنشودة ؟

تلك الاحكام كانت مقدمــــة لحديثه عن « المسئوليــة القومية ·· الاستعداد والمقدرة » الذي انتهى فيه الى مـا قاله : «نحن نواجه اذن تآمرا مدروسا ويجري تنفيذه فصــلا فصلا وتواجه الثورة العربية مسؤولية قومية يجب حملهـا ولأنه لا يكفي الاستعـــداد لحمل هــذه المسئولية مع فقدان القدرة على المضي ، ولا يكفـــي وجود القـــدرة مع فقدان الاستعداد فان من الطبيعي ان تنتهي المسئولية القومية الى مستعد قادر ولا نعتقد ان هناك سوى ثورة الفاتح من سبتمبر من يريد ان يحمل هذه المسئولية ومن يقدر على حملها » ·

مهلا يا اخ خالد :

ان الاعجاب بثورة الفاتح من سبتمبر يبرر تحميلهـــا ما تطيق من المسئولية القومية ، امـــا ان « تعتقد » ان ليس هناك سوى ثورة الفاتح من سبتمبر من يريد ان يحمل هـذه المسئوليـــة ومن يقدر على حملها فانك تحكم على الشعب العربي كله حكما منحازا لثورة الفاتح من سبتمبر · انــك تحكم بالعقم والعجز على امة كاملة لتضع المسئوليةالقومية كلها على عاتق فصيل من ابنائها · مع المسئولية القوميـــة كلها قيادة الامة كلها كما لا يخفى عليك · وتلك رؤية ضيقة بقدر ضيق الاقليم الذي تكتب فيه · قصيرة بقدر بعد علمك

بكل ما يحتضنه الشعب العربي من ارادة ومقدرة · تلك رؤية اقليمية لانها لا تستكشف الارادة القومية في الشعب العربي كله بل تقيس ارادة القوميين في اقليم على ما تعرف خارج الاقليم فتحكم بأن ليس هناك سوى ثورة الفاتح من سبتمبر من يريد ان يحمل هذه المسئولية ومن يقدر على حملها ·

ولماذا حكمت ؟

قلت : « لانها تقود ولا تحكم ، وبذلك فهي في منأى عن تطويق الثورة بالدولة » ·

هل انت واثق من هذا ؟·· اخشى ان تكون مبالغا في الاستهانة بمقدرة الدولة ـ اية دولة ـ على تطويق الثورة ، اية ثورة · وهي مبالغة نحذر منها القراء من الشباب العربي · فكم من ثورة ذهبت ضحيتها فتحولت الثورة الى اداة للدولة بالرغم من الحفاظ على الشعارات الاولى · المشكلة ليست سهلة الى الحد الذي حكمت به · اعني مشكلة الصراع بين الثورة « القومية » والدولة الاقليمية ·

ولنختبر ـ نظريا ـ بعض جوانب ذلك الصراع ·

فنسأل :

هل تستطيع اية ثورة في اية دولة عربية ان تصدر قانونا يؤكد هويتها القومية بأن تقول مثلا :

ـ « يعتبر كل عربي وافد الى « الدولة » او مقيم فيها من رعاياها فله كافة الحقوق وعليه كافة الالتزامات المقررة فيها بصرف النظر عن الدولة العربية التي يحمل جنسيتها » ·

او قانونا يقول :

« استثناء من قوانين « الدولة » التي تحـرم الاحزاب والمنظمات يباح للشعب العربي في « الدولة » والمقيمين فيهـا من ابناء الشعب العربي خارجهـا ، ان ينشطوا ، فكريـا وحركيا لتأسيس الحركة العربية الواحدة » ٠

او ٠٠٠٠٠٠٠ الخ ٠

اريد ان اقول للشباب العربي حذار من ان يصـل اعجابكم باية ثورة في دولة عربية الى حد رؤية الامة العربية من خلالها بدلا من رؤيتها من خلال الامة العربية على مستوى المشكلات وعلى مستوى الحلول ٠ ان هذى رؤية اقليميـة سبـق ان ذهب ضحيتهـا قوميون كثيرون ٠ ثم رجاء ، لا تستهينوا « بالدولة » فتتوقعوا من القادة فيها ما لا يتفق مع طبيعتها كمؤسسة اقليمية ٠ وكل دولة عربية هي مؤسسـة اقليمية ولو كان الحاكمون فيها قوميين ٠ ذلك هو الحـق وان كان مرا ٠

مثال رقم ٢ :

وليتامل الشباب العربي ، ان كان ما يزال غير مقتنع بأن الاعجاب بالثورات في الدول العربية قد يصل بصاحبه ، غير الحذر ، الى مآزق اقليمية يضع فيها فصيلا من الامـة في مواجهة الامة مقارنة ومحاكمة وتقييما ٠ ليتأمل الى أي حد وصل الاعجاب بالاخ بابكر كرار وهو يتحدث عن « الاضافات الفكرية للثورة الليبية » ٠ لا تتأملوا الاضافات فلسنا نعتقد ان احدا من ثوار الفاتح من سبتمبر يدعي ابداعها بـدون سابقة فكرية ، بل تأملوا مصدر الاضافة كما يراه الكاتب ٠

قال : « في خلال السنوات الخمس الماضية تكشفت عبقرية البيئة والشعب على ارض ليبيا عن مساهمات فكرية بالغة الاهمية » ·

ما شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله ·

بيئة ليبيا اصبحت ، دون البيئة العربية كلها ، بيئة عبقرية · الشعب على ارض ليبيا اصبح ، دون باقي الشعب العربي ، عبقريا ، فابدع بعبقريته في بيئتة العبقرية اضافات غير مسبوقة !!! يستطيع القوميون ان يفهموا تماما عبقرية الامة التي اكتسبتها عبر تاريخها الموحد · لكل امة نواح عبقرية خاصة · فللأمة العربية عبقرية خاصة مثلها مثل كل الامم · ليبيا جزء من الامة العربية · فيها قدر من عبقرية الامة التي هي جزء منها · اما ان تختص هي وحدها بعبقرية خاصة فهو عزل لها عن امتها · رؤية اقليمية · اما عن عبقرية البيئة فهي عودة الى نظرية دارسة · نظرية تقول ما قالهالحزب القومي السوري منان الارض ذاتها ذاتخصائص عبقرية لا تلبث آن تنتقل الى من يقيمون عليها فيصبحوا بها شعبا عبقريا · وقالها الصهاينة عندما قالوا ان ارض فلسطين ذات ارادة خفية فهي لا تمنح خيراتها الا لليهود ·

الاخ بابكر كرار لا يقصد شيئا من هذا · مع ذلك يبقى مفيدا للشباب العربي الذي يطالع مجلة « الشورى » ان نحذره من الرؤية الاقليمية التي قد يدفع اليها الحماس ·· او اليأس ·

فنقول :

ايها الشباب العربي ،

تختلط الاقليمية والقومية في الواقع العربي بحكم ان

الامة العربية مقسمة بين الدول الاقلنيمية بدون فائض قومي • كذلك تختلط الاقليمية والقومية في الفكر العربي ، بحكم ان القوى غير مفرزة في الوطن العربي • وينتج عن هذا ثلاث زوايا لرؤية الواقع :

١ ـ رؤية اقليمية خالصة ، ترفض الانتماء القومي ، بل تنكر وجود الامة ذاتها وتستقل بذاتها مشكلات وحلولا •

٢ ـ رؤية قومية خالصة ، تلتزم انتماءها القومي ولا ترى الاقاليم مشكلات وحلولا الا من خلال المشكلات والحلول القومية •

٣ ـ ثم رؤية اقليمية مختلطة تقبل انتماءها القومي ولكنها ترى المشكلات القومية وحلولها من خلال مشكلات وحلول الاقليم الذي تنتمي اليه •

فاحذروا الرؤية الاقليمية الخالصة والمختلطة • والمختلطة منها اكثر اغراء من الخالصة • وتشبثوا حتى في التفاصيل بالرؤية القومية • حينئذ قد ترون في ثورة الفاتح من سبتمبر ايجابيات لم يرها كتاب الشورى فتكتبون عنها في عيدها السادس مالم يكتبوه • ولقد ترون فيها من السلبيات ما يكون ذكره في عيدها اكثر جدوى لها ولكم من كل ما قيل • لان الحق اجدى ولو كان مرا •

الوجه الاخر :

على السفود ينضج الشواء من اللحم • لا شواء ولا نضج ولا سفود اذا انعدمت المادة • هنا نأخذ ما يكتبه الناس في «الشورى» لنقدمه الى الشباب العربي من القراء بعد ان

نحاول انضاجه • لا محل لقلم ابي ذر اذا كانت الفكرة غائبة من صفحات « الشورى » •

من الافكار التي غابت ، لا ادري كيف ، الحديث عن ثورة الفاتح من سبتمبر من حيث هي ثورة الضباط الاحرار «الوحدويين» • اعني الحديث عن علاقة الثورة بهدفها الاساسي : الوحدة لماذا لم نقرأ في العدد السادس من «الشورى» شيئا عن الثورة والوحدة • في المنطلقات • في الاهداف • في الاسلوب • في الادوات •• الخ • الأن الثورة قد حققت نجاحا يشكر في كل ميدان ولم تحقق في سبيل الوحدة نجاحا يذكر ؟ • ان تجارب الفشل اكثر خصوبة للمعرفة من تجارب النجاح • من حق الشباب العربي ان يتعلموا من التجارب التي فشلت حتى لا يفشلوا مرة اخرى • لكن المادة غائبة • نحن لا نقدم وجبات من عندنا مبتدئين بل ننضج ما يقدمه الكاتبون للقراء • اذن ، نأسف لما غاب ، ثم ننتقل الى مواد اخرى •

نصف الحق :

يتضمن « ملف » العدد السادس من « الشورى » ثلاث دراسات قيمة : « التخلف والتنمية » بقلم الدكتور عبد المجيد شوربجي • « التخطيط الاقتصادي » بقلم حسين العلواني « الثورة والتنمية » بقلم مختار بورو •••

(١) التخلف والتنمية :

اشهد بان مقال « التخلف والتنمية » من اجود ما قرأت في « الشورى » منذ صدورها ومن افضل ما كتب في موضوعه • بمثل هذه الدراسات العلمية الجادة تعيش « الشورى » وتأخذ مكانا مرموقا بين مثيلاتها في الوطن العربي • اقترح على « الشورى »ا ن تعيد نشر مقال الدكتور عبد المجيد شوربجي عن « التخلف والتنمية » في كتيب يكون

متاحا بدون مقابل لمن يطلبه من الشباب العربي · لعله ان يكون اسعد حظا من الكتاب الذي اهدته مع العدد السادس ولم يصل الى من اشتروها · لاقتراحي تكملة · ان يكمل الدكتور شوربجي بحثه بمثل الجدية والصفاء الذهني الذي بداه بها · ذلك لان مقال الدكتور شوربجي عن « التخلف والتنمية » ناقص من وجهة النظر القومية التقدمية ·

لقد كتب فاجاد عن مشكلات التخلف والتنمية في العالم الثالث · ضرب امثلة شتى من دول ما يسميه « العالم العربي » · القوميون لا يعرفون ما يعنيه « العالم العربي » · نحن نعرف الامة العربية والوطن العربي · نعرف الدول الاقليمية القائمةعلى اساس تجزئة الامةالعربية شعبا ووطنا · بعد ان نسلم مع الدكتور شوربجي بصحة ما جاء في مقاله عن مشكلات التخلف والتنمية على المستوى العام ، اي مستوى العالم الثالث الذي تنتمي اليه الامة العربية ، ننتظر ـ كنا ننتظر ـ ان تضاف المشكلات الخاصة الى المشكلات العامة كنا ننتظر ان ينتقل بنا الكاتب من العام الى الخاص لنعرف منه اثر التجزئة في مشكلات التخلف واثر الوحدة في التخطيط الاشتراكي للتنمية ·

مثلا :

قال : « اتضح للمؤتمر (المؤتمر الثالث للتنمية والتصنيع الذي عقد في مدينة طرابلس في الجمهورية العربية الليبية) انه بالرغم الجهود التي بذلتها الدول العربية في سبيل التصنيع حتى الان فان نصيبها في عام ١٩٧٠ لم يتجاوز ٠،٤٪ من الانتاج الصناعي العالمي و ٦٪ من الانتاج الصناعي لمجموعة الدول النامية كما بلغ نصيب الفردالعربي منالانتاج ما يوازي ٣١دولارا مقابل ١٨٩دولارا

للفرد في بلدان امريكا اللاتينية ولم تتعد نسبة الناتج من الصناعات التموينية الى الناتج المحلي الاجمالي ١٠ ٪ بالنسبة للدول العربية في مجموعها وانها اذا ما اخذت «كمجموعة اقليمية » فانها تعتبر طبقا للمعيار الذي اعتمده المصرف الدولي للانشاء والتعمير من الدول التي ما تزال في سبيل التصنيع » ·

جميل · هكذا تطرح المشكلات ·

ولكنا كنا ننتظر ان نعرف اثر التجزئة في هذه المشكلات · هذه هي الدول العربية « كمجموعة اقليمية » · هل كانت طبيعة مشكلات التخلف والتنمية تختلف لو كانت دولة واحدة ؟ بوضوح اكثر هل عوقت التجزئة ذاتها – مع تثبيت كل عناصر التنمية الاخرى – الجهود التي بذلتها الدول العربية في سبيل التصنيع حتى الان ؟ · لقد اقترح الدكتور شوربجى حلولا علمية لمشكلات التخلف في العالم الثالث – ومنه العالم العربي – فهل تضيف الوحدة شيئا الى تلك الحلول ؟ ·· الفكر القومي التقدمي الذي يسلم بكل ما جاء في المقال الرصين من حقائق علمية عن المشكلات وحلولها بالنسبة الى العالم الثالث يزعم ان في الوطن العربي اضافة واقعيةللمشكلات والحلول· التجزئة اضافةالىالمشكلات تحول دون ان يبلغ الشعب العربي بذات الامكانيات المتاحة له الان ، بذات الجهد الذي يبذله الان ، معدل التنمية الذي كان يمكن تحقيقه في ظل الوحدة · فتضاف الوحدة العربية الى حلول مشكلات التخلف · وعندما يختتم الدكتور شوربجى دراسته القيمة بقوله : ان الاشتراكية هي الثورة على التخلف ولا بد للثورة من ثوار ، يكون القوميون التقدميون فيانتظار تكملةخاصة بالتخلف والتنمية وعلاقتهمابالتجزئة والوحدةفي الوطن العربي يكون ختامه : ان الوحدة الاشتراكية هي

الثورة العربية على التخلف في الوطن العربي ولا بد للثورة العربية من ثوار اشتراكيين وحدويين ·

وعندما يقول :

« ان التصنيع في الدول النامية هـــو ثورة الشعوب العربية المظلومة من اجل خلاصها · انه يحتاج كما ذكـــر الاخ جلود في افتتاحه لمؤتمر التنمية الصناعية العربي ، الى الجرأة والاقدام كما يحتاج الى وضوح الرؤيا الفلسفية ، وعندما يصر على التأكيد على اهمية الفلسفة الواضحـــة للتصنيع فذلك يعني به الطريق الموصل له الا وهو الطريـــق الاشتراكي » ·

يكون قد صدق ·

ولكنا نحسب انه عندما يصر الاخ جلود على التأكيد على اهمية « الجرأة والاقدام » من اجل التصنيع فانه يعنى الطريق الموصل له الا وهو الطريق الوحدوي ·

فهل يتفضل الدكتور شوربجي بتكملة بحثه · نحـــن الشيوخ من القوميين التقدميين ننتظر ونرجو لنستفيد فنتعلم فما بالكم بالشباب ؟ ·· كلنا فـــي انتظارك يـــا دكتورنـــا العزيز ··

(٢) التخطيط الاقتصادي :

هذا مقال جيد من حيث انه تناول التخطيط الاقتصادي في جانبه الفني · كيف توضع الخطة الاقتصادية وما هـــي شروط كفاءتها · جيد لولا انه مختصـــر · الكاتب معذور · لست اعتقد ان العدد السادس من « الشورى » كان يتســـع

لمقال طويل ثان بجوار مقال الدكتور شوربجي · نأخذ على المقال ما اخذناه على ما سبقه · سلبيته بالنسبة الى مشكلة التجزئة وهدف الوحدة · كنا ننتظر ان يجيب الاخ حسين العلواني على سؤال ذي اهمية بالغة لكل الاشتراكيين الذين يضعون خطط التنمية في ظل التجزئة · صحيح ان عملية التخطيط تتحلل ـ كما قال ـ الى ثلاثة عناصر :

اولا تحديد الامكانيات القومية

ثانيا تحديد الاهداف القومية

ثالثا الاختيار الاقتصادي

صحيح وجيد ·

لكن ماذا يعني الاخ حسين علواني بكلمة « القومية » في تحديد الامكانيات والاهداف · الفكر القومي التقدمي يعني بالامكانيات القومية امكانيات الامة العربية كلها ·· يعني بالاهداف القومية (من التخطيط) اشباع احتياجات الشعب العربي كله· فهل هذا ما يعنيه الاخ حسين العلواني؟·· يصر الفكر القومي التقدمي على ابراز هذا الشمول لان التخطيط الاقتصادي في الوطن العربي يصادف مشكلة خاصة بالامة العربية (وامم قليلة اخرى) هي مشكلة التجزئة · التخطيط الاقتصادي قد يكون شاملا الدولة وقد يكون شاملا الامة · يختلف في الحالتين عندما يكون تخطيطا اقتصاديا للدولة تصدق كل كلمة قالها الاخ حسين العلواني ما عدا فقرة غريبة سنعود اليها عندما يكون التخطيط اقتصاديا لامة مجزأة ، تدخل التجزئة القائمة او الوحدة المتوقعة عنصرا من عناصر الخطة الاقتصادية لتحدد الامكانيات قوميا

واقليميا، ثم تحدد الاهداف قوميا واقليميا، ثم تحدد الاختيار الاقتصادي بحيث تبقى الخطة الاقتصادية قابلة للتطبيق عند تحقيق الوحدة ، او ـ على الاقل ـ بحيث لا تقوم الخطـــة الاقتصادية حائلا او عائقا في سبيل الوحدة • هكذا يفعلون ـ مثلا ـ في المانيا الشرقية حيث يتضمن التخطيط الاقتصادي « خطة » لاحتمالات الوحدة الالمانية •

هذه « التكملة » مفتقدة في مقال الاخ حسين العلواني مع انها تكملة حاسمة • بها يفرز الاشتراكيون انفسهم فهم اشتراكيون اقليميون • او هم اشتراكيون وحدويون • وبها تلتحم الوحدة بالاشتراكية او تنفصل • في كل الحالات هي تكملة تمثل جوابا على سؤال مطروح بين الشباب العربي : ما علاقة الوحدة بالاشتراكية ؟ ••• فلعل الاخ حسين العلواني لا يدع الشباب العربي في انتظار الجواب طويلا •

الفقرة الغريبة :

هي غريبة لانها ـ فيما نرى ـ لا تتسق مع المنطـــق العلمي المحكم الذي صاغ مقال « التخطيط الاقتصـــادي » تقول الفقرة :

« يمكن القول بان فكرة التخطيط الاقتصادي ترجـع الى احد ثلاثة منابع : التقنية ـ الاشتراكية ـ الوطنيـــة • فينصح الفنيون باللجؤ الى التخطيط الاقتصادي لاقتناعهـم بانه الاسلوب الوحيد لبلوغ الرشد الاقتصـــادي • أي ان استغلال الموارد المتاحة بالشكل الذي يضمن بلوغ اقصـــى عائد ممكن وعلى ذلك فانهم لا يبغون اهدافا سياسيـــة او اجتماعية وانما تنحصر نظريتهم فقط من الناحية العلمية • اما الاشتراكيون فانهم يؤيدون التخطيط الاقتصادي لانـــه

يساعد على بلوغ اهداف اجتماعية محددة وهي المساواة الاقتصادية والاجتماعية فهم لا يهتمون كثيرا بالرشد الاقتصادي أي الاستخدام الاقتصادي للموارد بقدر اهتمامهم بالمساواة الاقتصادية والاجتماعية التي هي اكثر اهمية من الاهداف التكنيكية البحتة ، وترجع ضرورة التخطيط الاقتصادي في ظل الاشتراكية الى عجز الاقتصاد عن تحقيق المساواة الاقتصادية والاجتماعية اذا ما ترك دون تدخل الدولة ٠

« اما الوطنيون او القوميون فهم يناصرون التخطيط الاقتصادي لاعتقادهم بانه سوف يساعد على تحقيق اهداف سياسية لا يمكن للاقتصاد غير المخطط ان يحققها فالوطنيون يضعون الاقتصاد في خدمة السياسة حتى يمكنهم تنمية القوة العسكرية لدولهم ضد الدول الاخرى فهم يعتقدون والامر كذلك ان مصالح دولهم في تضاد مستمر مع مصالح الدول الاخرى ولذلك فهم يلجأون الى التخطيط الاقتصادي الذي يمكنهم من تحقيق ما يصبون اليه من قوة داخلية وخارجية »٠

لا ٠

ليس في هذه الفقرة جملة واحدة صحيحة ٠ اني اشم فيها رائحة افكار مهترئة لا تتفق مع منطق المقال وسياقه ٠ هل دست فيه ام دست عليه ؟٠

فاولا : ليس صحيحا ان فكرة التخطيط ترجع الى واحد من ثلاثة منابع ٠ التقنية ٠ الاشتراكية ٠ الوطنية ٠ ان افتعال الغربة بين هذه الخصائص الثلاث ومحاولة وضع القارىء في موضع الخيار بينها تعسف لا مبرر له من الواقع او العلم ٠ فالتخطيط الاقتصادي له شروطه التقنية التي لا بد

من توافرها ليكون تخطيطا اقتصاديا والتخطيط الاقتصـادي الشامل الامكانيات والاهداف القومية هو النظام الاقتصادي الاشتراكي ذاته لانه البديل عن المنافسة الحرة التي هي قانون الاقتصاد الرأسمالي ومميزه • فعندما يضـع الرأسماليون خططا اقتصادية ، « لمؤسساتهم » الخاصة يكون هدفهم اما استغلال الشعب او قضاء بعضهم على بعض وبالتالـي لا يكون لخططها علاقة لا بالامكانيات القومية ولا بالاهـداف القومية فهو اذن ليس التخطيط الاقتصادي الذي عرفه صاحب المقال • والتخطيط الاقتصادي الاشتراكي هو وحـده ، ولا شيء غيره ، الذي يعطي لكلمة الوطنيـة ، او القوميـة ، مضمونها العيني • فالوطنية انتماء مشترك الى وطن معين • والوطن امكانيات مادية وبشرية • فالاستئثار بموارد الوطن ليس وطنية • وبدون اشتراك المواطنين في الامكانيات المتاحة في وطنهم تكون الوطنية كلمة فارغة • ولا تتم هذه المشاركة الا بتوظيف كافة الموارد في الوطن لخدمة جميع ابنائـه • وهذا لا يتم الا بالتخطيط الاقتصادي هكذا تكون التقنيـة والاشتراكية والوطنية خصائص ثلاثة للتخطيط الاقتصادي لا بد من توافرها جميعا ليكون تخطيطا اقتصاديا بالمعنـى العلمي لهذا التعبير • ولقد ذكر صاحب المقال ان التخطيط الاقتصادي الشامل قد ظهر في الاتحاد السوفياتي سنـة ١٩٢٨ • فهو اذن من ابداع الاشتراكيين في وطن كـان حينئذ محاصرا اقتصاديا • ابدعوه تحت تاثير الرغبة في الانقـاذ الوطني واذا كانوا قد نجحوا فيه حتى وصلوا الى القمر فلا شك انهم قد ادوه « تقنيا » كما يجب ان يؤدي • فكأن النشأة التاريخية للتخطيط الاقتصادي كانت اشتراكية وطنية تقنية معا •

وثانيا : ليس صحيحا ان الفنيين لا يبغـون اهدافـا

سياسية واجتماعية · لا يوجد احد لا يبغي من وراء عمله اهدافا سياسية واجتماعية سواء اعلن اهدافه ام اخفاها · وفي كل الحالات يكون الفنيون في كل مجتمع في خدمة النظام السياسي والاجتماعي السائد مريدين او مكرهين ، اعني انهم لا بد لهم من ان يستهدفوا تحقيق غاياته حتى لو اختلفوا معه · فالنشاط الفني اذن مرتبط بأهداف سياسية واجتماعية دائما ، ولا يوجد ولا يمكن ان يوجد نشاط فني - او غير فني - لوجه الفن وحده ·

وثالثا : ليس صحيحا ان الاشتراكيين لا يهتمون بالرشد الاقتصادي أي بالاستخدام الاقتصادي الامثل للموارد بقدر اهتمامهم بالمساواة الاقتصادية والاجتماعية · تلك كانت النظرية الماركسية في نشأتها الاولى والى ما قبل سنة ١٩٢٤ (وليس ١٩٢٨) عندما كان الماركسيون يتصورون ان الثورة الاشتراكية ستنفجر في الدول المتقدمة حيث يكون الرخاء قد تحقق فلا تبقى الا المساواة في العائد الاقتصادي · ولكن كل هذا قد انتهى على يد لينين في روسيا ثم قبر نهائيا في العالم الثالث حيث يواجه الاشتراكيون مشكلات التخلف والاستغلال معا وحيث يكون شعار الاشتراكيين « الكفاية والعدل» والحق ان الاشتراكيين لميبدعوا التخطيطالاقتصادي من اجل المساواة « في الفقر » بل ابدعوه في الامم المتخلفة من اجل التنمية الاقتصادية بدون استغلال · فهو اداتهم في التنمية قبل ان يكون اداتهم في المساواة · الم يذكر صاحب المقال في اول مقالهان التخطيط الاقتصادي طريق لحل المشكلة الاقتصادية التي قال عنها انها تقوم اساسا على ندرة الموارد بالنسبة للحاجات · اذن فالتخطيط الاقتصادي كان وما يزال طريق الاشتراكيين الى تجاوز الندرة الى الرخاء ·

رابعا : فليس صحيحا ، بل هو افتراء ان يقال ان القوميين يعتقدون ان مصالح دولهم في تضاد مستمر مع مصالح الدول الاخرى ولذلك فهم يلجأون الى التخطيط الاقتصادي الذي يمكنهم من تحقيق ما يصبون اليه من قوة • ان هذا اتهام للقومية ـ او الوطنية ـ بأنها شوفينية او عدوانية دائما • وكأن الوطنيين والقوميين لا هم لهم الا الاعتداء على غيرهم تحت تأثير اعتقاد مرضى بان مصالح دولهم في تضاد مستمر مع مصالح الدول الاخرى • كأن القوميين او الوطنيين هم المسئولون عن الحروب التي تشنها الدول الاستعمارية على اوطانهم ••• الخ •

لماذا قال الاخ حسين العلواني كل هذا ؟ ••••

لست ادري • وهو ـ بعد ـ قول غريب على سياق الحديث كأنه مدسوس فيه او مدسوس عليه •

أيا ما كان الامر ،
فان القوميين الاشتراكيين يقولون لهذه الفقرة من المقال : سلاما •

(٣) التنمية الاقتصادية على اساس الاعتماد على القدرة الذاتية :

هذا هو المقال الثالث من ملف « الشورى » (العدد السادس) • هو من حيث النوع افضل ما قيل في ثورة الفاتح من سبتمبر بمناسبة عيدها الخامس • قراءته ممتعة • فيه تتحول الثورة الى حياة وهذا اقصى ما تطمع فيه اية ثورة ناجحة • المقال يتحدث عن الواقع في ليبيا الدولة • في هذه الحدود لا ملاحظات الا الاشادة به والتحريض على اعادة

قـــراءته لمن قرأه وقراءتـه لمن فاته العـــدد السادس من « الشورى » . مع ذلك هناك ملحوظة صغيرة نشير اليهـا لاننا سبق ان تحدثنا عنها . اعني علاقة الوحدة بالتنميـــة الاقتصادية في ليبيا انني كقومي اكره كلمة القدرة الذاتية لانني ارفض « ذاتيات » الدول العربية ، ولا اثق بعائد المقدرة الذاتية ولو في المدى الطويل .. ولقد رفـــع شعار المقدرة الذاتية في فترة تاريخية سابقة من موقع معاد للوحدة ..

لماذا لا يجتنب الشباب القومي ـ وهم يكتبون ـ بعض التعبيرات سيئة السمعة . ان الامر لا يحتاج الا الى قـــدر ضئيل من الانتباه لكي يكتشف الدكتور مختار بوروان تقسيمه قوة العمل في ليبيا الى عمال « وطنيين » وعمال « غـــير وطنيين » يصدم القارىء الذي لا يقبل هذه التفرقة الاقليمية بين العرب العاملين في ليبيا ويغذي النزوع الاقليمي بـين العاملين انفسهم .

وبعد ،

فهل كانت كلماتي فاشية . اني اذن اتلبس روح ابي ذر الغفاري رضى الله عنه . كان يقول الحق ولو كان مرا . وكان يقوله بقسوة جافة .

لقيه ابو موسى الاشعري يوما فلم يكد يراه حتى فتح ذراعيه وهو يصيح من الفرح بلقائه : « مرحبا ابا ذر ... مرحبا اخي ! . ولكن ابا ذر دفعـه عنه وهو يقول : « لست بأخيك انما كنت اخاك قبل ان تكون واليا واميرا » .

والسلام على اصحاب ملف « الشورى » .

فذلكة نفسية :

مقال «سيكولوجية المكتبة العربية» الذي كتبه الدكتور ملاك جرجس مقال ظريف · ينبه الشباب العربي الى ما يستحق الانتباه · الاستفادة بعلم النفس في فهم بعض الظواهر الاجتماعية · ينصب المقال على المكتبية (البيروقراطية) · حاول تفسير سلوكها على اسس نفسية جماعية · فيكتشف ان البيروقراطيين مرضى · « بالجملة » المرض الجماعي مبرر نفسيا لان السيكولوجية الجماعية مبررة علميا · يقول فرتهيمر : « عندما يعمل جماعة من الناس سويا ، يندر ان يظلوا مجرد عدد من « الانوات » المستقلة ولن يحدث هذا الا تحت ظروف خاصة جدا · والذي يحدث بدلا من ذلك هو ان يصبح المشروع العام محط عنايتهم جميعا وبالتالي يعمل كل منهم باعتباره جزءا من كل » · وهي حالة نفسية اسماها شولته حالة « النحن » ·

البيروقراطية اذن مرض والبيروقراطيون مرضى · هكذا اراد لهم الدكتور ملاك جرجس · وهم عنده مرضى « بالشيزوفرينيا » او الفصام · وهو ـ كما قال ـ « مرض اهم اعراضه الانكماش والخوف وعدم المقدرة على الاخذ والعطاء والخوف من التجديد او المباداة ، مما يجعل المريض بهذا المرض شخصا سلبيا يدور داخل محيط نفسه ويعاني لدرجة كبيرة من احلام اليقظة تلك الاحلام التي تحقق له الراحة والرضاء والشعور بالعظمة وتعوضه في الخيال عن الكثير الذي يعجز عن تحقيقه في الواقع » ·

هذا هو مرض « الشيزوفرينيا » ·
وهناك مرض آخر اسمه « السيكوباتيا » ·

يقول علماء النفس :

« يرتكب السيكوباتيون اعمالهم دون خجل ، وفي بعض الاحيان علانية ، بل يفاخرون بها .. ليس في مقدورهم ان يحتفظوا بسرية اعمالهم وقد يدركون باللفظ خطأ هذه الاعمال ولكن ينقصهم نمو العواطف . وهم يستخفون بالامر ولا يتحمسون لشيء . كما انهم على كثير من فجاجة الانفعال . ولكنهم من ناحية اخرى يعجزون عن اي تدبير معقد . وقصاراهم ان يقوموا ببعض الحيل الصغيرة التي يسهل كشفها . ويعوزهم بعد النظر فهم لا ينتفعون من التجربة السابقة برغم ما يبدو عليهم ظاهريا من سواء او تفوق ذهني . كما انهم يعيشون في ملذات الحاضر وتجرفهم اهواء اللحظة الراهنة . وهم لا يعبأون بالنتائج التي يتعرضون لها من اعمالهم او التي يتعرض لها اقاربهم او المجتمع . وهم يرتكبون جميع انواع الجرائم فهم يسرقون ويكذبون وينصبون . على الرغم من هذا فانهم يبدون امام الغرباء كقوم اذكياء ظرفاء » .

فهل البيروقراطيون مرضى :
بالشيزوفرينيا ؟..
ام بالسيكوباتيا ؟..
نترك الاجابة للقراء هواة الفذلكة .

٦

دعية للمجتهدين :

سؤال : ما الذي يحدث لو تقدم العلم فحصن الناس ضد المرض ؟

جواب : يتعطل الاطباء ٠

سؤال : ما الذي يحدث لو تقدمت المجتمعات فانقطعت الجرائم ؟

جواب : يجوع المحامون ٠

سؤال : ما الذي يحدث لو تقدمت الشعوب فامتنعت الحروب ؟

جواب : تفلس الولايات المتحدة الامريكية ٠

سؤال اخير : ما الذي يحدث لو اصبح كل ما يكتب في « الشورى » في مثل تفوق « ملف العدد السابع » ؟

جواب : يطفىء ابو ذر ناره ويحمل سفوده ويختفى ٠

باسم القراء ، ولست الا واحدا منهم ، انوب عنهم فضالة ، (الفضالة هي الوكالة عن الغير فيما ينفعه بدون اذن سابق وهي مشروعة) ، احيي الدكاترة حسين مؤنس، ومحمد فاروق النبهان ، ومحمد النويهي ، ومحمود زايد ،

واشكر لهم ما قدموه في العدد السابع من « الشورى » تحت العنوان العام : « الدين والتطور الحضاري في الوطن العربي » · كان ما كتبوه وجبة فكرية ناضجة · لا اقول وجبة دسمة · الوجبات الدسمة « ثقيلة » و « ضارة » ·

لماذا ؟

نقول « ثقيلة » للوجبات التي تبقى في المعدة اكثر من المتوقع · الوجبات الدسمة هي التي تبقي الطعام في المعدة اكثر مما يجب ، مع ان « الدهن » (اغلبه) لا يتم هضمه في المعدة بل في الامعاء الدقيقة · اي ان المعدة لا تبذل جهدا « يذكر » في هضم الدهون · تعبر منها الدهون ولا تتوقف فيها · تهضم الدهون بما يفرزه البنكرياس في الامعاء من انزيمات (ستبسين) · فكيف تضعف الدهون حركة المعدة مع انها لا تقتضي منها جهدا يذكر ؟

هذا اعجاز من اعجاز اسرار التكوين ·

تصب المعدة عصارتها وتهضم ما تهضم من كتل الطعام الا الدهون · تنقبض المعدة وتنبسط في حركة موجية لتمزج افرازاتها بكتل الطعام فيها · اثر كل موجة تدفع بجزء اكتمل هضمه فيها الى الامعاء الدقيقة · تستقبل الامعاء الدقيقة ما تدفعه المعدة وهي ساكنة الى ان يأتي دورها في بذل الجهد · يأتي دورها عندما تدفع اليها المعدة موادا دسمة · الامعاء الدقيقة دقيقة · لا تحتمل كل ما تقدر عليه المعدة · فكأنها تريد ان تقول للمعدة اني مشغولة بما قدمت فلا تدفعي الي بالمزيد الى ان انتهى مما انا فيه · يقول عالم الكيمياء الحيوية منك (١٨٨٤) انه بمجرد ملامسة الدهون للسطح الداخلي للامعاء الدقيقة ينطلق من

الامعاء « هرمون » يحمل رسالة الى المعدة · لا يأخذ طريقه خلال كتلة الطعام الى المعدة القريبة (جغرافيا) بل عبر الدورة الدموية الاسرع اتصالا · لا يذهب الى اليدين او القدمين او الرأس او القلب ··· الخ ، بل يشق طريقه الى المعدة مباشرة · ما ان يصل حتى « تدرك » المعدة الرسالة فتبطيء انقباضها وانبساطها · تبقى الطعام فيها اكثر مما يجب ، معفية الامعاء الدقيقة من مزيد من الدفعات ، حتى تؤدي الامعاء وظيفتها بدون اجهاد ·

فنشعر بثقل الطعام من طول بقائه في المعدة ·

الامعاء الدقيقة ليست بيروقراطية او استغلالية او انتهازية · انها لا تستغل استجابة المعدة لتتلكأ هي · تنشط لاداء وظيفتها لتتحول الدهون الى جلسرين واحماض دهنية (الينيك ـ لينوليك ـ لينولينيك ـ كلوبانودنيك ـ اراشيدونيك) · لكل شيء طاقة وحدود · في الوجبات الدسمة لا يكفي تعاون البنكرياس والامعاء الدقيقة لهضم المواد الدهنية المتدفقة ، شراهة ، الى المعدة · فكأن الامعاء الدقيقة لا تريد ان تعطل المعدة اكثر مما فعلت · غتمتص من الدهون المتدفقة اكثر مما تستطيع هضمه · هكذا تصل الى الدم كمية من الدهون ـ كما هي بدون هضم ـ في شكل حبيبات دقيقة · يتجه بعضها الى الكبد فتتزايد كمية الكلسترول · الكلسترول سبب اساسي لامراض « الجلطة » التي تتجول مع الدم الى ان تصل الى مواقع ضيقة فتقفلها مؤدية الى الوفاة · ويدور بعضها مع الدم ويترسب على جدار الشرايين فتضيق وتفرض على القلب جهدا مضاعفا لدفع الدم فيها · مع توالي الوجبات الدسمة يتوالى الترسيب او الضيق الى ان يؤدىَ الى ما يعرف باسم الذبحة الصدرية، وهو مرض بالغ الخطورة على الحياة ·

لكل هذا نقول عن « ملف الشورى » (العدد السابع) انه وجبة ناضجة ولا نقول وجبة دسمة · لكن هذا لا يعني ان قد انقطع القول وعلى ابي ذر ان يطفيء ناره ويحمل سفوده ويرحل · بل ان لدينا ما يستحق القول · هكذا اظن على الاقل وليس كل الظن اثما ·

الدين والحضارة القومية :

اولا : يحصر الدكتور حسين مؤنس الجوانب الحضارية من الاسلام في :

(١) الجانب الحضاري من العقيدة الاسلامية :

الاخوة الانسانية في الدين على اساس ان « ابراهيم وموسى وعيسى» كلهم مسلمون مثلهم في ذلك مثل محمد صلى الله عليه وسلم · والحرية « ان يترك للناس الحرية في الدخول فيه (الاسلام) فمن اقتنع دخل ومن لم يقتنع تركه حتى يفتح الله عقله وقلبه للايمان » ·

(٢) الجانب الحضاري من الشريعة الاسلامية :

أ ـ العبادات : نفعها للبشر لانها « واجبات دينية تعود على من يؤديها من البشر بالخير لان الله سبحانه ليس في حاجة الى الخلق او الى اي شيء يعملونه » · ومن فوائدها تعليم الناس المحافظة على المواعيد والاتحاد والنظافة · وقد ادت الى تنشيط فن العمارة والهندسة والفنون والصناعات (الصلاة) والتآخي (الزكاة) والتعارف الذي يؤدي الى النشاط الاقتصادي (الحج) ·· الخ ·

ب ـ المعاملات : التوفيق بين مصلحة المجتمع وحريات

الفرد والارتقاء بالعمل الى درجة الايمان ، والحض على التعلم وطلب العلم .. الخ .

ثانيا : يقصر الدكتور محمد فاروق النبهان الجوانب الحضارية من الاسلام على جانب واحد عبر عنه في عنوان مقاله « الفكر السياسي في الاسلام » . يؤكد في فقرات مقاله المتتالية تفوق الاسلام « كنظام سياسي » الى حد الدفاع عن « الخلافة » . ثم يؤكد تفوقه كنظام اجتماعي واقتصادي . انه ـ جملة ـ يتحدث عن الجانب الحضاري من الاسلام الذي يتصل بالتنظيم الاجتماعي في نواحيه الدستورية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ثالثا : يقصر الدكتور محمد النويهي مقاله على « ازمة التطور الحضاري في الوطن العربي » مبينا بقوة ثورية ـ ثورية حقا لا مجازا ـ دور التقليد الديني في الوصول الى الازمة ، مقترحا للخروج من الازمة الابداع الحضاري بدون قيد من اجتهادات السلف الصالح ، مؤكدا اتفاق هذا الابداع المتجدد المتطور المواكب لحركة التقدم الانساني مع الدين . فهو يتحدث بقوة ثورية عن ذلك الجانب الثوري من علاقة الدين بالحضارة . جانب الحركة . التغيير . التطوير . ان الدكتور محمد النويهي يوجد علاقة حميمة بين الدين وبين حركة التطور الاجتماعي . عرفنا ان مقال الدكتور محمد النويهي وان كان يحمل عنوانا يتصل بالازمة الحضارية ، ينصب على جوهر موضوع العلاقة بين الدين والتطور الحضاري .

رابعا : اما الدكتور محمود زايد فقد تناول موضوع الدين والتطور الحضاري في جانبه « الاممي » حيث ابرز دور الاسلام كرابطة مشتركة بين امم عدة وما يمكن ان يسفر

عنه من تقريب بين تلك الامم فيما يسميه بالوحدة الاسلامية فيقول ابو ذر :

ان اساتذتنا الافاضل قد اجادوا فيما قالوا ولكنهم نسوا او تناسوا او لم يتسع المقال ليذكروا اهم وابقى واخلد جانب حضاري كان مرجعه الاساسي الى الدين الاسلامي · تكلموا فأجادوا عن الاخوة الانسانية · عن الحرية والحرية للانسان · عن التعليم ولا يتعلم الا الانسان· عن السياسة والنظم السياسية وهي لا تقوم الا في مجتمع الانسان ·· باختصار ، عن الحضارة في اغلب جوانبها ما عدا اهم تلك الجوانب : الانسان · لم يقل احد منهم كيف طور الإسلام الانسان · الانسان المفرد مجرد · اذن كيف طور الاسلام المجتمعات الانسانية ؟

باختصار كبير ·

من عشائر وقبائل ، الى مجتمع لا قبلي ، الى شعوب دخلها الاسلام مختلفة اللغة والدين والسياسة والاقتصاد والانتماء فصهرها في بوتقته فحولها خلال مئات السنين من شعوب مختلفة الى امة واحدة · انها الامة العربية المولود الحضاري للاسلام دينا وثورة · ادركها وهي متخلفة اطوارا عن الطور القومي · او وهي تنمو في مرحلة الشعوبية نحو مرحلة القومية ، فاختصر مسيرتها الحضارية ومزجها معا واعطاها عناصرها المشتركة ووفر لها كل الامن اللازم لتتفاعل وتثمر ، فكانت الثمرة التاريخية هي الامة العربية· عندما طور الاسلام البشر من عشائر وقبائل وشعوب متفرقة الى امة واحدة ، طور البشر هياكلهم السياسية وانماط تعاملهم الاقتصادي والاجتماعيوطرز بناياتهم وهندستهم وفنونهم ولغتهم ايضا · اما لماذا لم يفعل مثل هذا بغير

القبائل والشعوب التي اصبحت امة عربية ، فلأنه ادركها وهي امم مكتملة فأعطاها حضارة ولم يخلقها حضاريا. الفرق دقيق ولكني احسبه واضحا.

هذا - ايها السادة - هو الخلق الحضاري للاسلام. لم يكن موجودا قبله فأوجده. بدأه بعناصر تكوينه الموروثة من العصر القبلي والشعوبي فغذاه من عنده بالعناصر المشتركة اللازمة للتكوين القومي. بعد هذا ، فان كل ما قلتموه - ايها السادة - يمكن ان ينسب الى الحضارة العربية. حتى الازمة التي تحدث عنها الدكتور محمد النويهي هي ازمة التطور الحضاري للعرب. حتى المخرج من الازمة كما اقترحه هو مخرج الامة العربية من ازمتها.

ايها السادة : كان قبل الاسلام عرب. ولم تكن قبل الاسلام امة عربية. بل ولدت نواتها بمولده. ونمت بنموه واكتملت نموا تحت رايته ، فلا ينبغي لنا الآن ان نتحدث عن الاسلام والتطور الحضاري فنذكر كل شيء ما عدا الامة التي صنعها الاسلام فهي من خلق ثورته الحضارية.

ثم :

اليس عنوان الملف « الدين والتطور الحضاري في الوطن العربي » ؟

والسلام عليكم ورحمة الله.

اجتهاد في الاستراتيجية والتكتيك :

من قواعد الاجتهاد في الاسلام انه مثوب مرتين ان اسفر عما هو صحيح. اما اذا اسفر عن خطأ ، فمثوب مرة واحدة. الاسلام هو الدين الوحيد الذي يحض على

الاجتهـــاد بغير خوف من الخطأ ، بل بترقب الثواب في كل حال . يقول الدكتور محمد النويهي في مقاله الرائع وهـــو يطالب بحملة فكرية منظمة :

« ان هدف الحملة الفكرية المطلوبة هي ان نقنع الناس بوجوب الاخذ بالنظرية العلمانية الخالصة في كل ما يختص بامور معاشهم ودنياهم وهي لن تفلح في هذا الا اذا اقنعتهم بأن الاسلام ـ دين كثرتهم ـ فيمـــا عدا مسائل العقيـــدة والعبادة ، لا يتنافى مع النظرة العلمانية ، بل ليس مـــن المغالات ان نقرر ان موقفه من اموردنيانا هو موقف علماني صرف » .

ويقول في موضع اخر عن المعنى الكامل للاجتهاد انه:

« لم يكن مقصورا على القيـــاس بمعناه الضيق او تحديده المعروف في علم المنطق ، اي العثور في القرآن او السنة على مسائل مناظرة يطبق عليها نفس الحكم الذي شرعه القرآن او السنة لمسالة قديمة » بل هو الادلاء بالحكم الجديد على هدى المصلحة وحدها والاحتجاج له بانه يجلب منفعـة او يدفع ضررا » وانه لذلك يكون حكما اسلاميا مقبولا » .

هذا ـ ان صح ـ مشجع .

وانا احمل اسم ابو ذر ولا احمل علمه بالدين .

مع ذلك ساجتهد في « استنباط » بعض الاحكام مـــن آيات بعيدة عن احكام العبادات والمعاملات جميعا . خوفـا من الخطأ الجسيم . من الاخطاء الجسيمة التي لا يسترهـا الاجتهاد ـ يا دكتور محمد النويهي ـ ان يكون تأويل النص القرآني طريقا الى الغائه او نسخه . الله امر ونسخ . هذا صحيح . ولكنه هو الآمر الناسخ . ولا اله الا الله .. هنا

استنبط احكاما من ايات اجتهادا على هامش ملف الشورى واتعلم من الآيات دروسا في الصراع ·

قال الله تعالى :

(١) « ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين· اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم عليها عاكفون· قالوا وجدنا آبائنا لها عابدين · قال لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلل مبين · قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين · قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين »·

(٢) « وتالله لاكيدن اصنمكم بعد ان تولوا مدبرين » ·

(٣) « فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون· قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظلمين · قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم · قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون · قالوا اانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم · قال بل فعله كبيرهم هذا · فسئلوهم ان كانوا ينطقون»·

هذه مواقف ثلاثة · كل موقف منهـــا يمثل مرحلـة مختلفة من مراحل الصراع بين ابراهيم والكافرين · فـــي الموقف الاول كان ابراهيم يدعو ويحاور عله يقنع الكافريـــن بالحق من غير صراع · في الموقف الثاني بدأ ابراهيم باعلان ارادته المؤكدة بانه مصر على الوصول الى غايته بالكـــيد وغيره ما دام الحوار لم يجد شيئا مع قوم يصرون عـــلى الضلال ولا يعقلون · ابراهيم هو الذي بدأ فاعلن لخصومه ولم يكتف بفشل الحوار معهم · هذه ملحوظـــة تستحـــق الانتباه كان ابو ابراهيم وقومه على حال مستقر من عبـــادة الاوثان · كان ابراهيم الثائر على الواقع المستقر الـــذي يريد

تغييره• بـــدأ هو الحوار • وهو الذي بـدأ الصراع • لأن التوقف عند اية مرحلة من مراحل الثورة قبول لاستمرار الواقع • هو في الواقع هزيمة للثورة وتصفية لكل ما قطعته من مراحل المبادرة • الثورية للتقدميين دائما فان فقدوها لم يعودوا تقدميين• لو كان ابراهيم قد توقفعند نهايةالحوارمع ابيه وقومه لما توقف كفر الكافرين • انقطع الحوار فبـدأ ابراهيم الصراع جهارا • يلزمنا مزيد من الانتباه الى اعلان الصراع • « تالله لاكيدن اصنمكم بعد ان تولوا مدبرين » • اعلن انه سيكيد • لم يقل لهم كيف يكون كيده • في الصراع لابد من اعلان المبدأ والهدف • على ضؤ المبدأ والهدف يحدد كل واحد مواقفه • اما الخطط « التكتيكية » للتنفيذ فلا تعلن • ليس من حق العدو ان يعرف « كيف » تكيد له • لو عرف لاعد العدة دفاعـــا عن موقفـه او هزيمة لموقفك • لو مكنته مــن المعرفة لهزمت نفسك وخنت قضيتك • لم يكن ابراهيم يجهل ما سيفعل كيدا • فاعلن موقفه واخفى خطته • كان هــدف المرحلة ان ينجح في كيده ولم يكن هدفه من الحوار • النجاح في التنفيذ لا يتوقف على ما تستطيع • يتوقف ايضا عـلى ما لا تستطيعه القوى المعادية • كل ثغرة في صفوفهم تفتح لنا بابا للتقدم • نعد العدة كاملـــة ونسلبهـم عدتهـــم ان استطعنا • ابراهيم سيحطم الاصنــــام فكيف يتغلب عـــلى حارسيها • لكي ينجح لا يكفي ان يحمل فأسا في يدهوشجاعة الايمان في قلبه • حبذا لو كانت الاصنام بغير حراس • اذن فليوحي اليهم ابراهيم بما يضعف مقدرتهم على المقاومة • اعلن لهم انه سيكيد اصنامهم « بعد ان تولوا مدبرين » • لم يكن هذا وعدا من ابراهيم لاعدائه • ان اخلفه قيل لــــه « عيب » ان اخلاف الوعد غير اخلاقي • اخلاف الموعد مع الصديق ليس اخلاقيا • اخلاف الوعــد مـــع العدو موقف

اخلاقي ان كان يهزمه او يساعـد على هزيمته ٠ كان وعـد ابراهيم تشتيتا لانتباههم ٠ ان حرسوا صنامهـم فقـد قـال انه لن يضرب ضربته ٠ يكفي اذن ان يوجد الحارسون حتى لو كانوا غير منتبهين اتكالا على ان مجرد علمه بوجودهـم سيمنعه من المحاولة ٠ ولكن ابراهيم نفذ وعيده ٠

ثم جاءوا به وبدأ الموقف الثالث٠ ابراهيم بين اعدائه٠ يحيطون به ٠ بدأ استجوابه ٠ « قالوا انت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم ؟ »٠ بماذا يجيب ابراهيم ؟ هل يصدقهم القول ؟٠٠ ذلك كان موقفه الاول في المرحلة الاولى ٠ مرحلـــة الحوار والاحتكام الى العقل ٠ مرحلة « الديموقراطية » ٠ انهـوا هم تلك المرحلة وبدأ هو مرحلة الصراع ٠ الان هو وهم اعداء يواجه بعضهم بعضا ٠ « قالوا انت فعلت هذا بالهتنا يـــا ابراهيم » ؟ ٠ ليس هذا السؤال في مرحلة الصراع بحثـا عن الحقيقة بل بحثا عن مبرر شكلي لبطش مبيت ٠ الصدق لا يكون الا بين الاصدقاء ٠ لاحق للاعداء في ان يعرفـــوا الحقيقة لانهم لا يبحثون عنها ولا يرتضونهـا ٠ فلقننا ابـو الانبياء واحد من اهم قواعد التعامل مع الاعداء ٠ حجـب الحقيقة عنهم ٠

قال : « بل فعله كبيرهم هذا » ٠

ولم يكذب ابراهيم عليه السلام ٠ فقد كان صادقا في موقفه الثالث كما كان صادقا في موقفيه الاول والثاني ، والعبرة في كل موقف بظروفه الذاتية والموضوعية ٠ بحيث يظـــل الموقف « التكتيكي » محكومـــا دائمـــا بالهـــدف « الاستراتيجي » كما يحدده المبدأ « العقائدي » ٠ ذلـك هو مناط الصدق في الموقف ٠ غير هذا موقف مثالي ٠ المثالية

فشل محض ولو ارضت فضول صاحبها او غروره ·
على ضؤ هذا :

فان تسجيل المواقف علنا لمجرد الحصول على البراءة الذاتية

وافتراض الصدق فيما تعلنه القوى المعادية ، والغضب منها ، ان نكصت ،

وطرح الاسئلــة فضولا لمجرد اكتشـــاف الاجابــــات الصحيحة ،

والاجابات المتسرعة تحت تاثير استفزازات الاسئلة ،
والتنازل عن المبدأ من اجل الاستراتيجية ،

والتنازل عن الاستراتيجية من أجل التكتيك ،

والتنازل عن التكتيك من اجل الذات ،
... ... الخ

كل هذا يخذلنا في معركتنا المصيرية ضـــد عدونــــا الشرس ، الواعي ، ثــم انه يخالف احكاما استنبطناها مــن اي الذكر الحكيم ·

والله اعلم

رد على رسالة شاب عربي :

اي بنى ،

سالتني في العــدد السابع من الشورى الجواب على اسئلةعدة وقلت لي :

« والدي »

« ان لم تجبني على اسئلتي فستكون من هؤلاء الكتاب القوميين الذين يعتقدون ان بكتابتهم عدة صفحات في مجلة فقد ادوا كل واجبهم » ·

جوابا اقول :

أي بني ،

ان كنت لا تعرف ان المنهج العلمي هو قسمة العمل بين متعددين بحيث يتحدد واجب كل واحد بمقدرته فاعرف · ان كنت لا تعرف ان مقدرتي لا تتجاوز المعرفة فاعرف · ان كنت لا تعرف انني اعتقد ان بكتابتي عدة صفحات في مجلة قد اديت كل واجبي فاعرف · ان كنت لا تعرف ان الادعاء بما يتجاوز المقدرة يجرح الامانة الذاتية ويضر بالاخرين فاعرف · ان كنت لا تعرف ان القادرين على حمل القلم قد لا يقدرون على حمل الرشاش فاعرف · ان كنت لا تعرف ان القادر على معرفة المشكلة قد لا يعرف حلها وان القادر على معرفة حلها قد لا يقدر على تنفيذه فاعرف · ان كنت لا تعرف ان ليس كل الذين يجهرون بالقومية قوميين فاعرف · ان كنت لا تعرف ان واجب اقامة التنظيم القومي اداة للثورة العربية هو واجبكم انتم الشباب فاعرف ·

واخيرا ان كنت تريد ان تعرف من والدك ابي ذر كيف تؤدون واجبكم في اقامة التنظيم القومي اداة للثورة العربية، فاحسب ـ يا ولدي ـ انني قد اجبت فيما كتبت من هذا المقال ، فتعرف عليه تعرف ·

وفقك الله يا بني

ولك من والدك ابي ذر خالص التحية ·

القاهرة في ٢١ اكتوبر ١٩٧٤

٧

الاخطبوط :

الاخطبوط حيوان مائي ينتمي الى فصيلة الرخويات له ثماني ارجل فيها محاجم ماصة يلتصق بها في فريسته · بعض انواع الاخطبوط يسمى « الحبير » مرجع اسمه الى انه يطلق من حوله مادة سوداء « كالحبر » تختلط بالماء فتحجبه عن الرؤية · وسيلة من وسائل التضليل · بالرغم من السواد القاتم الذي يخفي جسم الاخطبوط الصغير وتبدو اطراف ارجله الثمانية تضرب في كل اتجاه فيحسب الناظر اليه انه يرى ثمانية حيوانات « دودية » المظهر تتحرك منفصلة ومستقلة بعضها عن بعض ·

ذكرني بالاخطبوط الواحد الخفي وارجله المتعددة الظاهرة ، والضاربة في كل اتجاه ، مقال الاخ عبد الله بلال في ملف « الشورى » (العدد الثامن) ·

قال الاخ عبد الله بلال تحت عنوان : « تحالف قوى الشعب العاملة ولماذا ؟ » ، ان الحوار الذي دار حول تطوير صيغة الاتحاد الاشتراكي العربي قد كشف تيارات عديدة : « والكثير من هذه التيارات تستهدف ضرب صيغة التحالف بالمطالبة جهارا بتصفية تنظيم الاتحاد الاشتراكي العربي

والدعوة الى تعدد الاحزاب » ٠
عددها فقال ، باختصار : ،

التيار الاول :

« يرى ان يتحول الاتحاد الاشتراكي الى حزب ومنطق هؤلاء ان الاتحاد الاشتراكي العربي في شكله الراهن لا يمثل حزبا ولا مجموعة من الاحزاب وانه ينبغي في ممارسته العمل السياسي ان يسير كما يسير العالم باساليب حزبية » ٠

فيقول ابوذر :

تبدو هذه الدعوة عاطفة على الاتحاد الاشتراكي العربي فتقترح عليه صيغة اكثر انضباطا وفاعلية في العمل السياسي هي صيغة الحزب ٠ غير ان وراء هذا العطف رغبة في تصفية الاتحاد الاشتراكي العربي من حيث هو صيغة تحالف قوى متعددة ٠ اعنى آنه عندما يتحول الاتحاد الاشتراكي العربي الي حزب ينتهي التحالف وينفض الحلفاء ويبقى « الحزب » اداة للصراع ضد الذين كانوا يوما حلفاء متحالفين وعندما ينفض الحلف يسقط « ميثاقه » الذي التفت عليه القوى المتحالفة ٠ ويسقط مع الميثاق الالتزام بكل ما جاء به وخاصة التحول الاشتراكي ٠

التيار الثاني :

« يرى تغيير اسم الاتحاد الاشتراكي العربي لان اسمه غير ذي مدلول ويطرح اسما بديلا عنه هو « التحالف الوطني المصري » ٠

فيقول ابوذر :

ان مقارنة الاسمين « الاتحاد الاشتراكي العربي » و

« التحالف الوطني المصري » تكشف النوايا الخفية التي تحتج بالاسم كأنما الذي يعنيها هي العناوين · فالواقع ان « التحالف الوطني المصري » يبقى على التحالف ولكنه يحذف منه « العربي » و « الاشتراكي » وهي اسماء لمضامين مميزة لثورة ٢٣ يوليو · فكأن وراء الرغبة في تغيير الاسم نوايا مبيتة لتصفية ثورة ٢٣ يوليو في اتجاهها العربي عامة والاشتراكي خاصة ·

التيار الثالث :

« يرى اصحابه الابقاء على الاتحاد الاشتراكي العربي بعد تحقيق شرط واحد هو الغاء تثنية الـ ٥٠ ٪ المخصصة كحد ادنى لتمثيل العمال والفلاحين » ·

فيقول ابوذر :

لماذا العمال والفلاحون ؟ لان عبد الناصر قد قال وهو يقدم الميثاق «فيه طبقة انداس عليها مئات السنين وفيه طبقة مغلوبة على امرها كانوا يعتبرونها سلعا انتاجية وهما العمال والفلاحين لازم تطلع وتاخذ وضعها الطبيعي ··· والا لن نستطيع ان نقضي على الاستغلال » · والاشتراكية هي نظام الغاء الاستغلال فكأن اصحاب هذا التيار يريدون ـ خفية ـ تصفية الاتجاه الى التحول الاشتراكي ·

التيار الرابع :

«يرى الغاء الاتحاد الاشتراكي والعودة الى نظام احزاب ما قبل ثورة ٢٣ يوليو ·

فيقول ابوذر :

ان العودة الى نظام الاحزاب التي كانت قبل ٢٣ يوليو

١٩٥٢ هي عودة الى النظام الليبرالي · والنظام الليبرالي هو الشكل السياسي للنظا م الرأسمالي · فكأن هذا التيار يخفي نواياه في تسويد الحديث عن الديموقراطية ليعود الى الرأسمالية · غايته الخفية هي تصفية الاتجاه الى التحول الاشتراكي ·

التيار الخامس :

«يرى الابقاء على الاتحاد الاشتراكي وابعاده عن النشاط السياسي وتحويله الى جهاز اداري للخدمات يمحو الامية في خمس سنوات مثلا » ·

فيقول ابوذر :

ذلك لان القانون الاساسي للاتحاد الاشتراكي العربي قد اورد من بين اهداف الاتحاد الاشتراكي العربي هدفا يقول : « تحقيق الثورة الاشتراكية التي هي ثورة الشعب العامل » فان هذا التيار لا يضيف الى مهمات الاتحاد الاشتراكي العربي « محو الامية في خمس سنوات » بل يقدم له هذه المهمة في مقابل ان يتخلى عن هدفه الاصيل الذي هو انجاز التحول الاشتراكي ·

التيار السادس :

يرى تصفية الاشتراكية ·

فيقول ابوذر :

انتم الامناء مع انفسكم وان كنتم خائنين لمصالح الشعب · وجماع مصالح الشعب هو في النظام الاشتراكي ·

التيار السابع :

يرى تصفية النظام كله ·

فيقول ابوذر :

انهم الاعداء الشجعان · انهم يستحقون صرامة الردع ولكنهم يستحقون احترام الشجاعة · وهم بعد اهون ضررا من الاعداء المنافقين · وهم مثلهم يستهدفون من الحوار حول الاتحاد الاشتراكي العربي تصفية النظام كله ، والنظام كله مصوغ تحت شعاره «حرية ، وحدة ، اشتراكية» فلا باس عند هؤلاء من ان يخسروا الحرية والوحدة من أجل الا يتم التحول الاشتراكي ·

التيار الثامن :

يرى الابقاء على الاتحاد الاشتراكي العربي وتجريده من السلطة ·

فيقول ابونر :

ذلك لان القانون الاساسي للاتحاد الاشتراكي العربي الذي حدد له هدفا « تحقيق الثورة الاشتراكية التي هي ثورة الشعب العامل » منحه السلطة اللازمة لتحقيق هدفه فقال : « ان الاتحاد الاشتراكي العربي ، وهو السلطة الشعبية ، يقوم بالعمل القيادي والتوجيهي وبالرقابة التي يمارسها باسم الشعب بينما يقوم مجلس الامة ، وهو سلطة الدولة العليا ، ومعه المجالس النقابية والشعبية ، بتنفيذ السياسة التي يرسمها الاتحاد الاشتراكي العربي » · فكأن غاية هذا التيار الثامن ان يسلب الاتحاد الاشتراكي العربي سلطة قيادة ورقابة الاجهزة المنوط بها تحقيق الثورة الاشتراكية ·

من كل هذا يرى القراء ويرى الاخ عبد الله بلال ان ما اسماه تيارات متعددة أفرد لكل منها فقرة خاصة انما هي اطراف ارجل الاخطبوط الكامن في جوف الماء الاسود الذي عكره

بما افرزه من « حبر » ليختفي في ظلمته تضليلا · ونعلم ان القوى التي افرزت نفسها في الحوار حول تطوير الاتحاد الاشتراكي العربي تحت لافتات ديموقراطية او لا ديموقراطية، حزبية او لا حزبية ، كانت تتصارع فعلا ، بقسوة محدودة بما هو مباح ، حول قضية اساسية هي قضية التحول الاشتراكي · كانت المعركة الاصلية الخفية هي اشتراكية او لا اشتراكية ·

على ضوء هذا يستطيع القراء الذين تتبعوا الحوار ان يفهموا موقفين من الحوار مختلفين وان كانا متميزين بانتسابهما الى قوى اشتراكية ·

الموقف الاول :

هو موقف الجماهير العريضة من الفلاحين والعمال والطلاب وبعض المثقفين الذين اشتركوا في الحوار تحت شعار « الناصرية » هؤلاء دافعوا بحرارة عن الاتحاد الاشتراكي العربي وقدموا مقترحات ايجابية لتطويره وكان وجه الغموض الظاهري في موقفهم كما رآه البعض انهم يدافعون عن تنظيم هم قاعدته التي لم تستطع ـ في الممارسة ـ تحويله الى اداة فعالة لتحقيق ارادتهم · كان يبدو غريبا من الذين لم ينصفهم الاتحاد الاشتراكي العربي ـ في الممارسة ـ ان يدافعوا عنه · غير ان هذا الغموض الظاهر الذيبدا غريبا للبعض كانموقفا سليما وواقعيا وموضوعيا لان تلك الجماهير العريضة كانت اوعى بواقعها الموضوعي من ناقديها السطحيين · لقد استطاع العمال والفلاحون والطلاب وبعض المثقفين ان يتبينوا ما وراء الصخب الدائر حول قضايا الديموقراطية · تبينوا ان المعركة الدائرة تحت لافتات ديموقراطية هي دائرة اصلا حول قضية الاشتراكية · ولقد

كان يكفي لكشف هذه الحقيقة معرفة النوعيات التي هاجمت الاتحاد الاشتراكي العربي · انها ـ اغلبها ـ ينتمي الى الاقطاع والرأسمالية المضروبة من قبل ، خرجت من جحورها تناور ، وتنافق ، وتتمحك بالديموقراطية وهدفها الاساسي هو العودة الى النظام الرأسمالي وتصفية ما تم من انجازات التحول الاشتراكي ·

الموقف الثاني ·

هو موقف التيار التاسع ويستحق فقرة خاصة ·

الرجل التاسعة :

قلنا ان للاخطبوط ثماني ارجل فقط · وليس له رجل تاسعة · ولكن الاخ عبد الله بلال قد لاحظ ان الاخطبوط السياسي الذي يحاول ان يلتف ويمتص المكاسب الشعبية في معركة تطوير الاتحاد الاشتراكي العربي رجلا تاسعة اسماها التيار التاسع ·

قال :

التيار التاسع :

« وهذا التيار يبلور موقف ورأي اليسار ودوره في اطار التحالف · وينادي هذا التيار بأنه يمكن الاتحاد الاشتراكي العربي والقوى الاجتماعية الداخلة فيه من ان تعبر عن نفسها من خلال منابرها الخاصة وان يحتضن الاتحاد الاشتراكي العربي افكار واتجاهات جميع القوى المتحالفة وذلك بتنظيم الحوار فيما بينها ديموقراطيا مع تحديد اهم المصالح الخاصة بكل قوة اجتماعية وترتيب اولوياتها بحيث لا تتعارض مع المصالح الموحدة ذات الوزن القومي الشامل » ·

« وينادي عناصر هذا التيار الماركسي بان اتاحة

تعدد الاحزاب لا تعني ان الصراع الاجتماعي لا بد ان يتعرض لمسار دموي تشهد بذلك تجربة اغلب دول العالم وعراقة مصر كفيلة بدرء هذا الخطر · واذا احتاج الامر الى تعديل في الدستور فان التعديل ضروري لمواجهة تطوير الاتحاد الاشتراكي العربي ، ويكون العمل السياسي وحده هو اداة تجمع الاحزاب الوطنية » ·

نلاحظ :

(١) ان في التيار « اليساري » تيارين · الاول يقترح اجراءات تسمح بتنظيم الحوار الديموقراطي داخل الاتحاد الاشتراكي العربي مع قبول الاتحاد الاشتراكي العربي صيغة لتحالف قوى الشعب العاملة · وهذا التيار اليساري يرفض عودة الاحزاب وتنتمي اليه الجماهير العريضة التي دافعت عن الاتحاد الاشتراكي العربي وقدمت مقترحات ايجابية للممارسة الديموقراطية داخله· ولا ينتمي الماركسيون الى هذا التيار · انه ـ على وجه ـ تيار ناصري ·

(٢) ان في التيار « اليساري » تيارا ثانيا هو التيار الماركسي · وكعادة الماركسيين في مواجهة كل مشكلة اجتماعية لم يرد فيها نص ينقسم هذا التيار الى ثلاث شعب :

أ ـ شعبة تتبنى التيار اليساري الناصري الذي اوردناه من قبل على أمل ان تتحول المنابر المتعددة داخل الاتحاد الاشتراكي العربي الى احزاب متعددة من خلال الممارسة ·

ب ـ شعبة تتبنى تصفية الاتحاد الاشتراكي العربي والعودة الى الاحزاب وتقدم بدلا من صيغة التحالف في الاتحاد الاشتراكي العربي صيغة

الجبهة بين الاحزاب الوطنية دون ان تقول كيف يمكن حمل الاحزاب على قبول الجبهة ·

ج - شعبة اخرى تقولبالنص: «ان الشيوعيين المصريين يقفون الى جانب الليبراليين المصريين في نضالهم ضد احتكار السلطة » · ويقولون بالنص : « ان شعار تحويل ٢٣ يوليو الى نظام كما اعلن السادات لا يعني الا شيئا واحدا وهو ان جميع المصريين سواء الذين عزلوا سياسيا في الفترة السابقة (لاسباب سياسية او اجتماعية) او الذين لم يعزلوا متساوون في الحقوق السياسية والجميع يساهمون في بناء البلاد » · ويقولون بالنص : « ان نقطة البداية هي في التخلص من هذه الصيغ : الكفاية والعدل ـ الـ ٥٠٪ عمال وفلاحين ··· الخ · لانها عقبات حقيقية في سبيل اقامة حلف وطني ؟ » · ويقولون بالنص : « ان الثورة في بلادنا تمر بمرحلة الثورة الوطنية الديموقراطية التي تسمح بتطور ملائم للرأسمالية · ان مضمونها ما زال بورجوازيا بمعنى انها لن تقضي على رأس المال بل سيسمح له بالتطور والنمو بطريقة ملائمة » · ويقولون بالنص : « ان شعارات الاشتراكية سواء كانت ماركسية او ميثاقية لا تصلح اليوم لبلادنا » · ويقولون بالنص : « ان الحديث فقط عن القطاع العام دون القطاع الخاص هو شعار يساري المظهر لا يفعل شيئا سوى ان يفسد القطاع العام ·· اننا نرى ان العقبة هي في عدم الاعتراف باهمية وضرورة تطور ونمو القطاع الخاص » ·· ثم

ينادون بتصفية الاتحاد الاشتراكي العربي وعودة الاحزاب ·

وهكذا يرى الاخ عبد الله بلال ، وقراء « الشورى » ان شعب التيار الماركسي ليست اصيلة ، انها « زغب » او نتؤات على ارجل الاخطبوط الرجعي الكامن في الماء العكر ويصدق ما نعرفه من ان للاخطبوط ثماني ارجل فقط ·

درس من الاغتراب الحضاري :

كان حديثنا عن « الاخطبوط » مقدمة يريـــد « العم » ابوذر ان يخلص منها الى درس تعلمه مبكرا ودفع ثمنـــه غاليا ، ويريد ان ينقله الى الجيل العربي الجديد من الشباب العربي · يقول هذا الدرس انه عندما يحتدم الصراع بـــين القوى الاجتماعية يدعي كل منها حقا ويقدم كل منها ادلـــة على حقه ، وتتشابك الدعاوى والادلة ، ويثور غبار المعركة ، يكون على كل حريص على ان يصل الى الموقف الصحيح ان يحصن نفسه ضد اغــراء واستفزازات الصخب الظاهـــر ويحاول ان يتبين في جوف الغبار الداكن جسم « الاخطبوط » عندئذ يعرف حقيقة المعركـــة فيستطيع ان يأخـذ المـــوقف الصحيح · بغير هذا قد يجد حسنو النوايا انفسهم مقاتلين في صفوف اعدائهم ضد غاياتهم ، ولقد سقط فـــي المعارك كثيرون شهداء حسن نواياهم بـــدون ان يفطنوا ــ قبـــل ان يسقطوا ــ الى انهم كانوا شهداء غبائهم ·

اعتقد ــ بقدر فهمي للغة العربية واساليب صياغتها ــ ان هذا هو الدرس الذي اراد ان يطرحه الاستاذ مطاع صفدي في مقاله « العويص » عن « الاغتراب الحضاري » في العدد الثامن من الشورى · قال :

« ··· تظل ظاهــرة التناقض الصدامـــي المـــادي

(الصراع السياسي) هي الظاهرة الدالة عن باطن العملية الجدلية في اشتمالها الفنى ذاك (الصـــراع الاجتماعي) شرط الا يتحدد الوعي بتلك الظاهرة (يقصر انتباهه عليها) بل يستند اليها باعتبارها المجال الموضوعي لبروز عناصـــر الصراع ، على ان يتخطاها الى جدلية هـــذه العناصـــر (يتبين ما تحتها من عوامل الصراع الاجتماعي) ٠

« ان الصراع اليومي الذي تستقطبه الفعاليات السياسية وحتى العسكرية ، والاستراتيجية يؤلف حقيقـة الظاهـــرة الدالة (على وجود صراع اجتماعي) وقد اعتاد ان يشـــد الوعي الجمهوري (وعي الجماهير) الى منبهاتـــه الحادة المستمرة ٠ وبالمقابل كان هذا الوعي الجمهوري بدوره يؤلف ردا انفعاليا يثبت مثول المقاومة المباشرة ويعطيها حضورها المادي الواضح (يجسد المقاومة) ولكن عندما يتوقف الوعي عند حدودها الاوليـــة (عندمـــا يقف عند ادراك الصـــراع السياسي فقط) يحدد ذاته و يضعف مقدرتـــه (يلغـــى ممارسته) ٠

« اذ بينما تخدم الظاهـرة الدالة فـــي مجال احداث الصدمة (تحرك الصراع) فانها تجتزىء الوعي (تضعفه) عن متابعة بقية مستويات النشاط الجدلي المتوغل في حركة الصيرورة الاجتماعية للحضارة المقاومة (الكامن في حركة الواقع الموضوعي المحرك للصراع) وتقلصه (تقصر حركة الوعي) في اطار ردود الفعل الانية عـــلى ظاهرة الصراع الصدامي كما يجري في الساحة الجماهيرية التي تمسرح وتضم اقطاب الصراع (تظهر وتكشف القوى المتصارعة) دون ان تبنى فعالية اشتمال وتجاوز نحو الصيرورة الاعمق (دون أن تسمح بالتأثير الشـــامل فـــي حركـــة الواقـــع الموضوعي) ٠

« هكذا تتقلص بالتالي حركة الوعي (تقل) وتخلق حولها ظروف اغتراب (انفصال) لا يلبث ان يفصلها ، هذا بدوره (الاغتراب) عن اساسية الاغتراب الاشمل (رفض الواقع جملة) التي تنبع هي عنه في الاصل (لان الواقع الموضوعي هو الذي تشير اليه الدالة الظاهرة الذي يؤدي تركيز الانتباه عليه الى عدم ادراك عوامل الصراع الكامنة في الواقع الشامل للدالة الظاهرة وغيرها) ...

يكفي هذا فقد تعبت ولم استطع ان « اترجم » باقي الفقرة « بمستوى جدارتها التاريخية وليس منطقيتها العقلانية فحسب » .

هكذا يرى الجيل الجديد من الشباب العربي ان مطاع صفدي وابا ذر متفقان والله اعلم .

استدراك :

ان كل ما قيل فيما سبق هو عرض وتعليق وانضاج لما طرح على صفحات العدد الثامن من « الشورى » من حديث عن الحوار الذي دار حول تطوير الاتحاد الاشتراكي العربي وليس فيه رأي ابي ذر . قلنا في اعداد سابقة اننا لا نقدم هنا وجبات من عندنا بل نأخذ الوجبات المقدمة كما هي ونضعها على السفود لتنضج .

ولكي اوضح لابنائي من الجيل العربي الجديد الذي يعنيني قبل كل قارىء لماذا استدرك هنا كما لو كنت اخفي شيئا لا اريد ان اقوله ، اقول :

ان لدينا ثلاث مؤسسات جماهيرية تحمل كل منها اسم « الاتحاد الاشتراكي العربي » :

١ ـ المؤسسة الاولى :

هي الاتحاد الاشتراكي العربي كما جاء في الميثاق وفي قانونه الاساسي · تحالف من قوى الشعب العاملة : الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية · يقوده حزب اشتراكي يقال له « طليعة الاشتراكيين » هذا « الاتحاد الاشتراكي العربي » مفهوم من حيث هو متكامل البنية · فلا بد لكل حلف من قيادة ، والقيادة هنا للحزب الاشتراكي « طليعة الاشتراكيين » ·

٢ ـ المؤسسة الثانية :

هي « الاتحاد الاشتراكي العربي » كما تحقق في الممارسة · تحالف من قوى الشعب العاملة : الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية يقوده حزب يقال له : « طليعة الاشتراكيين » انتقت اعضاءه الرأسمالية الوطنية والبيروقراطية التابعة لها فحال الحزب ـ عن طريق احتكاره لقيادة المؤسسة الجماهيرية ـ دون ان يشترك الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون في اتخاذ القرارات السياسية التي « تحقق الثورة الاشتراكية » · اصبح الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون تابعين للرأسمالية الوطنية والبيروقراطية وليسوا حلفاء فانفض الحلف عمليا ـ في الممارسة ـ بالرغم من وثائقه الفكرية ونظامه الاساسي ·

٣ ـ المؤسسة الثالثة :

هي الاتحاد الاشتراكي العربي كما هي حاليا · تحالف بين قوى الشعب العاملة: الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية ولكن بدون حزب قائد للتحالف ، لا اشتراكي ولا غير اشتراكي انه هنا تجمع جماهيري بدون

قيادة من داخله ، فهو في مرحلة ركود في انتظار ما يسفر عنه الحوار حول تطويره ٠

الذي لم يفهمه ابوذر ابدا هو : على اية واحدة من هذه المؤسسات الجماهيرية التي تحمل اسما واحدا ولكنها مختلفة نوعيا كان ينصب الهجوم او يقوم الدفاع ٠ كان المتحاورون يتحدثون لغة واحدة عن « الاتحاد الاشتراكي العربي » ولكن كل واحد منهم كان يعني مؤسسة بعينها من نماذج « الاتحاد الاشتراكي العربي » الثلاثة ٠ وبعضهم كان يخلط بين المؤسسات جميعا فلا يفهم ابوذر شيئا مما يقولون ٠

كان ابوذر يرى ان المواقف لا ينبغي علميا ان تخرج عن واحد من اثنين :

١ ـ الموقف الاول يستند الى ان « التطوير » يعني تغيير الواقع ليطابق النظرية ومؤداه تطوير « الاتحاد الاشتراكي العربي » الواقع (المؤسسة رقم ٣) ليطابق « الاتحاد الاشتراكي العربي » كما جاء في الميثاق والقانون الاساسي (المؤسسة رقم ١) على ضوء السلبيات التي اسفرت عنها المؤسسة رقم ٢ ٠

٢ ـ الموقف الثاني يستند الى خطأ النظرية (الميثاق) ٠ ومؤداه ليس تصفية الاتحاد الاشتراكي العربي فقط بل تصفية تحالف قوى الشعب العاملة ، وتصفية القطاع العام ٠٠ باختصار تصفية ثورة ٢٣ يوليو لحساب العودة الى ما قبل ١٩٥٢ او لحساب نظام بديل جديد ٠

غير ان الحوار اختلط والمواقف تعددت وتداخلت جهلا

او نفاقا او تكتيكا يحسب نفسه ذكيا حتى اصبح للاخطبوط تسعة ارجل ·

فاعتزل ابوذر الحوار ، ربما قدوة بابي ذر رضى الله عنه الذي اعتزل او عزلوه في موضع قاحل خارج المدينة ··· حتى مات ·

بالمناسبة :

بهذه المناسبة احيبي الاخ حسن العلواني على مقاله القيم « الثورة الاجتماعية في فكر عبد الناصر » تعجبني المقالات المدروسة المدعومة بالارقام الرياضية · الارقام احسم دليلا من الكلمات لانها لا تحتمل التأويل · بعد استنفاد الارقام الحاسمة ، عاد الاخ حسن العلواني الى الحديث عن تحالف قوى الشعب العاملة وهم الفلاحون والعمال والمثقفون والجنود والرأسمالية الوطنية · وهو ذات الموضوع الذي تحدث عنه من قبل في سياق حديثه عن « تحالف قوى الشعب العاملة ·· ولماذا ؟ » الاخ عبد الله بلال ·

انه موضوع نجده في كل حديث عن عبد الناصر او الناصرية ·

نجد دفاعا عنه في كل دفاع عن عبد الناصر او الناصرية ·

ونجد هجوما عليه في كل هجوم على عبد الناصر او الناصرية ·

وهذا حق ·

فتحالف قوى الشعب العاملة صيغة ابدعها الزعيم الراحل جمال عبد الناصر وضمنها الميثاق وقامت عليها المؤسسة الجماهيرية « الاتحاد الاشتراكي العربي » فهي لصيقة

بالناصرية · من هنا فانها تستحق من كافة الشباب العربي ، ومن الناصريين ، كهولا وشيوخا ، العناية بها ودراستها وتعميق اصولها الفكرية وحدودها التطبيقية · وينتهز ابوذر هذه المناسبة ليقدم الى الشباب العربي من الجيل الجديد موضوعين للدراسة ·

الاول : ان صيغة تحالف قوى الشعب العاملة ، مثلها مثل كل تحالف ، لا تقوم الا اذا تضمنت قيادة لهذا التحالف ، تتجه به الى غايات محددة من قبل · هي التي يتم على اساسها التحالف · ولقد كان الميثاق الذي قدمه الزعيم الراحل جمال عبد الناصر هو « ميثاق » التحالف الذي يحدد غاية حركة نضال القوى المتحالفة · اما القيادة ـ في الميثاق ـ فكانت لطليعة الاشتراكيين وهو الاسم الذي اختير حينئذ للناصريين بقيادة جمال عبد الناصر ·

السؤال هو : ما الرأي في هذه الصيغة (التحالف) اذا قامت على ميثاق « غير ناصري » او اذا كانت بقيادة غير الناصريين ؟ ·· بصيغة اخرى : هل التحالف مقصود بذاته حتى في حالة الاغتراب (مع الاعتذار للاستاذ مطاع صفدي) عن مضمونه وغايته وبحيث يكون على الناصريين في كل الظروف ان يتمسكوا بالتحالف حتى لو كانت قيادته او غايته غير ناصرية ؟ ··

الثاني : ان من مبررات صيغة تحالف قوى الشعب العاملة تجنيب القوى الشعبية مخاطر الصراع الاجتماعي وهذا مبرر بان الصيغة قد وضعت في وقت كانت معارك التحرر على اشدها · ومعارك التحرر تفرض على جميع القوى الاجتماعية التحالف ضد العدو المشترك · من ناحية اخرى وضعت صيغة تحالف قوى الشعب العاملة بينما كان

جمال عبد الناصر في السلطة ملتزما ومنفذا لمراحل التحول الاشتراكي ، وكانت تلك الصيغة بديلا عن « الصراع الطبقي » او وسيلة لتذويب الفروق بين الطبقات سلميا كما جاء في الميثاق .

السؤال هو : لو انتهت معارك التحرر ، اي اذ لم يعد الاشتراكيون الناصريون في السلطة ، وبالتالي لم يعد في امكانهم ، عن طريق التشريع القانوني والتطوير الاقتصادي ، تذويب الفروق بين الطبقات ، هل يكون على الناصريين ان يبقوا ملتزمين بصيغة تحالف قوى الشعب العاملة وتجنب الصراع الاجتماعي (الطبقي) .

في سؤال واحد :

هل صيغة تحالف قوى الشعب العاملة من حيث هي اداة نضالية « مبدأ » ام استراتيجية ناصرية ام تكتيك مرحلي يشترط فيه ان يكون تحت قيادة الناصريين ؟ ..

لكي تكون الاجابة اسهل ، يرجو ابوذر الشباب العربي من الجيل الجديد الا يحصر نفسه ـ وهو يبحث عن الاجابة ـ في الاقطار التي تأخذ بهذه الصيغة حاليا وهي مصر العربية صاحبة التجربة الناصرية وليبيا العربية الامتداد للثورة الناصرية ، بل تصوروا انفسكم تبحثون عن الاجابة في لبنان او السعودية او العراق او تونس مثلا ...

ذلك لان أبا ذر يتمنى لكم دائما ان تروا كل المشكلات من موقف قومي تمتد رؤيته لتحيط بوطنكم العربي الكبير ، وفي الاجابة على هذين السؤالين تدريب لكم على تناول المشكلات على مستواها القومي .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
القاهرة في نوفمبر ١٩٧٤

٨

المذهب المحظور :

في يوم ١٥ أبريل سنة ١٩٢٠ كان السيدان بارمنتر وبيرارديللي يسيران معا في مدينة « سوث بيزمترى » (ولاية ماسوشيت ـ الولايات المتحدة الامريكية) · الاول يحمل كمية من المال والثاني يحرسه · كان مالا يستحق حارسا خاصا · ثم قتلا · لم يترك القاتل (او القتلة) اثرا الا اختفاء المال وجثتين · في ٥ مايو ١٩٢٠ قبضت السلطات في الولايات المتحدة الاميركية على اثنين من الايطاليين المهاجرين اليها هما ساكو وفانزتي بتهمة قتل بامنتر وبيرارديللي · قدم المتهمان للمحاكمة امام قاض اسمه ويسترتاير · في ١٤ يوليو من العام ذاته قرر المحلفون ان المتهمين مذنبان فصدر الحكم باعدامهما · لم تكن المحاكمة عادلة على أي وجه · اهدر فيها القاضي والمحلفون كل الضمانات القانونية للاثبات والدفاع ، كان الامر يبدو كما لو كان ثمة سبب خفي يحاكم من اجله المتهمان وان المحاكمة بكل شكلياتها ليست سوى ستارا لاعدامهما · كان ذلك هو الواقع · كان المطلوب اعدام الايطاليين المهاجرين بصرف النظر عن علاقتهما بالقتيلين ·

أحدث ذلك التدبير « القانوني » المفضوح لتغطية جريمة قتل متهمين بريئين ردة فعل جماهيرية (لجان ومظاهرات وندوات

ونشرات وصحافة ٠٠ الخ) تدين المحاكمة وتطلب اعادتها ٠ كان من اثارها تاجيل تنفيذ الحكم مرة بعد اخرى ٠ الى ان جاء يوم ١٨ نوفمبر ١٩٢٥ ٠

كان ذلك اليوم محددا لتنفيذ حكم الاعدام في شخص اخر اسمه سلتينومديروس جزاء ارتكابه جريمة قتل ثابتة ٠ فلما ان حانت ساعة الاعدام استيقظ ضميره ـ كما يقولون ـ وفاجأ ممثلي السلطات المشرفين على تنفيذ الحكم فيه باعتراف مفصل يتضمن ويثبت انه هو الذي قتل المرحومين بارمنتر وبيرارديللي بالاشتراك مع بقية عصابة جوموريللي احدى العصابات التي كانت تفرض بارادتها سيطرة اجرامية على المجتمع الامريكي في ذلك الوقت ٠ اعنى من الجدود الاوائل لعصابة المافيا ٠ ميراث الجرائم ما يزال متصلا في المجتمع الامريكي الراسمالي ٠ نهايته ٠

احيا ذلك الاعتراف امال المتهمين البريئين ودعم الحركة الجماهيرية التي تساندهما ٠ فقد حصحص الحق (حصحص او حصص كلاهما صحيح يعني بان وظهر) فتقدما بطلب اعادة محاكمتهما على ضوْ الادلة الجديدة التي ادلي بها سلتينومديروس ٠ الطلب يتفق مع القانون ٠ لكن القانون الامريكي كان (تعدل بعد ذلك) يخضع الاستجابة له لتقدير المحكمة العليا ٠ رفضت المحكمة العليا اعادة المحاكمة ٠ نفذ الاعدام فعلا في البريئين ساكو وفانزتي يوم ٩ ابريل ١٩٢٧ ٠ لم يكن اعدامهما نهاية القضية الا بالنسبة اليهما استمرت الحركة الجماهيرية ، اكثر نشاطا ، واوسع مجالا ، واحكم تنظيما تريد ان تعاد المحاكمة لتبرئة « اسمي » البريئين ٠ فشكلت لجان تحقيق قضائية ، وتشريعية ، وجماهيرية ، وصحفية ، لم تنته الا في ابريل ١٩٥٩ ٠

انتهت بانهاء الحديث في الموضوع حتى سنة ١٩٥٩ كانت اسباب اعدام البريئين اقوى من أية عدالة في المجتمع الامريكي · وبقيت القضية كتابا لا تخلو منه مكتبة احد من رجال القانون هناك ·

والآن ،

ما السبب الذي قتل القضاء الامريكي من اجله ساكو وفانزتي ؟

تقول الوثائق : « الفوضوية » · كانا يدينان بمذهب « الفوضوية » · المذهب الذي يلتقي على عدائه كل من الرأسماليين والشيوعيين وتحاربه كل الدول بدون استثناء وسخرت من اجل « تشويهه » اجهزة الثقافة والاعلام والدعاية في العالم اجمع فاستقر في اذهان البشر ، الا قلة قليلة ، انه مذهب العنف والتدمير والاغتيالات · مذهب الاجرام بكل مساوئه · لم تكن تلك الحملة العدائية « العالمية » ضد « الفوضوية » بدون اي مبرر · فالواقع انها بدأت في الفترة من ١٨٩٤ و ١٩٠١ وفيها حكمت ثلة من «الفوضويين» بالاعدام على سادي كارنو رئيس جمهورية فرنسا واليزابيث امبراطورة النمسا ، وهمبرت الاول ملك ايطاليا ، ووليام ماكفيلي رئيس الولايات المتحدة الامريكية · غير ان تلك الحملة الارهابية التي وجهت ضد رؤساء الدول ، والتيار الارهابي في الحركة الفوضوية ذاتها ، انتهت تماما في اواخر العشرينيات من هذا القرن · وبقي الاتهام قائما ضد « الفوضوية » و « الفوضويين » حتى هذا اليوم · مع ان المذهب اسسه وانتهى اليه وارسى فلسفته جماعة من قمم المعرفة الانسانية الذين لا ينكر احد عليهم اليوم تفوقهم الفكري واخلاصهم للانسانية ·

زينون من بين الفلاسفة الاغريق · رابيليه وفينيلون وبرودون من بين المفكرين والفلاسفة الفرنسيين · وليـــام جولدوين مـــن علماء الاجتماع في انجلترا · هيس وكارل جرون وماكس شتيرن ونيتشه في المانيا · ميكائيلي باكونين وبطرس كروبتكين وليو تلستوي في روسيا ·· الخ ·

ماذا يقول المذهب ؟·· نرجع الى فيلسوفه الاكبر بيير جوزيف برودون ، الفرنسي · ولد عام ١٨٠٩ وتوفي عـام ١٨٦٥ · كان عامل مطبعة ثم مصحح تجارب الطباعة · ومن خلال قراءته ما يكتب لتصحيح اخطائه المطبعية اصبح واحدا من اكبر فلاسفـــة عصره واغزرهـــم انتاجا (الف عشرة مجلدات كبيرة في الفترة من ١٨٣٧ حتى ١٨٦٥ غير مئات الابحاث القصيرة التي كان يكتبها يوميا) · ولما كان يصحح كـــل شيء فقد عرف شيئا من كل شيء وكتب في كل شيء تقريبا · وقامت بينه وبين كارل ماركس مناظرة طريفة تذكرنا بالمناظرة التي قامت بين الغزالي عندما الف كتابه « تهافت الفلاسفة » فرد عليه ابن رشد بكتابه « تهافت التهافت » · فقد الف برودون كتابا ضد الماركسية اسماه « فلسفة البؤس » فرد عليه كارل ماركس بكتاب اسماه « بؤس الفلسفة » ،المهم ان برودون يلخص جوهر مذهب « الفوضوية » في قوله :

« ان الجمهورية المثالية هي فوضى حقيقيـة ، انهـــا ليست حرية خاضعـــــة لنظام كما هي الحال في الملكيـــة الدستورية ، وليست حرية مسجونة في نظام ، انها حريـــة مبرأة من جميع اصفادها وخرافاتها، واهوائها، ومغالطاتها، واستغلالها ، وسلطتها · انها حرية تبادلية وليست حريـــة محدودة · الحرية ليست بنت النظام بل امه » ·

نعم كان برودون يقول :

« الحرية ليست بنت النظام » هو الذي يخلقها على ما يريد بل « هي امه » التي تخلقه على ما تريد • وما تريــــده الحرية من النظام اولا وقبل كل شيء الا يكون على حسابها • الا يفترسها بعد ان تلده • كأولاد العقارب يتغذون بجثــة امهم بعد ان يولدوا من شق في بطنها •

وما النظام كما كان يراه برودون ؟

انه الدولـــة ، بدستورهـــا ، بجيوشها ، بقوانينها ، بلوائحها ، بحكوماتها ، بشرطتها ، بمحاكمها ، بسجونها، ضد هذا الجهاز الكريه كما وصفه نيتشه كان يقف برودون ويقف كل الفوضويين ، اتباع مذهب « الفوضوية » •بالمناسبة الفوضوية Anarchism مـــن كلمتيـــن اغريقيتين : An وتعنــي لا • و Arkhos وتعني حاكم ، ومعناها الحرفــي « لا حكومية او لا دولية » • وقد جنت عليها الترجمةالعربية التي تعني « لا نظام » كما جنت من قبل كلمة « الاشتراكية » على اصلها Socialism فظن النـــاس ان المذهب الاجتماعي العظيم « الاشتراكية » يعني مشاركة المشتاعين في الحيـــاة فخلطوا بينها وبين الشيوعية •

ما البديل عن الدولة ؟

في الاجابة على هذا السؤال يسقط المذهب «الفوضوي» في اختبار العلم ويكشف عن طبيعته المثالية الفاشلة • يبدأ الفوضويون بتقريـــر مثالي ـ ميتافيزيقي • يقـولون : ان الانسان خير بطبعه ، فارفعوا عنه قيود الدولة ونظامهـــا وسيتصرف كل انسان على الوجه الذي يلائم بين حريتـــه وحرية الآخرين عن طريق تبادل المنافع بينهما • ويصبـــح

المجتمع مجموعات مـــن الاسر تتعامل فيمـا بينها · اسر ابويـــة · اسر زراعية · اسر تجارية · اسر صناعية ·· ستنتج كل اســـرة اقصى مـا تستطيع من خدمات ومواد ، وتبادل فائض انتاجها بمـــا يفيض لـدى الاسر الاخرى ، وستبدع الجماهير تلقائيا خلال حركتها العفوية ـ بعيدا عن اي تنظيم ـ افضل نظام للتعاون والتبادل فيما بينهما بدون قهر · بدون دولة ·

المقتل في مذهب الفوضوية هو ان الجماهير قد بدأت هكذا تاريخيا فاهتدت خلال حركتها العفوية الى ذلك الابداع الذي ينكره الفوضويون ويثورون عليه : النظام · الدولة · بصرف النظر عمن يستغل النظام وعمن يحكم بالدولة · فكأن الفوضوية ليست سوى ردة مثالية الى مجتمع بائد فهي رجعية عاتية بالرغم من انها ليست ارهابية وبالرغم من اسمـــاء الاعـــلام الكبار الذيـــن اسسوها مذهبا من مذاهـــب « الاشتراكية » الخيالية ·

ثم ،

ان الشكـــوى من الدولة والقوانيـن شكوى قديمة ، والدعوة الى تحطيمها وتحطيم قوانينها ليست حديثة ، واذا كان المذهب الفوضوي هو اظهر المذاهب المعادية للدولة ، فان الشيوعية تبشر بالغاء الدولة والقوانين ولكن ـ وهذا هـو الفارق بينها وبين الفوضوية ـ بعد مرحلة تاريخية تسود فيها دولة ديكتاتورية البروليتاريا · العبرة في كل دعوة ، وكـل حركة ، بما تستهدفه من خيـــر البشر اولا ثـم قابليتها لان تؤدي الى ما تستهدفه ثانيا ·

الثورة الشعبية في ليبيا :

قيل ، وتردد ، ان ما يحدث في ليبيا تحت شعار « الثورة الشعبية » حيث « كافة الاجراءات التي تتخذ لا يمكن الرجوع فيها الى نصوص قانونية قد لا تتفق مع ما هو واقع ، وانما تؤخذ الاجراءات حسب الحالة التي تقع تحقيقا للتحول الثوري · وبمعنى اخر تعطيل كافة القوانين الرجعية التي تقيد حركة الجماهير في انطلاقتها لتحقيق اعلى معدلات النمو والتحول الثوري » وحيث لا يهم الاخ العقيد « ان تتحول الجماهير كلها الى قوة تحطم وتكسر حتى تبقى الجماهير في الساحة وحدها » وحيث » الجماهير تواصل زحفها من اجل الاستيلاء على السلطة · تمارس ارادتها على حريتها كي ترفع الى مراكز السلطة المختلفة العناصر المخلصة الكفؤة وكي تزيح الاخرى التي اثبتت التجربة عدم كفاءتها لسبب او لاخر ···» الخ · قيل وتردد ، حيث يحدث كل هذا الذي اقتطفناه من ملف « الشورى » (العدد التاسع) ان ما يحدث في ليبيا تحت شعار الثورة ما هو الا « فوضى »

فاردنا مما سبق ان يعرف الشباب العربي الناشيء من الجيل الجديد شيئا مختصرا عن الفوضى والفوضوية ليعرف على الاقل انها ليست « لا نظام » ، بل هي مذهب للتنظيم الاجتماعي كل عيبه انه مثالي فاشل · ثم جاء ملف « الشورى » يعرض مقالين عن الثورة الشعبية احدهما بقلم الاخ تحسين عبد الحي والثاني بقلم الاخ اياد سعيد ثابت ليثبتا للقراء ان ما يجري في ليبيا تحت شعار الثورة الثقافية هو ابعد ما يكون عن « الفوضى » » او «الفوضوية» ولعله ـ ان كنت قد فهمت ما يجري ـ يجري على ما يناقض الفوضى والفوضوية ·

دفاع عن الحرية :

يبدأ الاخ تحسين عبد الحي فيسلط الضوء على اكثر عقد الثورة الشعبية غموضا ، نعني بها عدم المعرفة · عدم معرفة ما يجري في ليبيا تحت شعار « الثورة الشعبية » · فالأمر ما ـ ليس هنا موضع الحديث عنه ـ لا يعرف الشباب العربي كل ما يجري في ليبيا معرفة كاملة وصحيحة · فينبه الاخ تحسين الى هذا فيقول : « في العربية الليبية لا تجدي النظرة من الخارج لما يدور على هذه الارض · وتبقى قضية المعايشة للتجربة شيئا هاما للحكم عليها » · ثم يقول : « نريد ان نقدم اجتهادا فكريا ـ اذا صح هذا التعبير ـ من خلال المعايشة والتأمل لما حدث ويحدث » ·

اجتهاد فكري	فلا شأن للاخ تحسين بالممارسة ·
من خلال المعايشة	فلا شأن للاخ تحسين بما يقال ·
من خلال التأمل	فلا شأن للاخ تحسين بأية نظرية ·
حدث ويحدث	فلا شأن للاخ تحسين بأي« حدث »

حريص ، جد حريص ، الاخ تحسين على ان يتحدث عن الثورة الشعبية بدون ان يكون مسئولا عنها او مسئولا فيها او مسئولا امامها ·

ولكن حرص الاخ تحسين على لبس مسوح الحيدة من الحدث الكبير الذي تناوله لم يسعفه عندما تناول

الموضوع فقدم الى قراء « الشورى » مقالا رصينا عميقـــا وواعيا ليس به عيب الا ان الحرص كان يعود اليه من حين الى حين فيقطع اوصاله ويحوله الى فقرات تقريرية تحتـاج الى قراءة المقال اكثر من مرة لاكتشاف الخط الفكري المتسق الذي يربط بينها · هذا بالرغم من انه لم يكن حريصا حرصا كافيا وهو يعقد المقارنات « بنظم عربية اخرى » ·

ماذا قال الاخ تحسين او ماذا كان يريد ان يقول :

اولا : ان الثورة الشعبية حركة تستهدف اولا واخيرا حرية الانســـان · « الانســـان العربي المعـاصر ، الحر ، المبدع » · ولكن كيف يكون الانسان حرا ومبدعا ؟· ســأل الاخ تحسين واجاب : « في الحرية تتحدد كل قيمة الانسان، فبالحرية يستطيع ان يبني ، وان يقهر التخلـــف ، ويقاتل ، ويتوحد، ويبني حضارته ويتحرر من عقدة الخوف والتخلف· وبالحرية فقط يكون الانسان انسانا وبغيرها لا يكون سوى جزءا من القطيع · ذلك القطيع البشري الذي يسوقه رعاته الى المستقبل الذي دائما ما يظل مجهولا » ·

بعد ان ارسى الاخ تحسين عبد الحي هذه القاعدة ، ودعمها باجتهادات فكرية مقبولة ، طبقها علـــى « ما حدث ويحدث » في ليبيا · فقال انه عرف عن طريق « المعايشـــة والتامل » ان قد كانت في ليبيا « غيبة شبه كاملة للشعـــب واعتماد كامل على السلطة الثورية لتحقيق كل شيء · نمو غير طبيعي لقيادات الوسط العازلة بين القيادة الثوريـــة والجماهير · تضخم الفكر السلوك المكتبي الذي اصبح عبئا على الواقع الشعبي · تخلف زراعي وصناعي · تواكـــل مستمر على دخل النفط · هروب من العمل في الاقاليـــم

والمحافظات المختلفة • تكدس غير طبيعي في المدن »•

• • • • •

« اذن لا بد ان ننقد ذاتنا • لا بد ان نبحث في داخلنا عن الحقيقة الضائعة بين طيات نفوسنا لكي لا نتحول من ثوار لهم كثافة الواقع ووزنه الحقيقي الى ثوار بالكلمات والحروف الميتة •••• » •

ولا يجوز الاحتجاج بما يقال دائما :

« •• ان الجماهير لم تصل بعد الى درجة الوعي لكي تنال حريتها ، ومن ثم لا بد من تعليمها اولا ، ثم منحها الحرية ثانيا • وغاب عنهم جميعا ان الحرية تؤخذ ولا تمنح ••• » •

وهذا ما يحدث بالثورة الشعبية •

« •• في الثورة الشعبية تنطلق الجماهير بغير رهبة او خوف من السلطة التي ما زالت تشكل عامل قهر نفسي ومعنوي عند الانسان العربي الفرد • تسقط وتصعد وتثبت حسب رؤياها وتصورها حتى لو كانت هذه الرؤيا قاصرة (يقصد الرؤية من الرأي او لعله يقصد الرؤيا من الاحلام) فانها ستتدعم وتكون اكثر موضوعية مرة بعد اخرى • وعندما تتحسن الرؤياوتتم عملية الصقل السياسي للكادر الوحدوي التقدمي من خلال الممارسة سيتحول فورا الى طاقة عمل تبشيرية بمبادىء الحرية والاشتراكية والوحدة • ومن ثم يكون مؤهلا لتقديم النموذج الانساني الواعي • القادر • المنضبط • الحر • المؤمن بكل الاهداف والقيم والمثل العليا القومية ، اذ ان هذه الثورة الشعبية واضحة المنطلقات • وضمن اهدافها المرحلية تاكيد هذه المنطلقات

في عقل ووجدان وعمل الانسان في العربية الليبية » ٠

ويضيف من واقع معايشته وتأمله ما حدث ويحدث :
« في الثورة الشعبية شكلا ومضمونا يكون الخوف من الجماهير غير وارد على الاطلاق حيث أن هذه الجماهير مدعوة الى العمل والاستيلاء على السلطة لكي تخرج القرارات الثورية من القاعدة الى القمة ويكون دور القمة هو مجرد الموافقة والتقنين » ٠

ثم يختم مقاله بقوله :

« وفي رأينا انه كلما تم تصعيد جديد للثورة الشعبية كلما كان تعزيزا او تركيزا للمسيرة القومية الوحدوية في الوطن العربي » ٠

ثانيا : من خلال هذا الدفاع الحار عن الحرية والتأييد الكامل للثورة الشعبية والدعوة الى تصعيدها ينفي الاخ تحسين عبد الحي عن « الثورة الشعبية » في ليبيا تهمة الفوضوية ٠ فهو يطرحها كحركة منضبطة بقيادة الثورة ، تواجه معطيات موضوعية تكبل حرية الانسان وتستهدف غايات محدودة لها ٠ تلك الغايات كما فهمنا من مقال الاخ تحسين ـ ليست تغيير الواقع السياسي او الاقتصادي او الاجتماعي في ليبيا ، ولكن تغيير الخوف من السلطة والزج بالجماهير في الممارسة لتنمي وعيها وتصقل خبرتها ، فتتحول من مجرد جماهير عريضة متخلفة الوعي والحركة مكبوتة الرأي والهدف الى « كوادر » حرة عقائدية مناضلة من اجل غايات محددة يقول انها الحرية والاشتراكية والوحدة او دولة الوحدة الاشتراكية الديموقراطية ٠

المشكلة الاولى :

الحديث الآن الى قراء الشورى من الشباب العربي ٠

يقول ابو ذر :

ان صح ما قدمه الينا الاخ تحـ ين عبد الحي « مـن خلال المعايشة والتأمل لمـا حدث ويحدث » في « العربيـة الليبية » ، وهو اسم جميل من ابتكار الاخ تحسين ، لمـان « الثـورة الشعبية » تكون اول حركـة في الوطن العربي واجهت المشكلة الاولى من مشكلات الممارسة الديموقراطية ٠

فالممارسة الديموقراطية تجري شكلا ـ في اية دولة ـ على الوجه الآتي مبتدئين من القمة الى القاع :

أ ـ حكومـة تنفرد باتخاذ القرارات السياسيـة والاقتصادية والاجتماعية تريد ان تكون قراراتها مطابقـة لراي الشعب او اغلبه ٠

ب ـ دستور يحدد للحكومة الاستفتاء لمعرفة رأي الشعب او اغلبه اما مباشرة او عن طريق اختيار ممثلين له يعبرون عن رأيه ٠

جـ ـ قانون يحدد الاجراءات اللازمة لحصر اسمـاء المواطنين الذين « يعتد » برأيهم ودعوتهم الى الاستفتـاء او الانتخاب وموعد الدعوة ومقار ابداء الراي والحفاظ عـلى سريته ٠

د ـ مواطنون يذهبون الى مقار ابداء الرأي سرا ٠

على ضوء حصيلة جمع وطرح الاراء يتعيـن الممثلون الذين ينقلون الى الحكومة رأي الشعب او اغلبه او يتعـين الرأي الذي « يجب » على الحكومة ان تأخذ به وتحوله الى

قوانين تلزم الاغلبية والاقلية معا · وحتى في نطاق تنفيذ تلك القوانين الجديدة تحال التفاصيل الى موظفين ولجان من الموظفين ليضعوها موضع التنفيذ ·

كل هذا هو الديموقراطية، شكلا · الشكل الديموقراطي· والعبرة فيه كله بأن يكون قائما على اساس صحيح موضوعيا· فاين هو الاساس من كل البناء الديموقراطي ؟··
انه اخونا الانسان العربي في لحظته المصيرية وهو يحاول جاهدا ان يبدي رأيه في مقار الاستفتاء او الانتخاب · انه هناك بعيدا عن اي تدخل · لا احد يملي عليه ارادته ولا احد يكتب له رأيه لانه لا يعرف القراءة مثلا · نفترض كل هذا افتراضا لنصل الى المشكلة الاولى ·

ان أخانا وراء الستار يبدي رأيه ليس وحيدا ·

انه يحمل فيه ـ ولا نقول معه ـ تراثه التاريخي· يحمل فقره الذي يشيع في نفسه الخوف من ان يكون رأيه سببا في غضب الذين يتحكمون في رزقه · يحمل جهله الذي يشيع في نفسه الخوف من ان يكون في ستار السرية خرق تطل منه عين السلطة · يحمل تجربته وتجربة اجداده التي علمته وعلمتهم ان الامور في دولته لا تتوقف ، وما توقفت قط على ما يقوله الناخبون وراء الستار · باختصار انه في وحدته وراء الستار لا يجد معه الا خوفه ، مما هو حقيقي ومما هو وهمي · انه انسان خائف · فيكون امام الخيار بين رأيين · رأي الانسان الذي يريد ان يحقق حريته ورأي الخائف الذي يخشى مزيدا من القيود ·

الارجح انه سيختار الرأي الاخير · فيسفر الاستفتاء عن رأي الاغلبية الخائفة · اي الرأي الذي ارادته السلطة من وراء استفتائها · او يسفر الانتخاب عن ممثلين

للخائفين . لن يلبثوا ان يضيفوا اليه خوفهم من الهبوط الى القاع بعد ان صعدوا الى مقاعد البرلمانات واصبحوا قريبين من السلطة ... الخ .

وهكذا ...

في مجالس الوزراء وزراء خائفون على مقاعدهم .
في اللجان الحكومية موظفون خائفون على وظائفهم .
في اجهزة الاعلام مبشرون خائفون على منابرهم .
في الجامعات والمعاهد طلاب خائفون على مستقبلهم .
في المزارع فلاحون خائفون على زراعتهم .

في المصانع عمال خائفون على اجورهم .
في الاسر اباء وامهات خائفون على ابنائهم .
كل الجماهير خائفة . فممن تخاف ؟

من الدولة . من القوانين . من اللوائح . من الموظفين . من الشرطة . من المحاكم . من السجون .

لماذا تخاف ؟

لانها بقيت قرونا تواجه يوميا ما يخيف فعلا ، فهي لا تستطيع ، « بالشعارات وحدها » ان تتحرر من تراث قرون تحمله في ذاتها ، لا بد اذن من الممارسة . دفع الجماهير الى مواجهة ما يخيفهم ومن يخيفهم لتتعلم انه ليس ثمة ما يخيف او من يخيف .. لحل المشكلة الاولى في الممارسة الديموقراطية . وعندما تحل يستقيم البناء الديموقراطي وتنتهي مشكلة الاستبداد بالشعب تحت غطاء من الديموقراطية .

الثورة الشعبية كما يطرحها الاخ تحسين عبد الحي

ـ اذن ـ حركة تاريخية لتصحيح تراث تاريخي ٠

وفي هذه الحدود تحتاج الى اكبر قدر من الشجاعة والصبر والتأييد ٠

ولكن ٠٠٠

الانسان والفعل الارادي :

٠٠٠ في كتاب جيد يحمل عنوان « محاورات فلسفية » (١٩٧٤) نقل لنا الدكتور مراد وهبه (ماركسي من مصر) حوارا امتد على مدى عام قضاه زائرا في الاتحاد السوفييتي مع الفلاسفة السوفييت المحدثين ٠ على كل شاب عربي تقدمي ان يحصل على هذا الكتاب ويقرأه ليرى كيف يقترب المفكرون السوفييت اقترابا شديداً من منطلقات الفكر القومي التقدمي التي انكرها من قبل الماركسيون في الوطن العربي ٠

لاغراء الشباب العربي بقراءته سأنقل اليهم فقرة طويلة من حوار دار بين الدكتور مراد وهبة وبين ثلاثة من علماء الاتحاد السوفييتي حول العلاقة بين الانسان وظروفه المادية ٠ وكمدخل يسهل فهم الموضوع نقول ان الحوار كان منصبا على نقد نظريات العالم الروسي « بافلوف » الذي اراد ان يطبق المادية الجدلية على الفسيولوجيا فانتهى الى نظريته الشهيرة من ان كل ما يصدر عن الانسان هو « فعل منعكس شرطي » للواقع المادي المحيط به ٠

الذين نقدوا هذه النظرية هم العلماء السوفييت : برنشتين واوزاندري وانوخن ٠ مات الاول والثاني اما الثالث فما يزال حيا ٠٠٠

قال الدكتور مراد وهبة في كتابه الجيد :

« ٠٠٠ يذهب برنشتين في مؤلفاته على الاطلاق ، وفي

تقريره ـ المقدم الى مؤتمر علـم النفس في موسكو عـلى التخصيص ـ الى ان مسالة الفعل المنعكس ليست سوى احد معطيـات المنهج الميكـانيكي ٠ وهو منهج اتبعه علمـاء الفسيولوجيا في القرن المـاضي ، وهو يقوم على مبـدأ السببيـة ٠ يقول برنشتين في كتابه فسيولوجيا الحركـة وفسيولوجيا النشاط الصادر عام ١٩٦٥ ان الفعل المنعكس للشرطي وغير الشرطي انما يستند الى مبدأ السببية فـي صورته القديمة وفي رأيه ان هذا الفهم للعلاقات السببية قد تجاوزته البيولوجيا السبرنطيقية ، بل ان هذا الفهم مـن شأنه ان يعزل الفعل عن « الغاية » ذلـك انه من المحتمل ان تكون الغاية هي سبب الفعل ، وبالتالي ياتي السبب متأخـرا عن الفعل لا متقدما عليه ٠ وهذا الاحتمال مردود الى الحياة ذاتها ، اذ ان النشاط الحيوي لاي كائن ليس مجرد تكيـف مع البيئة الخارجية بل هو مجـاوزة لهذه البيئة تتحقـق بفضل نموذج موضوع « مسبقا » وفق « حاجات » الكائن في المستقبل » ٠

« ويتفق اوزنادزي ـ مؤسس مدرسة جورجيا فـي علم النفس ـ مع برنشتين في التركيز على عامل « الحاجة » ولكنه يختلف معه في النظر الى طبيعة الحاجة ٠ فاوزنادزي لا يقصد الحاجة البيولوجية ـ كما يذهب الى ذلك برنشتين ـ وانما يقصد المفهوم الانساني للحاجة ، ومن ثم فهو يركـز على الجانب الاجتماعي ، وليس على الجانب الفسيولوجي للظاهرة النفسية ، فيضيف عامل « الموقف » الى عامـل الحاجة ، بمعنى ان اية ظاهرة نفسية انما هي محاولة لحـل موقف معين (مشكلة) ومـن هنا يـدعو اوزنادزي الـى « ايجابية » النشاط النفسي ٠

« اما اتوخن فهو ينقد بافلوف بسبب التزامه بالمفهوم الديكارتي لعملية الانعكاس ولكنه يقرر ان بافلوف كان في امكانه مجاوزة هذا المفهوم حين اضاف ما يسميه « العامل المساعد » الى « الفعل المنعكس » وهذا العامل المساعد ، في رأي انوخن لا يعني سوى « العلاقة المتبادلة بين السبب والنتيجة ، بيد ان بافلوف لم يفطن الى هذا المعنى ، ومن ثم فانه لم يستطع مجاوزة المفهوم الديكارتي » .

« والنتيجة المحتومة من هذا النقد المعاصر لنظرية بافلوف ، في رأي بجمولوف (استاذ بقسم الفلسفة الاجنبية بكلية الفلسفة جامعة موسكو) ان الماركسية لم تعد تعميما للنظريات العلمية ، وهذا هو ما ينبغي ان يكون وهو لن يكون كذلك الا اذا التزمنا رؤية « النسبية » للنظريات العلمية » .. الى اخره .

هؤلاء قوم من الماركسيين يبحثون عن الجدل في الانسان الى حد قول روزنتال رئيس قسم المادية الجدلية في معهد الفلسفة ، في كتابه « المنهج الديالكتيكي للماركسية » : « ان الفكر في حركته (لاحظ انه يبدأ الحركة من الفكر) يصعد من العيني في الادراك (ادراك الواقع) الى المجرد (الحل النظري) ومن المجرد الى العيني (تنفيذ الحل في الواقع) ولكن في هذه المرحلة يصعد على اساس جديد ارقى (من الواقع الذي ادركه اول الامر اما الاضافة التي ارتقى بها فلا يمكن ان تكون الا من خلق الفكر المجرد تحولت الى واقع جديد) » .

الاقواس من عند ابي ذر .

فيقول ابو ذر ، بعد ان يحمد الله ، ما دام الامر كذلك فلا بد في ان نستفيد مما يقولون · (لا بأس فيه اي لا حرج · لا بأس به أي لا ضرر · كلاهما من البأس الذي يعني الخوف وليس من البأس الذي يعني الشجاعة والله اعلم) ·

ان الثورة ، اية ثورة ، عمل انساني ارادي · قمـــة الاعمال الانسانية · ذروة الاعمال الارادية · ولكنها كغيرهـا من الاعمال الانسانية الارادية لا بد لها ـ حتى لا تكون مجرد فعل منعكس شرطي ـ من ان تحل مشكلة · تطور الواقع · لا بد لها من عناصر الجدل الثلاثة :

مشكلة ـ حل ـ عمل

فلنحلل « الثورة الشعبية » الى هذه العناصر الثلاثـة لنعرف هل اوفـــت او لم توف بمتطلبات الحركة الجدلية · ومادتنا في التحليل ما نعرف مما قاله الاخ اياد سعيد ثابت في مقاله « الثورة الشعبية بين النظرية والممارسة » · ونرجو ان نصل من خلال التحليل الى اكمال الحديث الذي بـــدأ بلفظ « لكن ··· » في اخر الفقرة السابقة ·

بعدا للخوف :

قال الاخ اياد سعيد ثابت في مقاله :

« وسط كل هذه الدوامة من الحماس والنقد والنقـــد المضاد والنقد المضاد للنقد المضاد ، احاول انا ـ القادم مـن الشرق والمطـــرود من الفردوس كمـــا يحلو لبعض الاخوة مداعبتي به ـ ان اجـــد لي مكانا متواضعا داخل اطـــار الصورة · انا ايضا لدى بعض المسائـل اود ان اطرحهـــا للنقاش · ولكن مهلا ·· قبل ان اطرح نفسي داخل الصورة لا بد من قول كلمة مسبقة لا مناص من طرحها : الذي ارجوه

هو الا يحاول اي انسان اسكاتي ومنعي من قول ما اريد قوله عن طريق المزايدة بشكل او باخر ... » .

اولا : هل الاخ اياد سعيد ثابت مطرود من الفردوس؟.
انه اذن مطرود من مكان بعيد عن الوطن العربي . فاني لا اعرف في الوطن العربي فردوسا ولا حتى حديقة مزهرة ؟

ثانيا : هل حاول احد ان يسكت الاخ اياد سعيد ثابت او غيره ؟ هل ثمة من يحاول اسكات احد في بلد يقولون ان فيه « ثورة شعبية » ؟
هل يريد ان يخيف القراء ؟

بعدا للخوف ، وهيا الى « السفود » .. قال الاخ اياد ان حصيلة حواره مع المتشائمين والمتفائلين قد اسفرت عن:
المتشائمون : يرون ان « الثورة الشعبية » :

أ ـ لم تحقق مساهمة الجماهير العريضة . نسبة المساهمين ضئيلة . تصدرتها قلة تستند الى مراكز قوى وتفرض ارهابها على الآخرين . وكانت المساهمة مظهرية « ديماجوجية » .

ب ـ تتحرك الثورة الشعبية مستندة الى اطارها القبلي والعشائري المتاح ، فعمقت الوضع القبلي والعشائري وعلاقاته بدل تحطيمها وان تستبدل بها علاقات ثورية جديدة.

جـ ـ ادت عملية تصعيد الثورة الشعبية الى طرد الكثير من العناصر الكفؤة المخلصة والمتجردة الا لمصلحة الثورة لان اخلاصها للمصلحة العامة جعلها ـ بالطبع ـ مكروهة من قبل الناس .

د ـ ان الثورة تفقد عن طريق الثورة الشعبية

« كوادرها » التي تمثل قنوات اتصالها بالجماهير لتحل محلها عناصر رجعية معادية للثورة لن تلبث ان تعزل القيادة وقد يؤدي هذا ـ لا قدر الله ـ الى محاصرتها ٠

هـ ـ ما تكاد القيادات الجديدة تكسب من الخبرة والدراية ما يجعلها قادرة على العطاء الايجابي حتى تأتي الثورة الشعبية فتنتزعها من مكانها ٠

المتفائلون : يرون ان الثورة الشعبية :

أ ـ مكنت الجماهير فعلا من ان تشارك بارادتها الحرة في صنع حاضرها ومستقبلها ٠

ب ـ حررت الجماهير من الخوف من السلطة ٠

جـ ـ فرزت عديدا من الكوادر الشابة المخلصة التي ما كان بالامكان اكتشاف وجودها عن غير هذا الطريق ٠

د ـ دعم المشاركة الايجابية من قبل الجماهير سوف يزول بمرور الايام ٠

الرأي الثالث : يقوله الاخ اياد سعيد ثابت ٠ الغاية من الثورة الشعبية ٠

أ ـ تدريب الجماهير على ممارسة مسئولياتها والمساهمة في القضاء على سلبيتها ٠

ب ـ العمل على زيادة التفاف الجماهير حول الثورة وقيادتها ٠

جـ ـ تقديم الثورة الى الصديق والعدو بشكل واضح وصريح ليرى الى اي مدى تمارس الجماهير ارادتها بشكل ديموقراطي ثوري خلاق ٠

أما عن السلبيات ، الموجودة ، فمرجعها الى ان « قيادة

الثورة لم تضع ـ لحد الان ـ الخطط العلمية الكفيلة بالقضاء على العلاقات الاجتماعية والاقتصادية المتخلفة « التي تدور في اطارها الثورة الشعبية · لم تحدد القيادة : « لمن جاءت الثورة ؟ ولماذا ؟»· ثم بدأ الاخ اياد في طرح خيارات : اذا كانت الثورة تريد كذا فعليها ان تفعل كيت · واذ كانت تريد كيت فعليها ان تفعل كذا ·· ولم يقطع الا بالاهداف الثلاثة التي قالها من قبل · ادركها في لحظة الهام وهو يتأمل زحف الجماهير تحت اشراف الاخ القذافي على شاشة «التلفزيون» الصغيرة ·· هكذا قال ·

هذه هي خلاصة « الثورة الشعبية » كما عرفناها من معايشة وتأمل الاخ تحسين عبد الحي ، ومشاهدة وحوار الاخ اياد سعيد ثابت ··

ولو اردنا ان نعيد ترتيب كل ما عرفناه وتوزيعه على العناصر الثلاثة للحركة الجدلية المشكلة ـ الحل ـ العمل لوجدنا :

اولا : المشكلة :

مسلمة · في ليبيا ركود شعبي وسلبية جماهيرية وتخلف في الممارسة ادى الى تسلط الدولةواجهزتها البيروقراطية على الجماهير وقيامها حاجزا بين القيادة والشعب ·

ثانيا : الحل :

تثوير الجماهير ودفعها الى مواجهة المتسلطين عليها لتتعلم الايجابية وتتدرب على الممارسة السياسية وتتحرر من الخوف فتتحرر من التسلط والاستبداد · وهذا بدأ اعلانه في زوّاره وبدأت ممارسته وما تزال ·

ثالثا : العمل :

وهو مجموع الخطط التنفيذية التي يتم بمقتضاها تحويل الحل النظري الى واقع من خلال تقسيم الحل الى مراحل وتقسيم كل مرحلة الى مهمات جزئية ومتابعة التنفيذ في اجزائه وفي مراحله الى ان يؤدي الى غايته فتحل المشكلة ·

كل الانتقادات التي وجهت الى الثورة الشعبية ، وجل المخاطر الكامنة فيها ، تتصل بهذا العنصر الثالث ، عنصر تحويل فكرة « تثوير » الجماهير الى انجاز متحقق في جماهير اصبحت من خلال الممارسة جماهير ثورية فعلا · اعلنت الثورة الشعبية ، الحل ، بدون خطة تنفيذ · بدون معرفة متى تبدأ الثورة ومتى تنتهي بدون معرفة المهمات الثورية على وجه التحديد ومواقعها على وجه التعيين ومضامينها بغير غموض · بدون تعيين المنفذ المسئول لكل مهمة في كل موقع · وبدون جهاز متابعة يتعرف خلال الممارسة على معوقات الحل ويتغلب عليها بدون قيادة · اعني بدون تنظيم ثوري يخطط وينفذ ويراقب ويتابع عملية تثوير الجماهير · اعني بدون حزب ·

« في الثورة الشعبية » اختلط السبب بالغاية عندما غاب الاسلوب · كان السبب « حاجة » الجماهير الى « التثوير » · وكانت الغاية « تثوير » الجماهير فعلا · فلما غاب الاسلوب المنظم لعملية الحل الجدلي اصبح على الجماهير ـ المفترض انها غير ثورية اصلا ـ ان تثور نفسها · مع انها لو كانت قادرة على تثوير نفسها لما وجدت مشكلة اصلا ولما قام سبب الثورة الشعبية · ان مثل ما حدث ويحدث كمثل من يقول للمرضى هيا اشفوا انفسكم بعيدا عن تدخل

الاطبـــاء • والاطبـــاء الاخصـــائيون في علاج الامراض الاجتماعية ، هم الكوادر الثورية المدربة المنظمـــة القادرة وحدها على ان تفجر ثورة وتقودها وتنتهي بها الى غايتهـا حتى لو كان موضوع الثورة هو تخلف الجماهير ذاتها •

الحزب الثوري هو اداة الثورة ، اية ثورة •

لماذا كان الاخ تحسين عبد الحي حريصا فلم يقل هذا ، ولماذا لم يقله الاخ اياد سعيد ثابت مع انه لم يكن حريصا ؟ لست ادري •

فليقلها اذن ابو ذر :

ما لم تغير ثورة الفاتح من سبتمبر موقعها غير الواقعي من حزب الثورة ، ولا اقول الاحزاب المعادية للثورة ، فلن تقترب من غايتها الا بقدر ما تسمح به طاقة اعضاء مجلس قيادة الثور وهي محدودة • واقول غير واقعي لان مجلس قيـــادة الثورة جماعة منظمة وان كانت محدودة العدد ، ملتقية فكريا ، تحت قيادة الاخ معمر القذافي فهم ـ ارادوا ام لم يريدوا ـ حزب لا ينقصه الا الالتحام بالكوادر والتحام الكوادر به التحاما عضويا منظما ديموقراطيا •

والسلام على من اتبع الهدى •

القاهرة في ١٤ ديسمبر ١٩٧٤

٩

شكوى الى الله

الهي ،
اني اشكو اليك وحدك ما تعلمه ٠

اني اشكو اليك وحدك لاني اؤمن بالااله الا الله ٠ لا في الارض ولا في السماء ٠ وبان كل المتألهين في الارض جاهلون ٠ جاهلون بخضوعهم ـ مثل كل البشر الاخرين ـ لنواميسك التي لا تتبدل ٠ والشكوى الى الجاهلين جهالة ٠ ثم ان الجاهلين والجهلة لا ينفعون احدا ٠ ثم اني اشكو اليك لان الفلاحين الفقراء الذين اقتطعوا مما لا يكاد يكفيهم ما كفاني ، الاميين الذين جاهدوا سنين طويلة ليعلموني ، ذوي الكبرياء التي حملوها في دمائهم ميراثا عن امتهم العظيمة ، قد ارضعوني كبرياءهم واوصوني بالا اقبل المذلة لنفسي او لغيري ثم قالوا لي : « ان الشكوى لغير الله مذلة » ٠ فلست اشكو الا اليك وحدك ٠

واشكو اليك ما تعلمه ٠

لاني احاول منذ امد بعيد ـ قدر جهدي ـ ان اتأدب في الحديث بأدب قرآنك ٠

قلت في كتابك الكريم : « وما تلك بيمينك يا موسىء » .
سبحانك انك تسأل عما تعلم ولست في حاجة الى جـواب .
فاجاب موسى عليه السلام : « قال هي عصاى اتوكأ عليها
واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى » وكان موسـى
عليه‌السلام يعرف انك تعلم انها عصاه وانه يتوكأ عليهـا
وانه يهش بها على غنمه وتعلم مآربه الاخرى . فقال بعض
الذين تصدوا لتفسير اياتك البينات (الكلام البين هو الكلام
الواضح الذي لا يحتاج الى تفسير) ان كل ذلك كان رغبـة
من موسى في ان يطيل الحديث اليك ليمد من نعيم مخاطبتك
اياه . اطال جوابه ثم اخفى مآربه لتسألــه عنها فيطــول
الحديث مرة اخرى . مولاي ، اني غير مقتنع بما يقولون .
انه ان يصلح تفسيرا لجواب موسى لا يصلح تفسيرا لسؤالك
عما تعلم . ثم اعوذ بك من ان يتهم رسولك موسى عليــه
السلام باستدراجك ـ سبحانك تعاليت علوا كبيرا ـ الــى
الحديث ولو من اجل نعيم مخاطبتك . واحسب ، يا مولاي ،
أن السؤال لم يكن رغبة في اكمال معرفة ناقصة فانت العليم .
وان الجواب لم يكن اخبارا بما يعرف المجيب من امره غير
ما يعرف السائل . حاشى لموسى ان تذهب به الظنون الــى
ما يتجاوز الايمان بحقيقة موضعه من خالقة . واحسب ،
يا مولاي ، ان الصيغة كلها لم تكن سؤالا وجوابا على الوجه
الذي نعرفه ، نحن البشر ، من صيغ الجدل فيما بيننا ، بــل
كانت خطابا الى البشرية كلها لا يسأل ولا يجيب بل يتحدث
اليها في صيغة بيانية معجزة . الم يرد الســؤال والجواب
كلاهما في نطاق رسالتك الى البشرية بعد موســـى بالاف
السنين ؟ .. بلى .

والله اعلم .

هكذا اتصور ، يا الهي انني اذ اشكو اليك اخــاطب

الاخرين · ليست البشرية كلها بل تلك الامة العربية التي احمل همومها ولا املك لها الا الكلمات · تلك الامة التي يتحدث الناس فيها كثيرا عن الايمان بك ، ويرتلون قرآنك ويجودونه ويحولونه من مصدر للايمان الى نغم والحان · وفي هذا يتبارون · ويأخذون مما يحتاجه الناس للابقاء على حياتهم وستر اجسادهم ليزخرفوا به مساجدهم ، يوفون بالنذور ويحجبون الزكاة ويحج القادرون منهم وغير القادرين الى بيتك ثم ينسون ـ ياالهي ـ ان يطيعوك فيما قلت فأمرت ، وان يعبدوك بان يحققوا في انفسهم قولك : « كنتم خير امة اخرجت للناس » ، ولا ينتهجون الى وعدك ـ ووعدك الحق ـ منهجك الذي ابنته حين قلت : « لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » ·

اني واحد ، يا الهي ، من الذين يعبدونك ، خير عبادة ، بان يحاولوا انفاذ كلماتك بان تكون امتنا خير امة اخرجت للناس ولست املك الا الكلمات فاستغفرك ثم اشكو اليك وحدك ما تعلمه · وعسى ان يفطن الذين اعنيهم بشكواى الى ما اقول ·

المسالة :

امرتنا ، يا الهي ، بان نوفي بالعهود والعقود · وقد تعاهدت وتعاقدت مع عبدك جمعة المهدي الفزاني بان اكتب بابا ثابتا في مجلة « الشورى » عنوانه « على السفود » · واستعرت في توقيعه اسم عبدك الذي رضيت عنه الامام ابوذر الغفاري · وانك لتعلم يا مولاي ما ابذل من جهد وفاء بما تعاهدت وتعاقدت ، وانه جهد يرهقني حتى اكاد اكف عن الكتابة فلا يردني اليها الا ما استمده من قوة الولاء لتلك الامة التي كرمتها في كتابك الكريم ·

هكذا بدأت ، يا الهي ، اقرأ العدد العاشر من « الشورى » واعيد قراءته · ثم اهضم ما قرات واتمثله · واعاني في هذا ما لا يعلمه الا انت · متاعب التحرر من ذاتي لا تلبس ذات كل كاتب · اهبط واصعد الى مستواه · انظر نظرته لعلى ارى رؤيته فاكتب عنه منصفا لا محاكما · ثم اغادر « الشورى » لاجول في ابواب المعرفة · انتقي من طرائف علومها ما يحبب الشباب في القراءة وينمي معرفتهم · واصوغه ثم ادسه فيما صاغه الاخرون حتى اخفف على القراء جفاف كلمات كتاب « الشورى » واخفف على كتاب الشورى جفاف كلمات ابي ذر · كل هذا ـ يا الهي ـ لمجرد ان اكون صلة بين اطراف الحديث المنشور لاطرفا اصيلاً فيه ·

على هذا الوجه قرأت ، يا الهي ، بمعونتك واحمدك ، مقالات :

١ ـ « الناصرية واستمرارية الثورة »

بقلم اياد سعيد ثابت ·

٢ ـ « عبد الناصر والتنظيم القومي »

بقلم عبد الله بلال ·

٣ ـ « الناصرية ماذا تعني »

بقلم صلاح زكي ·

٤ ـ « منجزات ناصرية ·· السد العالي »

بقلم محمد عودة ·

٥ ـ « عبد الناصر والصهيونية »

بقلم عودة بطرس عودة ·

٦ ـ « من فيصل الاول الى عبد الناصر »

عرض تحسين عبد الحي ·

كل هذا في عدد واحد · وهذا شيء عظيم · ان العدد العاشر من « الشورى » قد صدر في الشهر الذي في مثلـه ولد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر · ولقد بذل جمـــال عبد الناصر من اجل امته ما يستحق من اجله ان تحتفـــى امته بذكرى ميلاده · انه فاء والوفاء عظيم ·

ولكنني ، يا الهي ، كنت اتمنى لكتاب « الشـــورى » واتوقع منهم ان يقولوا في ذكرى مولد عبد الناصر غـــير ما قالوا · ان ما قيل قد احال ذكرى قائد مناضـــل الى حفل تأبين تذكر فيه محاسن الموتى « اعلانا » عن وفاء الاحياء · ان الذي قيل شهادة على ان الذين قالوه كانوا يعرفون عبد الناصر او يحبونه-او يؤمنون بفكره · انهم ، يا الهي ، ياعالم النوايا ، يتحدثون في ذكرى ميلاد عبد الناصر عن انفســهم ويعرضونها او يستعرضونها من خلال حديثهم عن الرجـــل الكبير الذي غاب ·

الهي ،

لقد شئت ، ولا راد لمشيئتك ، ان تسترد من امتنا فجأة ، الرجل الذي قاد مسيرتها التحررية · ولقد كان عبدك جمال عبد الناصر ملء سمع امته وبصرها · ولقد توفيته بعد ان ترك بصماته على حياة امته · وخلف في كلركن فيها مـــا تحمل هي مسئولية الحفاظ عليه وتطويره · ومنذ ان توفيته اصبح ما خلفه محل صراع بين الناس · ومن الناس ، يـــا مولاي ، من يستعملون الكلمات سلاحا قاطعا في الصراع · منهم امثال كتاب « الشورى » من يصارعون بالكلمات من اجل الحفاظ على ما خلف عبد الناصر من منجزات تقدميـــة · ومنهم ـ امثال كتاب اخبار اليوم ـ من يريدون ان يهيلـــوا عليها التراب · والملايين ـ يا مولاي ـ من شباب هذه الامة يحاولون استلهام الرأي مـــن تراث عبد الناصـــر ويسألون

انفسهم قبل كل رأي : ترى ماذا كان يفعل عبد الناصر لو كان حيا ؟

ماذا كان يفعل عبد الناصر لو امتدت به الحياة فشهد الوفاق السوفييتي الامريكي وتطوراته ، والازمة الاقتصادية في العالم الرأسمالي ومضاعفاتها ، وحرب اكتوبر ونتائجها العسكرية والسياسية ، وتضحيات الشعب العربي وثــراء الحكام العرب ، واباحة جنوب لبنان ، وجنيف ، والتسويـة السلمية ، والانفتاح الاقتصادي ، وازمة القطاع العــام ، وبعث القطاع الخاص ، وتطوير الاتحاد الاشتراكي العربي ، ومشكلة المنابر والاحزاب ·· الى اخره الى اخره ·

كنت اتمنى واتوقع يا الهي ، ان يتبارى كتاب «الشورى» (مجلة الفكر القومي التقدمي كما تقول) في الاجابة عــلى هذه الأسئلة او بعضها او اكثر منها بمناسبة ذكــرى مولد القائد الغائب · ان يتحدثوا عن عبد الناصر المستقبل المتجسد في منجزاته التقدمية بدلا من ، او بالاضافة الى ، عبد الناصر الماضي الذي عرفوه واحبوه ·

كنت اتمنى واتوقع ، يا الهي ، ان يتحدثوا من موقف الوفاء له عن مواقع النضال من اجل اكمال مسيرته · ان يتحدثوا عن كيفية بناء التاريخ على هدى تراث عبد الناصر بدلا من ، او بالاضافة الى ، الحديث عن تاريخ تراث عــبد الناصر ·

لم يفعلوا ، يا الهي ، فتألمت ·

تألمت لانني تذكرت بمرارة الاساليب والمسالك التـــي حالت دون ان تستفيد الامة العربية بكل ما كان القائد الكبير قادرا على ادائه الى ان فقدته فجاة فانكفأت تبكي ابنهـــا الغائب ، لا حزنا عليه فقط ، بل وندما على فرصة تاريخيـة

ولت بدون ان تنجز امة عظيمة كل ما كانت قادرة على انجازه تحت قيادة قائد عظيم . وتألمت من ريح المخاطر التي حركتها مقالات كتاب « الشورى » (مجلة الفكر القومي التقدمي كما تقول) . مخاطر الانتباه الى عبد الناصر الذات بدلا من عبد الناصر الموضوع . مع انك ، يا الهي ، قد توفيت عبد الناصر الذات والحقته بذمتك ، وابقيت لنا عبد الناصر الموضوع وفي ذمتنا تخليده . ونحن نخلده بالحفاظ على ما انجز وتطويره . نخلده حرية في مزيد من الحرية . نخلده وحدة في مزيد من الوحدة . نخلده اشتراكية في مزيد من الاشتراكية . نخلده قبل كل شيء وفوق كل شيء مقاتلا شجاعا ضد اعداء امته . نعم ، يا مولاي ، انت تعلم انك خلقت عبدك جمال عبد الناصر مقاتلا شجاعا قبل كل شيء وبعد كل شيء .

ولما لم اقرأ في « الشورى » يا الهي ، كلمة عما كان يمكن ان يفعله عبد الناصر المقاتل لو امتدت به الحياة الى ان بلغه نبأ الانذار الامريكي بغزو الوطن العربي حيث تكون منابع البترول ، زاد المي حتى كدت ابكي من جديد على عبد الناصر . ذلك لاني اعرف ، يا مولاي ، انه لو كان حيا لما بلغت الجرأة بالولايات المتحدة حد التهديد الصريح بالغزو المسلح . ولو فعلت لكان عبد الناصر قد عبأ الجماهير العربية العريضة ، من المحيط الى الخليج ، من اجل الدفاع عن امته ، واخرس كل صوت يعلو على صوت المعركة . ذلك هو عبد الناصر الذي كنت اتمنى واتوقع من كتاب «الشورى» ان يجسدوه ، في ذكرى ميلاده ، نفيرا للقتال .. كنت اتمنى واتوقع ان يقول واحد منهم ان الوفاء لعبد الناصر اليوم لا يمكن ان يكون اقل من دعوة الشباب العربي في كل

قطر من اقطاره الى الالتحام في كتائب وتدريبها ، وتسليحها ، لمقاومة الغزو الامريكي ..

ولكن احدا منهم ، يا الهي ، لم يقل ما يجب ان يقال ..

لأن التركيز على الذات لتغطية الهروب من مواجهة متاعب النضال من اجل الموضوع ، ما يزال ، يا الهي وباء يقوم حائلا دون ان تبلغ امتنا المكان الذي رشحتها له .

فماذا اقول انا او ماذا يقول ابوذر ؟

كنت يا الهي في مشكلة مؤلمة .

ان كل القوى التي تريد ان تصفى منجزات عبد الناصر التقدمية تهاجم عبد الناصر ذاته . فالدفاع عن ذات عبد الناصر هو دفع للمعتدين على منجزاته في « الساحة » الذاتية التي اختاروها لهجومهم . وهو واجب . ولكن اخشى ، يا مولاي ، ان يكون اختيار عبد الناصر الذات ساحة للصراع استدارجا للقوى القومية التقدمية بصرف انتباهها عن حقيقة ما يدور حوله الصراع فما ان تنتصر في معركة تقييم الماضي حتى تفاجأ بانها قد فقدت المستقبل .

لا بد ، اذن ، من التنبيه الى المخاطر التي لم ينتبه اليها كتاب الشورى .

وكنت ابحث عن الاسلوب المناسب . فخطر لي اسلوب غريب .

الوعي المفقود :

خطر لي يا الهي ان يكون تنبيهي من خلال التعليق على ما اقتطفته « الشورى » من كتاب محمد عــودة « الوعـــي المفقود » · وهو كتاب قال عنه مؤلفه : « ليس هذا الكتاب ردا على توفيق الحكيم ولا تحيزا لجمال عبد الناصر ولكنه دفاع عن الشرف السياسي والثقافي لمصر » · ومحمد عودة كما خلقته يا مولاي ، لم يتغير · انه واحد من القلائل الذيـــن احتفظوا بعادة استعمـــال ارجلهـــم ، وبطراز ملابسهـم ، وبمستوى معيشتهم ، وبمضمون افكارهم ، في حياة عــبد الناصر وبعد وفاة عبد الناصر ، وفي كل الظروف · هـــذا النوع النادر من عبيدك يستحقون الاحترام · ولكن احتــرام الاشخاص لا يعني التسليم بما يقولون · ولقد كانت لي على ما كتب محمد عودة ملاحظات سمعها مني قبل ان ينشر مــا كتب · قلت له بعد ان رددت اليه كتابه الذي شرفني بقراءته قبل نشره : انت تحاور توفيق الحكيم من موقع الدفاع عــن عبد الناصر · المضمون صحيح والاسلوب خاطىء · توفيق الحكيم ومن وراءه لا يبحثون عن الحقيقة فهم يعرفونها ، انهم يشهرون بها من موقف مضاد لها يستهدف اهدارها فلا تدافع بل هاجم لا تقل « ان هذا الكتاب ليس ردا على توفيق الحكيم » بل قل « ان هذا الكتاب ردع لتوفيق الحكيم » · ولا تقل « ان هذا الكتاب ليس تحيزا لجمال عبد الناصر » بل قل « انه تحيز لعبد الناصر ضد المتحيزين ضده فان توفيق الحكيم ومن وراءه متحيزون · فلا تكن ملاكا وانت تتعامـــل مــع الشياطين » ·

قال : انك عنيف ·

قلت : لاني لست مثاليا ··

وافترقنا ··

منذ ذلك اللقاء ، يا الهي ، ولا يكاد يكون لمثقفي العرب قضية الا قضية توفيق الحكيم · حتى ان مجلة « الطليعة » القاهرية قد جمعت فريقا من المثقفين بقيادة لطفى الخولي ليحاوروا توفيق الحكيم · لماذا ؟ ·· انه وباء التركيز على الذات دون الموضوع الذي يجتاح مثقفي امتنا العربية · يقولون أن اليمين يحاول ان يكسب توفيق الحكيم ونحن نحاول ان نكسبه لليسار · فليكن فليكن لأيكما ما اهميته ؟ ·· يقولون انه فنان كبير · على اعيننا ورؤوسنا ثم ماذا ؟ ·· ان كل ما نعرفه موضوعيا ان في مصر العربية ثلاثين مليونا من الفلاحين وخمسة ملايين من العاملين والفقراء والكادحين لم يسمعوا او لم يقرأوا شيئا للسيد توفيق الحكيم وبالتالي لا يهمهم اين يكون موقعه من اليسار او اليمين · اما الذين يقرأون ويتابعون فقد اسقطوا توفيق الحكيم الفنان ذا البرج العاجي يوم ان خان قضيتهم فدعا الى الاعتراف باسرائيل ·

فاردت ، يا مولاي ، ان انبه الى مخاطر التركيز على الذات بان اعبر عن رأي قديم في توفيق الحكيم · وهو رأي غريب · دلالته ان قد تتلف ذات الفنان تلفا جسيما بينما يبقى قادرا على الخلق الفني ، فان تجاوزه الى أي مجال اخر من مجالات الفكر او السلوك بان تلفه بيانا فاضحا · عرفت هذا من دراستي لتاريخ الفنان الخالد فان جوخ الهولندي · كان فان جوخ قد فقد قواه العقلية واودع فعلا في مصحة خاصة يحجز فيها المجانين · وهناك ، ابدع اروع واخلد لوحاته · ما ان فرغ من رسم احدى لوحاته الخالدات واراد

ان يبلغ خبر التهائها الى حبيبته حتى قطع اذنه وارسلها اليها ·· كان مجنونا حقا وكان فنانا حقا في الوقت ذاته ·

ويقولون ان توفيق الحكيم فنان · وقد يكون كذلك فلست حكما صالحا · ولكن ما شأن الذات الفنية لتوفيق الحكيم باجتهاداته الفكرية او مواقفه السياسية ؟ ان وباء التركيز على الذات هو الذي يريد ان يضع الثقل الفني لتوفيق الحكيم في كفة ارائه السياسية الخفيفة حتى ترجح · مع ان توفيق الحكيم قد يكون في طريقه الى ان تسلبه الشيخوخة ما ابقى الفن من اتزانه العقلي ·

والواقع ان هذا افتراض مطروح منذ وقت غير قصير· منذ بدأ توفيق الحكيم يعبر عن نفسه تعبيرا اقرب الى الطفولة (والشيخوخة هي ردة الى الطفولة) منه الى تعبير الرجل الناضج العاقل · منذ ـ مثلا ـ ان كتب مسرحية كاملة (نشرت في جريدة الاهرام) يدور الحوار في الفصل الاول منها كلمة كلمة ، وفي الفصل الثاني كلمتين كلمتين ، وفي الفصل الثالث ثلاث كلمات ثلاث كلمات · نوع من التصرفات الغريبة ، المقصودة لشد انتباه الاخرين لا اكثر· اكثر من هذا انه قدمها على انها من انشاء شاب ارسلها اليه مصحوبة برسالة · وصاغ الرسالة ونشرها معا · نوع من العبث الذي نعرفه من الاطفال عندما يمارسون خدعهم الصغيرة · ثم بعدها حين اجتاحت العالم موجه المسرح « اللامعقول » وانتبه النقاد في العالم العربي الى هذه الموجة الطارئة من اوروبا وشغلوا انفسهم بها عن توفيق الحكيم · فلم يطق عقل الشيخ صبرا على ان يغيب ذكره ، فاصطنع مسرحية « يا طالع الشجرة » · ويقسم قريب منه ان توفيق

الحكيم نفسه لا يعرف ماذا كان يريد ان يقول فيها مع انـــه كان سعيدا بها سعادة الطفل بلعبته المعقدة ٠٠ ثم توفيـــق الحكيم في وسط عمال مصانع حلوان يلبس ملابسهم ٠٠ ثم اخيرا « عودة الوعي » ٠

ان « عودة الوعي » دليل يكفي اي طبيب ليحكم على الحكيم بأنه يعاني من حالة متدهورة من حالات الشيخوخة الذهنية ، السطحية التافهة ، والكذب الطفولـي المفضوح ، والتحايل الفكري الساذج ، والشرود والنسيـان وغيـــاب التفاصيل ، وتوهم الاضطهاد ٠٠ الخ ٠

في حوار « اليسار » مع توفيق الحكيم كان الموضوع المطروح هو « مستقبل مصر » ٠ وتحدد هذا الموضوع بعـد حوار سابق استغرق ساعات ٠ و « مستقبل مصر » اخطـر موضوع يمكن ان يتحاور فيه المثقفون ، لان مستقبل مصــر هو ــ الى حد بعيد ــ مستقبل الامة العربية ٠

قال لطفي الخولي : ماذا عن المستقبل ؟ ماذا يا استاذ توفيق ؟

فانطلق توفيق الحكيم يتحدث عن ابي جدته وجدتــه وزوجها اي جده ٠ ولطفي الخولي يحاول ان يرده الـــى الحديث عن المستقبل ، فيصر على ان يسرد تاريخ جده الذي اشترك في الثورة العرابية ٠ صفحات وصفحات وهو يتحدث شاردا بعيدا عن الموضوع ٠ ويجره لطفي الخولي جرا الى ان يصل به الى ما قبل ثورة ١٩٥٢ فيقـــول الحكيم انه ادان اللعبة الليبرالية التي كانت تمثلها الاحزاب ، وبعد قليـــل يتوهم ان احدا من المتحاورين قد قال لا يوجد الآن ليبراليون فيجزع ويقول « مصيبة » ثم يتضح ان احدا لم يقـــل مـــا توهم سماعه ٠٠ الى آخره ٠

لا يمكن ان يخطىء اي متابع لحوار الحكيم ان ذهن الرجل يخونه ويفلت من حين الى حين ٠ ومع ذلك فان جمهرة المثقفين العرب مشغولون بما قال ويقول توفيق الحكيم ٠ ويبلغ اهتمامهم به حد السماح له بأن « يخرف » فيقول في ندوة الطليعة : « اذا قوينا اليسار الاسرائيلي فان التفاهم سيكون اقل صعوبة من التفاهم مع الامبريالية » ٠ لماذا يهتمون به هذا الاهتمام ؟٠٠ لانه فنان ٠ له ثقل فني ٠ نعم ولكن ما علاقة ذاته الفنية وثقلها بأفكاره السطحية وخفتها ٠

انهم ، يا الهي ، يريدون ان يضيفوا « اسما » له ثقله الفني في كفة مواقفهم لترجح كفتهم مع انهم يعرفون ان جمهرة كبيرة من الفنانين اختلط في ذواتهم الجنون العقلي بالمقدرة على الابداع الفني ٠ وانما يفعلون ما يفعلون يا مولاي ، لانهم يريدون ان يستغلوا وباء الانبهار العربي بذوات الاشخاص على حساب الانتباه الى مضامين افكارهم ومواقفهم ٠ فلما ان استوى موقفا كتاب الطليعة مع كتاب « الشورى » اردت ان انبه قراء « الشورى » عن طريق نقد موقف كتاب « الطليعة » متخذا من مقالة محمد عودة التي نشرتها « الشورى » مدخلا ٠

وكالعادة ، غادرت الشورى الى مصادر المعرفة ٠

الفكرة الاولى موضع البحث هي العلاقة بين الفنون والجنون ٠ واحضرت لها مجموعة جيدة من المراجع التي تبحث في (١) الفن (٢) الجنون (٣) نماذج من الفنانين المجانين ٠

الفكرة الثانية موضوع البحث هي العلاقة بين الشيخوخة والعقل ٠ واحضرت لها مجموعة جيدة من

المراجع التي تبحث في العلاقة بين الجسم والنشاط الذهني ، على راسها ما كتبه ديكارت وسبينوزا عن هذه العلاقة • وكنت مشغولا بكل هذا لاقدم الى القراء من الشباب العربي اطرف الوان المعرفة عن هذه العوالم الغامضة • عالم الفنون وعالم الجنون وعالم الحياة في الجسم والعقل معا • وكنت انوي صياغته على الوجه الذي يحمل القراء من الشباب العربي على الضحك من جماعة كبيرة من الكهول • وكنت احب ان يكون نقد العدد العاشر من « الشورى » الذي سينشر في العدد الثاني عشر تتويجا لجهد عام ناجح من حياة مجلة الفكر القومي التقدمي •

ثم ، يا الهي ، جاءني زوار •

حوار مع الزوار :

فلان •• فلان •• فلان •• فلان ••

اهــلا بالشباب ونسيت الاسماء لان ذاكــرة الشيوخ تفلت منها التفاصيل عادة ••

قالوا : نريد ان نسالك سؤالا •

قلت : خير ان شاء الله • ما هو ؟

قالوا : هل انت الذي تكتب في « الشورى » بتوقيــع « ابو ذر » •

قلت : وما فائدة الجواب ايا كان الجواب •

قالوا : مفيد ، طبعا ، يهمنا ان نعــرف شخص مــن يخاطبنا بالكلمة المكتوبة •

قلت : ولماذا يهمكم ؟

قالوا : (بعد تردد) لان قيمة الكلمة او بعض قيمتها متوقف على شخص قائلها •

قلت : ولكنكم تقرأون ما كتبه كثيرون من الفلاسفة والكتاب والادباء والصحفيون ، من العرب وغير العرب ، وتقبلون افكارهم او ترفضونها بدون ان تعرفوا اشخاصهم ، فلماذا تريدون ان تعرفوا شخص ابو ذر ·

قالوا : هذا صحيح ولكن لو عرفناهم لكان فهمنا لهم افضل ونحن نريد ان نعرف ابا ذر لنفهمه افضل مما نفعل ·

قلت : أخشى انِ تكون معرفتكم « الشخص » في عالمنا هذا ليس افضل بل اخطر ·

قالوا : لماذا ؟

قلت : لان في عالمنا اليوم صراعا قاسيا · وامتنا مستهدفة · والفكر سلاح فعال · فلو ان القوى التي تريد ان تستولي على عقولكم مقدمة لاستيلائها على امتكم ، من خلالكم ، ارادت ان تدس في اذهانكم فكرا لما قدمته اليكم عن طريق « المشبوهين » بل لقدمته اليكم من خلال « الموثوقين » ·

قالوا : وكيف نفلت من هذا الشرك ؟

قلت : بأن تدربوا انفسكم على التحرر من جانبية الاسماء ·

قالوا : ولكن « ابا ذر » ليس اسما ·· انه غطاء لاسم ، ومن حقنا ان نعرف اسم صاحبه حتى لا نتعامل مع اشباح ·

قلت : لكم هذا الحق وستعرفونه بعد جيل ·

قالوا : (باستغراب ضاحك) ·· جيل ؟··

قلت : نعم جيل · اعني ارجو ان يكون ذلك بعد جيل ·

قالوا : ولماذا ؟

قلت : لا ن ابا ذر ، على ما اعلم ، لا يرفع راسه عـــن ارضه العربية حتى كاد ينحني ظهره ·

قالوا : ماذا تعني ؟

قلت : اعني انه يتعامل مع واقعه العربي كما هو ·

قالوا : وماذا في الواقع العربي يحول دون ان يعلـــن نفسه ؟

قلت : مشكلة يريد ان يسهم في حلها ·

قالوا : ما هي ؟

قلت : الانتباه الى الذات على حساب الموضوع· يريد ان يدرب الشباب العربي من الجيل الجديد على ان يتقبـــل الفكرة ويقيمها بدون اعتداد بقائلها قبل ان يعود فيعتـــد بقائلها · هل قرأتم العدد العاشر من « الشورى » ؟ ان افضل ما كتب فيه جاء تحت عنوان تقارير الشهر · كان في صميم صميم المشكلات الحية التي تمر بالعالم وتهدد امتنـــا بأكثر المخاطر جدية· «نحن واميركا»ثم«الجانب الاقتصادي من رحلات كيسنجر » · هذه هي مشكلة امتنا الآن · قرأهما ابو ذر ثم قال · « خسارة » · ولما سألته ما الخسارة ؟ قال انه يكاد يكون متأكدا من ان اغلب قراء « الشورى » لن يقرأوا هذين المقالين الجيدين لانهما نشرا بدون توقيع ، والقراء من العرب يبحثون عن الاسم اولا ، لان الانتباه الى الذات على حساب الموضوع وباء في الوطن العربي · هكذا قال ابو ذر · ثـــم اضاف انه سبق ان اقترح على « الشورى » ان تصدرالمقالات بدون توقيع ·

قالوا : لكن مجلات العالم كله لا تفعل هذا ·

قلت : لانها مشكلة عربية من اثار التخلف الثقافي ·

قالوا : وكيف هي عربية ؟

قلت : دلالة التاريخ المعاصر ·

قالوا : وماذا يقول التاريخ المعاصر ؟

قلت : يقول ـ مثلا ـ ان الذين يسمون انفسهم قوميين تقدميين او ثوريين عربا ، وهم كثيرون ، ما يزالون يرددون كل يوم ان مصير امتهم متوقف على التحامهم في تنظيم قومي تقدمي ولا يفعلون · اتدرون لماذا ؟

قالوا : قل انت ·

قلت : الحق اقول لكم ان الذاتية فيهم قد طغت على الموضوعية فطغى ولاؤهم لاشخاصهم على ولائهم لامتهم · كل واحد منهم يذكر اسمه قبل اسم امته · يدعو الى التنظيم ويريد ان يكون محوره · يملي شروطه الخاصة على امته ويعلق مصيرها على قبول شروطه · يقيم من نفسه حكما فله في رفاقه حكم سابق لا يرضيهم ·

قالوا : قد تكون الاحكام صحيحة ·

قلت : لو صح نصفها لكان كل من يسمون انفسهم قوميين تقدميين او ثوريين عربا وهما لا وجود له في الواقع· او لكنا امة من الخونة والعملاء المنحرفين ·

قالوا : هذه مبالغة · اسمح لنا ·

قلت : اذن لو صح نصف الاتهامات المتبادلة بين الذين يسمون انفسهم قوميين تقدميين او ثوريين عربا لكان واجبا عليهم ان يردوها الى مقياس العلم ·

قالوا : وماذا يقول العلم ؟

قلت : يقول ان كل فرد ناقص ولا تكمل الا الجماعة ·

ويكون تحويل الافراد الى جماعة هو الاسلوب العلمي الصحيح لتصحيح الاحكام الفردية ـ الصحيحة ـ على الافراد يقول ان كل شيء في الوجود متغير حتى الناس · ويكون الاسلوب العلمي الصحيح عدم محاكمة الافراد على مواقف سابقة حكما نهائيا بناء على وهم انهم لا يتغيرون ·

قالوا : لم نفهم تماما ما تريد من الفقرة الاخيرة ·

قلت : اذن ، فاعلموا ـ هداكم الله ـ ان هناك جيلا كاملا من القوميين التقدميين ناضلوا في ظروف صعبة لم يكونوامسئولين عنها · ناضلوا متفرقين في غير تنظيم فانهزموا جملة ولم يحققوا لامتهم ما كانوا يريدون · وبدلا من ان يدرسوا الظروف الموضوعية التي ادت الى فشلهم انطلقوا يتهم بعضهم بعضا ، فلكل واحد منهم احكامه على رفاقه لا ترضيهم · ويعلن كل واحد منهم انه مستعد حتى للموت في سبيل امته ولكنه غير مستعد ان يتنازل عن رايه الشخصي او بعض رأيه في سبيل ان يلتقي بآخرين · والمصيبة ان هؤلاء هم الذين يقومون عقبة في سبيل التحام الجماهير العربية في تنظيم عربي تقدمي · فمن ناحية سيكون تجاهلهم غبنا لهم لانهم كانوا مناضلين حقا ومن ناحيةاخرى يملون شروطهم فلا يتصورون اي تنظيم قومي الا وهم في موقع القيادة منه ·

قالوا : انك تشككنا في القوميين التقدميين ·

قلت : الفردية نقيض القومية · الاولى ادنى العلاقات او هي انسلاخ من كل علاقة والثانية اسمى العلاقات لانها فناء الذات في اكثر صور المجتمعات المعاصرة رقيا وهي الامة ·

قالوا : هل هناك امثلة اخرى ؟

قلت : امثلة كثيرة وكلها عربية ·

قالوا : منها ·· مثلا ·

قلت : مثال من تجربة عبد الناصر · كان يقود امته في معارك تحريرها الضارية ويقف بصلابة ضد اعتى القوى الاستعمارية وكان يمد نضاله التحرري الى اطراف وطنه الكبير ويتجاوزه مشاركا في معركة التحرر العالمية · وكان رئيسا لدولة كثيفة التكوين معقدة البنية ورثها بيروقراطية متعفنة وثار من اجل تطهيرها · وكان مسئولا مباشرة عن ان يوفر المأكل والمسكن والملبس والمرافق والخدمات لشعب يزيد كل عام مليونا ·· وكان في كل هذا قد بلغ من امته ومن دولته ارفع مراتب القيادة وصار معبود الجماهير بالمعنى السياسي وليس بالمعنى الميتافيزيقي · وفي عام ١٩٦٢ طرح على الشعب الصيغة الاولى لافكاره تحت عنوان «الميثاق» · وقال انه دليل عمل لعشر سنوات· وحذر من تجميده واعتباره الكلمة النهائية · ولم يكف ابدا عن هذا التحذير ·

قالوا : (مقاطعين) ·· حذر من اي شيء ··

قلت : حذر من موجة وبائية طاغية خلطت بين شخصية عبد الناصر الفذة التاريخية وبين الميثاق فحاولوا ان يصوروه فكرا فذا تاريخيا · حذر من موجة وبائية من الانتهازية اتخذت من « تقديس » عبد الناصر طريقا الى الارتزاق فلما ان صدر « الميثاق » رفعته الى مصاف الكتب المقدسة · حذر من الاستغلال الخطير للظاهرة العربية : الانتباه الى الذات على حساب الموضوع· وانضمت الموجتان في موجة ارهاب فكري لكل من حاول ان ينقد الميثاق او حتى يطور افكاره الى

ان فوجيء الارهابيون بأن عبد الناصر نفسه قد تجاوز الميثاق متقدما عليه فكرا وتطبيقا ·· انهم هم الذين يشنون الآن حملة التشهير بعبد الناصر ، ومن بين ما يقولونه : ان عبد الناصر لم يلتزم الميثاق مع انه حذرهم وحذر غيرهم مما كانوا يفعلون ··

قالوا : ألم يكن يعرف عبد الناصر ظاهرة الانتباه الى الذات على حساب الموضوع فلماذا اصدر الميثاق ·

قلت : كان يعرف ويجرب علاج المشكلة بأن طرح الميثاق على اكثر من ألف وخمسمائة شخص ظلوا يناقشونه اياما حتى يكون الميثاق انتاجا فكريا جماعيا ، ثم احال المناقشات الى لجنة من مائة مفكر فصاغوا ملحقا للميثاق ·

قالوا : وهل اجدى هذا العلاج ·

قلت : لا · لم يجد ·

قالوا : لماذا ؟

قلت : لان الانتباه الى الذات على حساب الموضوع ليس مجرد ظاهرة في الوطن العربي بل هو وباء · فلم يلبث المرضى ان تجاهلوا تحذيرات عبد الناصر ، فأسقطوا الجزء الذي اضافه المؤتمر الى الميثاق ، ثم احالوا الميثاق كتابا مقدسا وادانوا كل محاولة لنقده او تطويره بأنها نقد لعبد الناصر القائد او محاولة لتجاوز قيادته ·

قالوا : مثال خطير فعلا ·

قلت : اتمنى الا يتكرر · عندئذ يكون تجربة ايجابية تعلمنا منها شيئا ينفع امتنا ·

قالوا : وما هو ؟

قلت : ان نعرف واقع امتنا ونتعامل معه كما هو حتى لو اردنا تغييره . وما دامت امتنا في هذه المرحلة المتخلفة تخلط بين الذاتي والموضوعي او ترجح الذاتي على الموضوعي فيجب على الواعين فيها انيتجنبوا ان تلف مواقفهم وافكارهم رياح الوباء فيحيلها المرض الى نصوص جامدة لن يكون من اثرها الا تقييد حركتهم انفسهم حتى لو كانوا غير راغبين في موقع التقديس الذاتي او حتى لو كانوا قادرين على الابداع المقدس .

قالوا : انك تتحدث حديث ابي ذر .

قلت : لانني اقتدي به .

قالوا : هل يخاف ابو ذر من ان يعرف احد معين انه هو الذي يكتب باب « على السفود » ؟

قلت : ان ابا ذر يقتدي بالائمة من رجال التصوف الذين يؤمنون بالله حبا فيه لا خوفا منه فلا اظنه يخاف احدا .

قالوا : انك تحرضنا على اكتشاف ذاته .

قلت : رحمتك يا الهي ، ان وباء الانتباه الى الذات على حساب الموضوع، قد سرى من جيل الكهول الى جيل الشباب. الهي ،

ان شبابا لا يتلقى المعرفة والعلم الا من « ذوات » معينة يفضلها ، لن يستطيع ان يعرف ويتعلم من البدو الذين لا يحسنون تنسيق الكلام، من الفلاحين الذين تنقطع على السنتهم الكلمات ، من العمال الذين لا يقيمون وزنا كبيرا

للكلمات ، من الفقراء المسحوقين الذين لا يكادون يقدرون على الكلام ، من المرضى والعرايا والمشردين في المزارع الموحلة والصحارى القاحلة والمصانع الملوثة والطرقات الضيقة والمنازل المتهالكة · انهم ـ يا الهي ـ لن يطيقوا التعامل مع هذه « الذوات » المتردية حالتها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ولن يكون من اثر هذا ـ يا مولاي ـ الا ان ينمو جيل جديد من المثقفين العرب في عزلة من شعب امتهم العربية ·· وهو خطر عظيم يهدد مصير الامة التي قلت انها خير امة اخرجت للناس ·

وأني ، يا الهي ، لا استطيع لامتي الا الكلمات ، والكلمات غير مجدية في رد الخطر العظيم· ، فأراني ـ يا الهي ـ يمزقني التناقض بين وضوح الرؤية وقلة الحيلة فلا استطيع الا ان الجأ الى رحابك اشكو اليك وحدك ما تعلمه ·

القاهرة في ١٦ يناير ١٩٧٥

(١٠)

كل عام وانتم بخير :

حين يظهر هذا الحديث على صفحـــات « الشورى » تكون مجلة الفكر القومي التقدمي قد اكملت سنة من عمرها · يستحق كل من اسهم في اصدارها وتحريرها تحية عـــيد ميلادها الاول ، فكل عام وانتم بخير ··

ولكن هل مضت سنة حقا على اصدار « الشورى » ؟

يتوقف الجواب على « التقويم » الذي نحسب به عــدد الايام والسنين ؟

بالنسبة الينا ، نحـــن العرب ، الامـــر بسيط · يبدأ تقويمنا بيوم الهجرة · هكذا رأى الخليفة العظيم عمر بـــن الخطاب · اولا ، ان ينشىء للناس تقويمـــا جديدا لقياس الزمان قياسا مجردا ثابتا لا يتوقف ثبوته على ما يجري على الارض · وهي فكرة عبقرية الغرابة على بدوى ابن بدوى · غير انه اذا عرف السبب بطل العجب · وسنعرف السبب بعد قليل · ثانيا : ان يبدأ التقويم بيوم هجرة الرسول عليه السلام من مكة الى المدينة (يوافق يوم ١٦ يوليو ٦٢٢ ميلادية) · فأنشأ عمر التقويم الهجرى تقويما قمريا · السنة فيه ١٢

شهرا · ويتراوح الشهر فيه بين ٢٩ يوما و ٣٠ يوما تبعا لرؤية الهلال · فما بين كل هلال وهلال شهر · وتصبح ٣٥٤ يوما آنا و ٣٥٥ آنا اخر ·

وطبقا لتقويمنا تكون مجلة « الشورى » قد اكملت عاما قبل صدور هذا العدد بعشرة ايام ونصف « تقريبا » هي الفرق في الايام بين السنة القمرية والسنة الشمسية · ونقول « تقريبا » لان الامر اكثر من هذا تعقيدا ·

نبدأ الحكاية من البداية ··

بشكل عام بدأت البشرية تقسيم الزمان الى ايام قبل ان تعرف الاسبوع والشهر والعام · كان اليوم بسيطا في انضباطه على النور والظلام · ما بين الغروب والغروب يوم · اما الاسبوع فهو قسمة « عملية » لا علاقة لها بالشمس او القمر · يقولون انه تقسيم نشأ تبعا للنشاط الاقتصادي او التجاري واختلف باختلاف مواقع البشر من الارض · الاصل فيه يوم الراحة · يوم راحة بعد رحلة صيد ناجحة · يوم راحة بعد جولة تجارة رابحة · وما بين كل يومي راحة عدد من الايام يسمونها اسبوعا · فكان الاسبوع عند بعض القبائل الافريقية اربعة ايام · وفي امريكا الوسطى خمسة ايام · وعند الاشوريين ستة ايام · وعند الرومان القدامى ثمانية ايام ·· وعند الساميين كان سبعة ·

الذي بدأ ـ حين بدأ ـ محددا بدون خلاف هو الشهر · كان الشهر عند كل المجتمعات الاولى منضبطا بظهور القمر ودورته حول الارض · ويمتاز قياس الشهر بدورة القمر بميزتين · اولاهما حضور المقياس في دورات متقاربة فلا

يحتاج تذكر اول الشهر الى اجتهاد ولا يحتاج حساب نهايته الى اجهاد ثانيتهما انه قياس زمني خالص. قياس للزمان بدون احالة الى غير الزمان . فلا يتوقف عدد الشهور والسنين في التقويم القمري على ما يجري على الارض من حوادث واحداث . ولا يقبل ضابطا موازيا او متداخلا معه فيبقى منضبطا ابدا .

نفهم هذه الميزة الاخيرة عندما نعرف تعقيدات قياس الزمان وتقسيمه على اساس ما يجري على الارض . كان ذلك هو شأن السنة الشمسية . فالاصل في التقويم الشمسي انه تقويم زراعي وليس تقويما فلكيا . تحسب السنة فيه وتتبع فصول الزراعة والحصاد. اما علاقته بالشمس وحركة الارض حولها فقد جاءت تبعية ، اذ تتأثر الفصول وتتبع حركة الارض حول الشمس . ولان الدورة الزراعية هي اصل التقويم ، لم ينشأ التقويم تابعا لحركة الارض حول الشمس منذ البداية . بل نشأ مرتبطا بالدور الزراعية وحدها ..

هكذا ـ مثلا ـ كان يفعل سكان مصر الاقدمون . كانت السنة عندهم تبدأ بيوم ارتفاع مستوى المياه في النيل مبشرا بالفيضان . ثم تنقسم السنة الى ثلاث فترات زمانية . مائة وعشرون يوما « فترة الفيضان » . ومائة وعشرون يوما « فترة الزراعة » ومائة وعشرون يوما « فترة الحصاد » . وقد كان سكان مصر الاقدمون يلاحظون ـ كل عام ـ ان الفيضان يبدأ بعد انقضاء خمسة ايام من نهاية فترة الحصاد . اعني ان السنة تبدأ بعد خمسة ايام من نهاية

السنة السابقة · فكانوا يسقطونها من حساب السنين ويسمونها « الايام المنسية » · ينسونها ، وينسون معها حركة الفلك لتبدأ سنتهم الجديدة على مقياسهم الزراعي · ولما ان « تقدموا » في المعرفة بعلوم الفلك والهندسة اكتشفوا حوالي عام ٢٧٠٠ قبل الميلاد ان السنة الشمسية ليست ٣٦٥ يوما بل هي ٣٦٥ يوما و « ربع » يوم · ففكروا في ذلك الوقت البعيد في ان يضيفوا يوما الى الايام المنسية كل اربعة اعوام ·· ولم يثبت فيما تركوه من آثار انهم قد نفذوا ما فكروا فيه ·

كذلك كانت السنة عند قدماء الرومان عشرة اشهر قمرية · اما تلك الفترة الجدباء ، فترة الشتاء في اوروبا ، التي تقابل ما يعرف اليوم باسمي يناير وفبراير ، فلم تكن تدخل في حساب الشهور والسنين اصلا · كانت خارج الزمان عند قدامى الرومان لان الزمان عندهم كان مرتبطا بالدورة الزراعية التي تبدأ مع الدفء وتنتهي تحت غطاء الثلوج في اخر ديسمبر من كل عام · أي من كل عشرة اشهر · ولم يضف الشهران الى « العام الروماني » الا بأمر من ملك روما الثاني نوبا بومبيلوس (٧١٦ ــ ٦٧٣ ق · م) فاصبحت السنة ١٢ شهرا قمريا من ٣٥٤ يوما مقسمة على الوجه الاتي : مارس (٣١ يوما) ثم ابريل (٢٩ يوما) ثم مايو (٣٠ يوما) ثم يونيو (٢٩ يوما) ثم يوليو (٣١ يوما) ثم اغسطس (٢٩ يوما) ثم سبتمبر (٢٩ يوما) ثم اكتوبر (٣١ يوما) ثم نوفمبر (٢٩ يوما) ثم ديسمبر (٢٩ يوما) ثم يناير (٢٩ يوما) ثم فبراير (٢٨ يوما) ·· مع ملاحظة اننا نستعمل اسماء الاشهر المستعملة اليوم وهي لم تكن كذلك يومئذ ·· اعنى لم تكن كلها كذلك ·

ولم يكن اكمال السنة ومحاولة الارتقاء مـــن القياس الزراعي البدائي الى القياس الفلكي الا بداية المتاعب لما عرف بعد ذلك بالتقويم الميلادي • الاشهر القمرية تقسم الزمــان الى وحدات ثابتة وغير متوقفة على غيرها • والسنة الشمسية تقسم الزمان على الوجه الذي يتفق مع الزرع والحصـــاد ودورة الفصول • ومع ذلك فان الاشهر القمرية هي وحـــدات تقسيم السنة الشمسية الى عدد ثابت مـــن الاشهر (١٢) فكأننا نقيس الزمان بمقياسين مختلفين • وهما مختلفان لا من حيث الطبيعة والثبات فقط بل من حيث عدد الايام ايضا • فالسنة القمرية (١٢ شهرا) تقل عن السنة الشمسية بعشرة ايام ونصف يوم • وهي ايام قليلــة ولكنها تتراكـــم فيجد اصحاب التقويم الشمسي انهم في حاجة الى تعديل تقويمهم من حين الى حين ليبقى مقياس الاشهر متفقا مــــع مقياس السنين • لتبقى السنة ـ في كل عـــام ـ اثني عشر شهرا • ولتتفق بدايتها ـ في كل عام ـ مع بداية دورة جديدة للارض حول الشمس •

اول تعديل اجراه يوليوس قيصر سنة ٤٦ قبل الميلاد • كان الفرق قد تراكم فقرر القيصر ان يمحو من سجل الزمــان ٦٧ يوما من السنة الشمسية لتلتقي الشمس والقمر في بداية عام جديد • وخشى القيصر ان تتراكم الفروق مرة أخرى فيضطر خلفاؤه الى حذف جديد فعهد الى الفلكي الروماني سوسيجن حل مشكلة الوفـــاق بين الشمس والقمر ، فأفتى بطلاق القمر • الغى التقويـــم القمري لتصبح الاشهر ١٢ « اتفاقا واعتباطا » ، تختلف ايامها بحيث يصبح مجموعهــا ٣٦٥ يوما وربع يوم هو طول السنة الشمسية • وقد امكــن

من خلال التحكم في ايام الشهور الوصول بالمجموع الــى ٣٦٥ يوما بقي «الربع» فافتى الفلكي العتيد بان يضاف يــوم الى شهر فبراير كل اربعة اعوام · وهكذا انتهى الرومان في عام ٤٥ قبل الميلاد الى ما كان قد انتهى اليه سكان مصــر الاقدمون قبلهم بسبعة وعشرين قرنا كاملــة ··· وسبحان مغير الاحوال ··

ومع ذلك ، تأملوا عناد الانسان ·

ان السنة الشمسية التيهي ٣٦٥ يوما وربع يومتزيد عن السنة الفلكية (المدة التي تكمل الارض فيها دورة واحــدة حول الشمس) بما يساوي ١١ دقيقة و ١٥ ثانيــة · اي بمقدار يوم واحد كل ١٢٨ سنة · لم ينتبه احد الى هذا الفرق الضئيل في البداية · ولكن في اوائل القرن السابع بعــد الميلاد اضطرب العالم المسيحي اضطرابا شديدا · ان عيد الفصح ـ اهم اعياد المسيحية عند الرومان (وهو يحســب قمريا) ـ قد جاء بعد موعده بثلاثة ايام كاملــة ـ وبــدا الحساب · سيأتي بعد اكثر من اسبوع في القــرن الثالث عشر · بعد اكثر من تسعة ايام في القرن الخامس عشر ·· وتعرض التقويم الشمسي كله لنقد رجال الدين وبدأت الدعوة الى اعادة النظر فيه بحيث تأتي الاعياد الدينية في ايــام معروفة وثابتة من كل عام · وكان طبيعيا انه اذا كان بعض الناس قد شك في صحة التقويم الشمسي فان بعضهم قــد شك في صحة تاريخ الاعياد ·· واستمر الاضطراب قرونــا الى ان انهاه مؤتمر الفلكيين الذي دعى اليه البابا جورجــي الثالث عشر عام ١٥٨٢ ·

في ذلك الوقت بالذات ، الذي كان العالم المسيحي يشكو من تعقيدات التقويم الشمسي ، وآثار تلك التعقيدات على المعتقدات الدينية ، ويبحث عن حل لمشكلة ازدواج قياس الزمن رأي الخليفة العبقري عمر ان يقطع الشك باليقين فينشيء للناس تقويما جديدا ، يبدأ بالهجرة ، ويقيس الزمان على دورة القمر ، ولا يتوقف في ثبات قياسه على ما يصنع الناس في الارض من زرع وحصاد (تولى عمر الخلافة يوم ٢٣ اغسطس سنة ٦٣٤ ميلادية) .

وهكذا كان ...

الاستفزاز :

اعترف بانني كنت قد اعددت الفقرة السابقة قبل ان يصلني العدد الحادي عشر من «الشورى» اتكالا على ان الزمان لا يتوقف وان ابريل قادم لا شك فيه . اعددتها تحية «للشورى» وكتابها وقرائها في عيد ميلادها الاول . وبقيت انتظر «الشورى» ، التي لا تنضبط مواعيد حضورها على اي تقويم هجري او ميلادي ، وانا ادعو الله ان تكون مادتها خالية مما يفسد علينا غبطة الاحتفال بعيدها . وجاءت «الشورى» فكادت تحيل العيد ماتما ، او على الاقل نذيرا بالموت . بمجرد ان قرأت عنوان ملف الشورى فعرفت انه عن الوحدة العربية سارعت الى قراءته . واذ بي اصطدم ـ مرة اخرى ـ بالاخ عبد الله بلال ... وقد اعتبرت مقال الاخ عبد الله بلال استفزازا للقراء الذين يعبر عنهم «ابو ذر» .

قال «ابو ذر» في العدد السادس من «الشورى» (نشر في العدد الثامن) تعليقا على ما كتب احتفالا بالعيد الخامس لثورة الفاتح من سبتمبر · بالمناسبة كان عنوان التعليق «الحق المر » · قال :

« من الافكار التي غابت ، لا ادري كيف ، الحديث عن ثورة الفاتح من سبتمبر مـن حيث هي ثورة الضباط الاحرار الوحدويين · اعني الحديث عن علاقة الثورة بهدفها الاساسي: الوحدة · لماذا لم نقرأ في العدد السادس مـن « الشورى » شيئا عن الثورة والوحدة · في المنطلقات · في الاهداف · في الاسلوب · فـي الادوات ·· الـخ الان الثورة حققت نجاحا يشكر في كل ميدان ولم تحقق في سبيل الوحدة نجاحا يذكر؟ ·· ان تجارب الفشل اكثر خصوبة للمعرفة من تجارب النجاح· من حق الشباب العربي ان يتعلموا من التجارب التي فشلت حتى لا يفشلوا مرة اخرى » ·

هكذا قال ابوذر · فجاء الاخ عبدالله بلال بعد خمسـة اشهر يتحدث عن البعد الوحدوي لثورة الفاتح من سبتمبر · فماذا قال ؟ · ·

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم · باسم الله الرحمـن الرحيم ·

قال عبد الله بلال ان لثورة الفاتح من سبتمبر منطلقات ثورية وممارسة نضالية في سبيل الوحدة ، وخذوا عندكم :

اولا : المنطلقات الثورية :

(١) خطورة المرحلة التي تمر بهـا الامة العربية تحتم الوحدة (٢) الوحدة حتمية لانهـا ضـرورة للمعركة وللبنـاء الاقتصادي والدفاع والبناء الحضاري (٣) دولة الوحدةثورية تقدمية (٤) الوحـدة هـدف ومصير وضـرورة للتحـرير (٥) الوحدة تصفي سياسة مناطق النفوذ الاجنبية (٦) الوحـدة ثورة ضد التجزئة والتخلف (٧) الوحدة ضد العنصرية (٨) الوحدة والحرية بكل ابعادهما تربطهما علاقـة عضويـة (٩) الوحدة انتصار تاريخي على كل التحديات (١٠) الوحـدة ثورة شعبية (١١) الحزبية تعوق الوحدة (١٢) الوحدة ثورة الجماهير العربية (١٣) الوحدة هي النضـال ضـد اعـداء الوحدة ·

ثانيا : الممارسة النضالية :

(١) ثورة الفاتح من سبتمبر عرضت الوحدة على جمال عبد الناصر وقبلت تأجيلها (٢) ثورة الفاتـح من سبتمبر اشتركت فـي اعـلان ميثاق طرابلس ٢٧/ ١٢/ ١٩٦٩ (٣) اشتركت في اعلان بنغـازي في ١٧/٤/١٩٧١ (٤) اشتركت فيوضع وثائق الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا في ١٨/٩/١٩٧٢ (٥) المسيرة الوحدوية في ١٨/٧/١٩٧٣ (٦) اعلان جربة الوحدوي في ١٢/١/١٩٧٤ ·

وتحت كل رقم كلام كثير · وفي كل كلام جزء مقتبس من اقوال الاخ معمد القذافي · وفاتحة المقال ذاتها فقرة من احدى خطبه تكررت بنصها داخل المقال · ويسمى الاخ عبدالله بلال المجموعة الاولى من « الكلمات » منطلقات ثوريـة ·

ويسمى المجموعة الاخرى مـن الكلمات المكتوبة على الورق ممارسة نضـالية · ويتجـاهل الاخ عبدالله بـلال السؤال الاساسي الرئيسي الذي طرحه ابو ذر وقال ان الاجابة عليه اهم من الكلام الكثير : لماذا فشلت ثورة الفاتح من سبتمبر في ان تحقق الوحدة ؟··

يا اخ بلال ،

راجع مـا تقول انـه منطلقات ثورية فقد تجد فيه ان « الوحدة » مبررة ومطلوبة من اجل منافع ذكرتها ·· والمنافع تظهر وتزول وعلى اي حال لا تصلح منطلقا ثوريا الى الوحدة القومية ـ كعقيدة ـ ووحدة التكوين الاجتماعي للامة ، يا اخ بلال ، تسلب التجزئة شرعيتها وتحيلها اغتصابا لا بد ان يزول ولـو كـان على حساب النضال مـن اجـل ازالته خسائر اقتصادية او مالية او بشرية مؤقتة تعوضها الوحدة في المدى الطويل · ذلك هو المنطلق الثوري الى الوحدة ، ولو فتشت داخله لرأيت اغلب العناصر « النفعية » التي ذكرتهـا متحققـة حتمـا في اوانهـا ·· ولكـن تعليق الوحـدة على مكاسبها الآنية قد يفتح الباب لمن يعرض عليك يا اخ بـلال تعويضا عن خسائر التجزئة بترولا ، او دولارات ، او ضمانا دوليا يحمي الحدود ويغنيك عن المعركة والدفاع ··

يا اخ بلال ،

راجع ما تقول انه ممارسة نضالية مـن اجل الوحدة فقد تجد انها « جهد مبذول » · مجرد « جهد مبذول » من اجل

غاية لا يمكن ـ موضوعيا وعلميا ـ ان يؤدي اليها · وهو لم يؤد اليها · واقول لك انه لن يؤدي اليها · وليس كل جهد مبذول ممارسة نضالية تحسب لصاحبها ، انمـــا تحسب لصاحبها الممارسة النضـــالية التي تؤدي الى غايتهـا · ام تحسب ان الفشل ممارسة نضالية ؟ ··

يا اخ بلال ،

انك لم تكتب عن ثورة الفاتح دراسة تتناول بعدهـــا الوحدوي ، ولكنك جمعت في مقالك اكبر عدد متاح مــــن الكلمات ، وهي كلمات ذات اكف غايتها ان تصفق لثــورة الفاتح مــن سبتمبر ولـلاخ معمر القذافي · انهــا مظاهرة تصفيق · واحسب ان ثورة الفاتح في حاجــة الى اشيــــاء كثيرة ولكني اكاد اكون واثقا من انها في غير حاجة الى الكلمات المصفقة ·

ارجو ان تكافىء ابا ذر على ما يعــاني في الكتــابــة منتبها الى ما يكتب ·· ولا تستفزه ·

وفقك الله انه قادر على كل شيء ·

وليوفق الله ابا ذر الى مقال يفتح ابوابا للمعرفة ولا يثير الغضب ·

انه هناك في ملف « الشوري » ، بقلم الدكتور عبدالله عبد الدايم ·

العودة الى التراث ·· الالماني

الدكتور عبدالله عبد الدايم ، استاذ ومفكر ومناضل قومي مرموق · اسهم بكتاباته في اغناء الفكر القومي العربي واسهم بمواقفه في الدفاع بوجه خاص عن وحدة ١٩٥٨ · له كتاب جيد نشر لاول مرة في اواخر ١٩٥٩ ·اي في ابان الصراع الدامي بين الحركة القومية والحركات الاممية والشعوبية في العراق · اسم الكتاب « دروب القومية العربية » · ارجو ان يحصل على نسخة منه من يقدر من الشباب العربي · يحصل عليها ليقراها ·· فان صوت الدكتور عبدالله عبد الدايم احد الاصوات المعبرة بصدق عن تجربة جيل على الشباب العربي ان يدرس تجربته ·

في ذلك الكتاب يقول الدكتور عبدالله عبد الدايم :

« عصرنا هذا ، لا القرن التاسع عشر ، هو عصر نشوء القوميات الحقة · وايامنا هذه التي نحياها ، لا الايام التي ظهر فيها بسمارك واترابه من حملة النزعة القومية ، هي التي تحمل المعنى العميق لنشوء القوميات الصحيحة » ··

ويقول : « ان العصر الحالي هو عصر الصراع القومي الحق · فالقرن التاسع عشر لم يكن في الواقع عصر الحريات القومية ، وانما كان عصر العصبيات القومية الضيقة المعتدية · لقد زال الزمن الذي رغبت فيه بعض الامم بالغلبة والاعتداد بتفوقها وصفاء عنصرها » ·

وقال : « حاول هؤلاء ان يسموا الفكرة العربية القومية بوسوم زائفة اخرى على راسها تشبيهها ببعض القوميات الاخرى التي ظهرت في التاريخ وفي القرن التاسع عشر خاصة ، تحت تأثير ظروف تاريخية خاصة وعلى راسها القومية الالمانية والقومية الايطالية ، وكأنهم ارادوا ان يعلنوا ان مقومات القوميات واحدة في كل زمان ومكان » ٠

ثم قال : « ان الفكرة القومية كما قلنا منذ البداية تنبع من واقع الشعب ووجوده الحي ولا تفرض من عل ٠ وهي بالتالي تتلون بلون الامة التي تعبر عنها وتتقوم بمقومات حياة هذه الامة ٠ والنظرية القومية ينبغي ان تشتق من ملاحظة الواقع واستقرائه كما قلنا ٠ والقومية العربية ليس لها من المقومات سوى مقومات هذا الواقع ، وما عليها الا ان تجيد دراسة هذا الواقع واستخلاص اياته ومعرفة بنيته لكي تضع اسسها ومبادئها » ٠

لقد اطلت في النقل لانني ـ اولا ـ اريد ان انبه الشباب العربي من الجيل الجديد الى انهم عندما قرأوا ما كتبه الدكتور عبدالله عبد الدايم في العدد الحاي عشر من الشورى تحت عنوان « من فيختة الى القومية العربية » كانوا يقرأون « لاستاذ » ورائد من رواد الفكر القومي ٠ ولانني اريد ـ ثانيا ـ ان اواجه مع الدكتور عبدالله عبد الدايم عام ١٩٥٩ ، ما كتبه الدكتور عبد الله عبد الدايم عام ١٩٧٥ ولي فيه مآرب اخرى ٠ سأذكرها ٠

اذن ، فالدكتور عبد الله عبد الدايم ينطلق ، اعني كان ينطلق من موقف ذي مضمونين متكاملين ٠ الاول : ان الفكر

القومي الذي ساد القرن التاسع عشر متخلف عن متطلبات العصر الحالي · الثاني : ان علـى الفكر القومي العربي المعاصر ان يأخذ من واقع امته المادة التي يبني بها نظريتـه القومية · هذا ـ طبعا ـ بدون حاجة الى تأكيد ما لا ينكره احـد : ضرورة دراسة الفكر الانساني والاستفادة منـه · ندرسه في كل حال ، ونستفيد منه بتبنيه ان كان صحيحا ، او نستفيد منه برفضه ان كان متخلفا ، لان مقياس « الفائدة » هو صلاحية الفكر لمعالجة مشكلات واقعنا القومي ·

غير ان الدكتور عبد الله عبد الدايم قد عاد فقدم الى القارىء العربي ، ويهمنا من القراء الجيل الجديد من الشباب العربي ، «نصيحة» بان يعود الى الفيلسوف الالماني «فخته» احد المفكرين القوميين الممتازين كما وصفه · لماذا فخته ؟··

يقول : « لاننا نعتقد ان كثيرا من مبررات وجوده في عصره وفي المانيا تطرح نفسها اليوم من جديد في عصرنا وفي بلادنا العربية خاصة · ونحن من المؤمنين بأن المهـاد الفكري الذي وضعه « فخته » واستطاعوا بفضله ان يحققوا لالمانيا النهوض من كبوتها والثار لما اصابها جدير بان يتخذه المفكرون العرب متكأ ومنطلقا عميقا لانبعاث عربي » ·

التفاصيل كما يلي :

١ ـ ان الواجب ان نميز بين افكار « فخته » الاصيلة وبين الاتجاهات والمنازع التي افادت منه وحرفت كلمة من موضعه (النازية) ·

٢ ـ ان افكار « فخته » انطلقت من واقع الماني تعيس بعد هزيمتها من فرنسا وهو واقع وشيج النسب بالواقـــع العربي اليوم وبما يعاني من هزيمة ٠

٣ ـ ان شعار القومية العربية يتعرض اليوم الى محنة كبرى والى كثير من الانحسار ، بعد ان انتزعه السياسيون من المفكرين وبعد ان انكفأعنه كثير من هؤلاء المفكرين ٠٠ فلا بد له من احياء فكري وهو ما فعله « فخته » عندما اراد ان يحيي الامة الالمانية ٠

٤ ـ ان الاتجاهات التي اخذت تداخل الوجود العربي في السنوات الاخيرة والتي تحكمها روح «تنازلية» يقال عنها انها « عملية » في حاجة ان تتصدى لها رؤى فكرية كبيـــرة ونظرات قومية عميقة تكشف زيف ادعاءاتها العملية والواقعية ٠٠ وها هنا ايضا تجد افكار « فخته » مكانها الطبيعي وتبرز ردا اصيلا على مثل هذه النزعات المبررة للعجز كما كانت ايام ظهورها في القرن التاسع عشر ٠

ثم عرض الدكتور تحت ستة عناوين فرعية (١) القومية والتحديات الاستعمارية (٢) القومية والثورة الاجتماعية ٠ (٣) القومية والانسانية (٤)الروح الاقليمية (٥)القومية واللغة (٦)القومية والتربية ، « لمحات عابرة » من فكر « فخته » ٠٠ مرجعها ـ كما ذكر ـ هو كتاب « فخته » « رسائل الى الامة الالمانية » (١٨٠٨) ٠وليس الكتاب في متناول يدنا ، كل ما نعرفه عنه هو ما نقله استاذنا ساطع الحصري في كتابه « ما هي القومية » ، وانه نشر باللغة الانجليزية في شيكاغو سنة ١٩٢٢ ٠ ولما كان الدكتور عبد الله عبد الدايم قد اطلـــع

على اصوله ـ كما يفهم من مقاله ـ فلا بد لنا من ان نسلم بما نقله عنه · ما نقله عنه وليس بما فسر به ما نقل · وما نقله عنه قليل او هو مختلط بتفسيره ·

على اي حال ، فان القضيـة التي يطرحها المقـال « تتضمن » دعوة الى العدوة الى « فخته » لمواجهة تحديات الواقع العربي المعاصر · ومـا نريد ان نقوله ، تعليقا على هذا المقال ، هو ان نحذر الشباب العربي من قبول هذه الدعوة لانها لا تؤدي الى مواجهة تحديات الواقع العربي المعاصر · ويقف « فخته » وافكاره في القومية وغيـر القومية موقف المناقض « المتخلف » عن الفكر القومي التقدمي الذي تتطلبه مواجهة تحديات الواقع العربي المعاصر · ذلك الفكر الذي يعتبـر الدكتور عبدالله عبـد الدايم واحـدا مـن رواده واساتذته ·

لماذا ؟

لان « فخته » فيلسوف « مثالي » ، وقد كتب كل ما كتب من موقف مثـالي ، والمثالية ، كفلسفة ، ومنهـج ، رجعية ومناقضة لكل ما هو تقدمي في امتنا العربية · ·

مزيد من الايضاح ؟··

تكرم ·

المثالية و « فختة »

باختصار ،

يقول فولف (١٦٧٩ ـ ١٧٥٤) : « المثاليون هم الذين يقولون ان وجود الاجسام وجود مثالي ، وجود في نفوسنا نحن ، وبهذا ينكرون وجود الاجسام نفسهـا والعالم وجودا حقيقيا » · ويقول كنت (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤) : « ان المثالية هي النظرية التي تقرر ان وجود الاشياء في المكان وخارج العقل هو اما وجود مشكوك فيه وزائف او مستحيل · والاول هو قول المثالية الاجتماعية عند ديكارت الذي صرح بان مـا لا يحتمل الشك هو التقرير التجريبي اي « انا موجود » والثاني هو قول المثالية التوكيدية عند باركلي الذي اعتبر المكان وكل الاشياء التي ترتبط به بوصفه شرطا لها لا غنى عنه ، فنقول اعتبر المكان وما يرتبط به من اشياء امرا مستحيلا في ذاته وصرح لهذا بان الاشياء في المكان هي مجرد « تخيلات » ·· ثم مثالية «كنت» نفسه الذي يسميها مثالية « متعالية » التي تقول ان المكان والزمان والمقولات اطارات قبلية (سابقة) موجودة في العقل بفضلها يدرك العقل مضمون التجربة ··

هذه هي المثالية في مميزها الاساسي : انكار الواقع الموضوعي · انكار وجوده مستقلا عن الوعي · ما ندركـــه موجود وما لاندركه غير موجود · وعندما ندركه لا ندرك حقيقته الموضوعية ·انما نقيسه على صورة او مثال او اطار كامن في العقل وسابق على تجربة الادراك ذاتها · وطبقا لهذه

الفلسفة لا تكون الامة العربية ـ مثلا ـ حقيقة موضوعية الا بالنسبة لمن يعي هذه الحقيقة الموضوعية ، ويصبح المستقبل القومي كله مقصورا على «التوعية» بالامة العربية وجودا والقومية علاقة والوحدة هدفا لا اكثر · نظرية « فخته » اذ انه بالنسبة الى « فخته » لم تقف المثالية عند « كنت » · وسنحاول بقدر ما تستطيع الطاقة ان نطرح فكرته مبسطة ومختصرة ·

« فخته » فيلسوف الماني (١٧٦٢ ـ ١٨١٤) ، كان حتى السنة الاربعين من عمره تلميذا « لكنت » · كتب الى صديق له في زيوريخ عام ١٧٩٠ يقول : « لقد اسلمت نفسي كلها لدراسة فلسفة « كنت » · انها فلسفة من شانها ان تروض ملكة الخيال وتكبح جنوح الخيال عندي · انها تعطي الاهمية للعقل وترفع الروح كلها فوق كل الشؤون الادارية ، لقد اتخذت اخلاقا نبيلة بدلا من ان اتعلق بامور خارجة عن نفسي ، فاصبحت اعني اولا بذاتي ، وهذا ما اعطاني الراحة ، راحة لم اشعر بها من قبل » ·

ولكن « فخته » التلميذ لن يلبث ان يضيف الى فلسفة الاستاذ تدعيما للمثالية ·

كانت المثالية على يد « كنت » تبدأ من معطيات واقعية للشعور وتصعد عن طريق التحليل الى المثالية ، ولم يكن هذا الاسلوب قادرا على ان ينتهي الى مبدأ مثالي واحد يحكم كل شيء ، ولهذا قيل ان الكنتية تبدو منتهية الى ثنائية لا يمكن ردها الى الوحدة · فجاء « فخته » يسد هذه الثغرة في فلسفة « كنت » المثالية تحت اسم « مذهب العلم » ·

فهو يقرر اولا ، انه لكي يوجد علم لا بد من ان يوجد مبدأ واحد ثابت ثبوتا يقينيا بذاته غير متوقف على غيـره · لان كل ما يحتاج في ثبوته الى غيره لا يصلح هو لاثبات ما هو غيره·· هذهالفكرة قريبةجدا مماقال بهبعض ائمةالمسلمين (الغزالي ومحمد عبده مثلا) لاثبات وجود الله ·· ويسمونه واجب الوجـود · لكن « فخته » لم يبدأ من الله ، بل بدأ من الانسان · لهذا اتهم فترة طويلة من عمره وحوكم ، بتهمة الالحاد · المهم ان المبدأ الاول الاساسي هو « الانـا » او « الانانية » بالمعنى الذي استعمله محي الديـن بـن عربي عندما قال « الانانية قولي انا انا » · ولكن « فخته » يفهمه على وجه «فعال» فيمكن ان نقول انه العقل في حـالة فعـل او بتبسيط كبير «الوعي» ·

ولكن الوعي ، ليكون وعيا ، يتطلب موضوعا يعيـه ، وتصبح المسالة الفلسفية هي اما انه لا يوجد وعي اطلاقا واما ان يوجد وعي وموضوع معا في الذات · كيف وجد الموضوع وعلى اي شكل وباي محتوى ؟ اوجده الوعي ـ حتى يبقى موجودا ـ في شكله ومحتواه · ولكن هذا الموضـوع الذي اوجده الوعي «لذاته» ليس ناتجا عن الاحساس بشيء من الخارج · لان حتى هذه الاجساسات من انتاج الوعي باعتباره قوة فاعلة مطلقا · فالاحساس لا يتم بمجرد التلقي والانطباع بل لا بد من ان يضاف اليه قيام الذات او الانـا بفعل يحول به هذه الانطباعات الى ذاته · الالوان والاضواء مثلا ليست هي الاحساس بل لا بد ان يقوم الوعي بتحويلها بفاعليته هو الى اشياء تصبح فيه هي الاحساس · فالاحساس ليس صادرا عن اشياء موضوعية بل هو من انتاج وصنـع

الوعي .. اذا أنتج الوعي موضوعه يبدآن في التفاعل وهو تفاعل جدلي . فالوعي مطلق غير قابل للتحديد ، ولكنه وقد اوجد موضوعه قد اصبح محددا بهذا الموضوع . وهــذا يعني ان الوعي ليس هو الفاعل الوحيد بل ان الموضوع فاعل ايضا لانه يحدد الوعي ذاته ... كانت هذه النقطة تمثــل مأزق الفلسفة المثالية قبل « فخته » .الاعتراف للموضوع بعد وعيه بفاعلية تحديد الوعي ذاته بحيث تكون المحصلة انتاجا « مشتركا » بين الوعي والموضوع .. وليس انتاج الوعي وحده .. فحاول « فخته » ان يخرج المثالية مــن مأزقها . وذلك هو سبب شهرته وقيمته كفيلسوف مثالي . قال ـ ولا ادري كيف يمكن تبسيطها في الصياغة . ان ثمة نشاطا للوعي لا يعيه . فالوعي وهو يتأمل (يعي) الموضوع الذي اوجده (يتفاعل معه) يكون « غائبا » عن تأمل (وعي) ذاته وهو يتأمل موضوعه . باختصار قد يكون مخلا ـ وامري لله ـ اراد « فخته » ان يقول ان عملية التفاعل بين الوعي والموضوع هي ايضا عملية وعي وان كان غير قابل للادراك وبالتالي فــان كــل شيء في الوجود ، الوعي ، والذات ، والموضوع ، والتفاعل بين كل هذا ، وما ينتج عنه من وعي او موضوع جديد هو عملية ذهنية محضة لانه لا يوجد خارج الوعي ما يسمى واقعا موضوعيا ..

تطبيقا لهذه الفلسفة المثالية ـ كمــا نرى ـ اختــار « فختة » من كل عناصر تكوين الامة ذلك العنصر « الذاتي » وهو اللغة . فاللغة اصوات تؤدي معنى . واللغة الواحدة

تؤدي معان موحدة · وعندما تكون جماعة من الناس ذات لغة واحدة ، تكون ذات وعي موحد · وعي بوجودها اولا · ولكن الوعي لا بد له من موضوع يعيه ، وهكذا يتطلب الوعي الموحد موضوعا موحدا · والموضوع الموحد هنا هو الامة الالمانية التي لا بد ان تتوحد لتكمل الذات القومية وعيا وموضوعا · قال : ان الذين يتكلمون بلغة واحدة يكونون كلا موحدا ربطته الطبيعة بروابط متينة وان كانت غير مرئية ؟ ··

المهم ، ان مثالية « فخته » قد حالت دون ان يدخل في تكوين الامة وحدة الارض مثلا ، وحدة التاريخ مثلا اخر ، وحدة المصير مثلا ثالثا ،وحدة الحضارة مثلا رابعا ، وحدة المصالح الاقتصادية مثلا خامسا ، وحدة الشعور بالانتماء مثلا سادسا ·· وما الى هذا مما اختار منه المفكرون القوميون ما ارضاهم في كل امة على حدة · لانه لو اختار ايا من كل هذا لكان عليه ان يتنازل عن مثاليته ليعترف بان ثمة وجودا موضوعيا خارج الذات وغير متوقف على الوعي ·

لذا نجد القومية عند فخته « سلبية » ، وان اصبحت القومية عند فخته مفرغة « كما نقول اليوم » من اي ايجابية فهي « دفاعية » ·· ومرجعنا في هذا الى الامثلة التي ضربها الدكتور عبد الله عبد الدايم في مقاله لاننا نسلم بما نقله عن المصدر الذي نفتقده وانما نختلف في تفسيره ·

١) القومية والتحديات الاستعمارية : هذا واضح انها القومية في حالة دفاع ضد عدوان خارجي ·

٢) القومية والثورة الاجتماعية : يبشر فيها فخته بمبادىء الثورة الفرنسية نفسها التي يرى نابليون قد اجهضها . هذا واضح ايضا لان مبادىء الثورة الفرنسية هي « الليبرالية » حيث يجب على كل الدولة - والدولة القومية ايضا عند فخته - ان تطلق الحريات ولا تتدخل لا في الحياة الاجتماعية ولا في الحياة السياسية تبعا لشعارها « دعه يعمل دعه يمر » .

٣) القومية والانسانية : الدكتور نفسه يرد عليها . يقول ان فخته يرى « ان الالمان ليسوا اصفى عرقا من سواهم » مفهوم لان فخته لا يعتمد العرق عنصرا من عناصر الامة او القومية . ثم يضيف ان فخته يرى :« مصدر تفوقهم يكمن فقط في انهم احتفظوا بلغتهم (لم يتبنوا لغات لاتينية محلية كما فعل سواهم في اوروبا) وانهم اقاموا تعادلا بين عرقهم ولغتهم » .. وهذا هو المقتل . لان فخته المثالي قد اختار اللغة مقياسا للتكوين القومي ما كان يستطيع ان ينسب التفوق الالماني الا الى التفوق اللغوي . ففضل اللغة الالمانية على غيرها ليفسح المجال لتفوق الامة الالمانية على غيرها ، وادان - على وجه خاص - اللغة الفرنسية . لغة الامة التي كانت تصارع المانيا . على اية حال لا يهم مقياس التفوق عند فخته المهم ان «المفكر القومي» فخته طرح مسألة التفوق القومي . تفوق امة على امة ، لا في البناء والتقدم ولكن لأنه في ذات تكوينها عناصر التفوق . وهو اللغة عند فخته . يقول الدكتور عبد الله عبد الدايم : « والقومية الالمانية عنده (فخته) قومية محورها خلق وجود انساني موحد وكل ما هنالك ان المانيا هي التي

تقود مثل هذه الدعوة الانسانية » · لماذا المانيـــا بالذات ؟
« بحكم ايمانها بها واستعداد الشعب لها وبسبب لغتهـــــا
التي تحمل طابعا انسانيا » · لا يمكن ان يفلت من فطنــــة
الدكتور عبد الله عبد الدايم ما تعنيه كلمات « استعـــداد
الشعب ولغته « الانسانية » مــن مضاميــن صريحــة تبــرر
كل ما قالته وفعلته النازية ، وما تردده الصهيونية الان من
ان اليهود هم « شعب الله المختار » ·· ولا يمكن ان يفلت
من انتباه اي قارىء ان ذلك الفكر العنصري ضيق الافــق
يناقض بل يعادي كل ما هو انساني ، ويعادي بالذات مفهوم
« الانسانية » عند الدكتور عبد الله عبد الدايم كما نعرفه من
كتاباته السابقة ·

٤) الروح الاقليمية : هذا واضح فانها القومية فــي
حالة دفاع ضد عدوان داخلي ·

٥) القومية واللغة : سبق ان اوضحنا تفسيرنا لهذا
الاتجاه في ضوء فلسفة فخته التي حصرته في اللغــة واذا
كان فخته قد قال : « واللغة الفرنسية لغة خائنة » · خائنة
للقومية الفرنسية ولا تستطيع ان تولد فلسفـــة او ادبا او
شعرا حقيقيا فقد اعتذر الدكتور عبد الله عبد الدايم عــن
فخته عندما قال « في ذلك الحين » · الدليل على الخط انها
لم تخن حتى بعد ذلك الحين ·

٦) القومية والتربية : هذا واضح ايضـــا ، فحيث
يذهب المذهب الى ان كل شيء متوقف على الوعي وحـــده
تكون التربية هي الوسيلة « الوحيدة » لفعل اي شيء ·

الاهم ـ ربما ـ من كل هذا ، ان المثالية قد انتجت ـ على يد فخته وامثاله من المثاليين ـ فكرا قوميا « ليبراليـا » هو ذات الفكر القومي الذي ساد في القرن التاسع عشـر وما بعده بقليل . والذي قال عنه الدكتور عبد الله عبـد الدايم انه فكر مختلف . والفكر الليبرالي الذي هو الاساس النظري للراسمالية . ومع ان هذا الفكر الليبرالي ذاتـه قد حقق انتصارا كبيرا للحريات في اوروبا واسقط الاقطـاع ودافع عن الوجود القومي ضد العدوان الخارجي والتجزئة الداخلية الا انه هو ذاته قد اقام بناء الدولة القومية عـلى اسس راسمالية . وسينتظر التاريخ قرنا بعد فختة ليثبت امرين ، وبهما يثبت امرا ثالثا . الامر الاول : ان النظـام الراسمالي يجهض الان حركة الوحـدة القومية اذ انه يضـع الامة في قبضة اقلية من شعبها فيحرم الشعب من ايـة مكاسب كان يربطها بوحدته القومية . الراسمالية تغتـال الوحدة بعد ان تتحقق . الامر الثاني : ان النظام الراسمالي في نموه طبقا لقوانينه (الحصول على الارباح) لن يتوقف عند حدوده القومية . لن يكفيه ان يغتال الامة التي نشأ فيها بل لا بد له من ان يبحث عن الارباح في امم اخرى . لا بـد له من ان يتحول الى عدوان . وعندما يكون منطلقا من دولة قومية واحدة سيستعملها بكل قواها لفرض ارادته خـارج حدودها فتحمل القومية ودعوتها وحركتها مسالب العدوان الراسمالي ، فتفسح المجال لاتهام القومية بأنها عدوانية . ولقد دافع الدكتور عبد الله عبد الدايم دفاعا مجيـدا عن القومية العربية ضد هذا الاتهام في كتابه الذي اشرنا اليه .

ليس دفاعا مجيدا فقط بل دفاعا صحيحـــــا لانه « في ذلك الحين » ركز على تبرئة الفكر القومي العربي من اية نسبة الى الافكار التي سادت في القرن التاسع عشر • ومن بين تلك الافكار ـ كما نعرف ـ افكار السيـــد فختـــه • الامر الثالث : ان الراسماليـــة معادية للقومية وهو حصيلـــة الامرين • معادية للقومية في هذا العصر عامة وللقوميـــة العربية على وجه الخصوص •

اذن ،

فان الدعوة الى الرجوع الى فختـــه لا تتضمن فقط العودة الى فكر بالغ الصلابة في الدفاع عن الوجود القومي ضد ما يهدده من الخارج وما يجزئه من الداخل • ولكنـــه يتضمن ـ ولاحيلة لنا فيهذا ـ العودة الى الرأسمالية نظاما والليبرالية منهاجا والمثالية فلسفة • وكل هذا يعني عودة الحركة العربية القومية ـ ناكصة ـ عن طريق الوحـــــدة الاشتراكية متنازلة عما قطعته على ذلك الطريق مهما كان ما قطعته قليلا ••

هل يعني الدكتور عبد الله عبد الدايم هذا ؟••

ابدا • قطعا • فما زلنا نتابع كتاباته ومواقفه ••

لماذا اختار اذن « فخته » ••

الالم العظيم :

ان الانطباع الذي تركه المقال في نفسي هو ان الدكتور عبد الله عبد الدايم يعاني ـ بشكل حـــــاد ـ المرارة التي

تسمم ـ الان ـ حياة كل القوميين وهم يرون امتهم تندفع مترديه الى كل ما يناقض وجودها واصالتها وتاريخها ووحدتها ومستقبلها ·· وهو هو الذي كتب في السنين المجيدة ١٩٥٨ ـ ١٩٦١ يقول : « لقد بلغت البلاد العربية حدا كبيرا من الوعي والادراك لم تعد في حاجة الى طليعة ملهمة بقدر حاجتها الى طليعة منظمة للالهام · ان على هذه الطليعة ان تدرك انها تعيش في غير زمانها ، وتتأخر عن الركب ، اذا حسبت انها ما تزال في طور بث الشعور واذكاء الروح · فالشعور قد بعث الى حد كبير وهو يملك على اية حال القوة اللازمة لاتمام انعاشه » ·

ان رؤية الصرح ينهد وقد عاصر بناءه ، حملته على ان يطلق صرخة مشروعة · مشروعة انسانيا · ان مقال الدكتور عبد الله عبد الدايم هو صرخة تقول : « يا ايها الشباب العربي انقذوا امتكم ولو على طريقة فختة » · المقصود الاساسي هو الدعوة الى الانقاذ · وليس المقصود ـ كما نعتقد ـ هو العودة الى فخته · وان للانقاذ لافكارا واساليب ليس من بينها ـ على وجه القطع ـ افكار فخته واساليب بسمارك · المهم ، انها صرخة لا بد للشباب العربي من ان يستمع اليها ويستجيب لانها صادرة لا من كاتب ولكن من استاذ ·

وشكرا للدكتور عبد الله عبد الدايم على ان رفع الحوار الى المستوى الذي نتمنى ان يسود صفحات « الشورى » في عامها الجديد ··

عود على بدء :

والعودة على البدء هنا نعني العودة الى الغضب ٠ العودة الى شعور اثاره فينا عبد الله بلال وافلتنا منه على يدي الدكتور عبد الله عبد الدايم وها نحن نعود اليه – مخففا – ونحن نقرأ باقي ملف « الشورى » عن الوحدة مقالا بقلم الاخ محمد الخولي عن تجربة وحدة ١٩٥٨ ٠

قرأت من البداية :

« قد تتعدد المدارس التي نأخذ بها او التي ندعها جانبا في مجال الفكر القومي او الحركة الوحدوية ٠ قد نرفض مثلا نظرية (جوبينو) في وحدة العرق والسلالة ٠ وقد نأخذ مثلا نظرية (فخته) في اهمية اللغة كمقوم للكيان القومي ٠ وقد نوافق (رينان) الى حد من الحدود وقد نسير مع (ساطع الحصري) اشواطا بعيدة ٠٠٠ ولكن ثمة رأيا اثبته مفكر سياسي هو (رانجول) يحوي على بساطته دلالة هامة بالنسبة للفكر القومي والحركة الوحدوية العربية على وجه الخصوص ٠٠٠ ان القومية حس جماعي ٠ ولكي يبلغ هذا الحس الجماعي القومي مرتبته العليا ، ويستوفي شكله الكامل ، يجب ان تنتظر الجماعة خطرا مشتركا ٠ ان القومية لا تسير سيرها العادي ولا تبلغ وعيها العميق لذاتها ولا تتوهج في الاعراق ٠٠ الا اذا تعرضت لخطر مفاجيء ٠٠٠ »

صدقوا او لا تصدقوا انني لم استطع ان اقرأ بعد هذه الفقرة شيئا ٠٠ شيء غامض اوقف انتباهي عندها ،

واحسست بقلق واضطراب ونوع من الحذر الفطري الـذي يستشعر خطرا لا يعرف مصدره · شدني اليها ما يشبـه « الالهام » بأن وراءها ما يخيف · فلما عدت الى مـراجعي تبينت صدقه · وتبينت ان الاخ محمد الخولي ليس مسـؤولا عنه الا في حدود ·· ولكنها حدود كافية لوضع كلمـــات الاخ محمد الخولي على سفود ذي نار متأججة لانه يسأل بقدر خبرته الفكرية وهي خبرة غنية · وبقدر ولائه القومي وهو ولاء ثابت · وبقدر تجاربه في النضال الوحدوي · وقد كان في خضم التجربة التي يتحدث عنها ·· ان هذه الفقرة لا يمكن ان تقبل من محمد الخولي حتى لو كان المسؤول عن تسريبها الى الكتابات العربية شخص غيره ··

هل استمر ؟

دعونا نكسر حدة الانفعال بالحديث في موضوع اخر ثم نعود ·· وحديثنـــا ـ المتاح ـ عن « الالهـــام » العلم والنذير الذي لم يكتشف العلم ـ حتى الان ـ سببا له ·

عن الالهـــام :

الالهام هو المعرفة عن غير طريق الحواس والعقل · نحن نسمع · نحن نرى · نحن نشم · نحن نلمس · نحـن نذوق · فنعرف المفردات بخواصها الحسية · ثم نـــدرك فنعرف بالعقل العلاقات بين المفردات ونصعد الى المعرفـة الكلية او المجردة · ثم نعود فنستنبط مما عرفناه مجـــردا معرفة جديدة بمفردات لم نحسها من قبل · تلك هي جدلية المعرفة · من الواقع الى الفكر الى الواقع · ويتقدم الانسان ·

المهم ان تلك هي الوسائل الثابتة بالتجربة والاختبار للمعرفة الانسانية · غير انه من المسلم ان الانسان ، في بعض الاوقات ، يعرف « اشياء » معرفة مباشرة لا تمر بواحدة من تلك الوسائل الست : السمع والبصر والشم واللمس والذوق والادراك العقلي · ويصدق هذا على الرجال كما يصدق على الاطفال ولعل معرفة الاطفال ما لا يمكن ان يتفق مع خبرتهم الحسية المحدودة ، ومقدرتهم العقلية القاصرة ، كان من اهم الادلة على وجود المصدر المباشر للمعرفة غير المتوقفة على الحواس او الادراك · نقول من أهم الادلة لان اهمها اطلاقا هو « معرفة » الحيوان · نعم ، فمن العجيب ان تلك الوسيلة الخفية للمعرفة هو الوسيلة الرئيسية التي تتحكم في سلوك الحيوان ·

نبدأ بالحيوان ·

تقول الفيلسوفة بول برنتون :

« ان ثمة شيئا ضمن عقل الانسان والحيوان لا هو بالعقل ولا بالشعور · بل اعمق من كليهما · يمكن ان يكون وصف الالهام ملائما له · وعندما يتمكن العلم من ان يفسر حقيقة كيف يمكن للحصان ان يتعرف طريقه حاملا فارسه مخمورا لمسافة اميال خلال الظلام حتى يصل به الى المنزل، وكيف يتأتى لجرذان الحقول ان تحفر خنادقها قبل مجيء الطقس البارد ، وكيف تتجه الخراف للاحتماء بجانب الجبل قبل ان تهب العاصفة ، وما الذي ينذر السلحفاة بنزول المطر قبل نزوله حتى تنسحب للاحتماء في مخبئها ، وما

الذي يقود النسر لاميال عديدة حيث توجد جثة حيوان ميت .. الخ » . الى ان يتمكن العلم من تفسير ذلك علينا ان نتعلم ان الالهام قد يكون احيانا مرشدا افضل من الذكاء . ان العلم قد امكنه ان ينتزع من مخالب الطبيعة بعض الاسرار المذهلة ولكنه لم يكتشف بعد مصدر الالهام » .

ثم الاطفال :

فنقول نحن : الى ان يثبت العلم كيف استطاع موزار ان يعزف « البيان » في السادسة من عمره على نحو اذهل كبار الموسيقيين في عصره ، وكيف بدأ رامبرانت يرسم بمهارة فذة قبل ان يتعلم القراءة ، وكيف ألف باسكال مؤلفه العظيم « مفصل الاشياء المخروطية » وهو في السادسة من عمره ، وكيف تعلم يونج القراءة وهو في الثالثة من عمره واتقن ست لغات قبل ان يدرك التاسعة وكيف استطاع جون ستيوارت من ان يستوعب كل مكان يدرس في جامعات انجلترا وكان يعطي « الاطفال » الاخرين دروسا في اللاتينية والادب اليوناني وهو في سن الثامنة.. الى ان يتمكن العلم من تفسير كل هذا علينا ان نتعلم الالهام وسيلة معرفة لا تتوقف على خبرة الحواس ، ومدارك العقل .

ثم الكبار :

١) يسالونني لماذا اشغل نفسي بالمسائل العامة . انما يدفعني الى ذلك صوت من الابدية كائن في . وقد سمعته لاول مرة منذ ان كنت طفلا صغيرا . (سقراط) » .

٢) «انا لا افعل شيئا لكني اسمع ما يلقى الي فانقلـه كأن انسانا مجهولا يناجيني في اذني (الفريد دي موسيه)»

٣) « لقد كتبت رواية آلام فرتر غير واع تقريبا حتى لتأخذني الدهشة عندما اقرأها » (جوته) ٠

٤) « ان ارائي الفلسفية جاءت الي بدون تدخل مني في اللحظات التي كانت فيها ارادتي شبه نائمة» (شوبنهور) ٠

٥) « كان ينطق بقصائده الطويلة وهو في غيبوبة كاملة » (مؤرخ للشاعر الصوفي ابن الفارض) ٠

... ٠٠٠٠ الى اخره ٠

لهـذه الظاهرة تفسيران اساسيان ٠ احدهما صوفي والاخر روحي ٠

الكشف الصوفي :

١ ـ يقول الامام الغزالي :

« لو فرضنا حوضا محفورا في الارض ، احتمل ان يساق اليه الماء من فوقه بانهار تقع فيه ويحتمل ان يحفـر اسفل الحوض ، ويرفع منه التراب الى ما يقرب من مستقر الماء الصافي فيتفجر الماء من اسفل الحوض ويكون ذلك الماء اصفى وادوم وقد يكون اغزر واكثر ٠

« فذلك القلب مثل الحوض ٠ والعلم مثل الماء ٠ وتكون الحواس الخمس مثل الانهار ٠

« وقد يمكن ان تساق العلوم الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلىء علما · ويمكن ان تسد هذه الانهار بالخلوة والعزلة ، وغض البصر ، ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تتفجر ينابيع العلم من داخله ·

ب ـ وقال محي الدين بن العربي :

«اذا صفى العبد من كدرات البشرية وتطهر من الادناس البشرية اطلع الحق سبحانه وتعالى اطلاعة يهبه فيها ما يشاء من علم الغيب بغير واسطة ··· ذلك هو الكشف · التفسير الصوفي للالهام ·
بالرياضة الروحية والبدنية يرق الحجاب بين الانسان وخالقه حتى يزول فيتلقى الانسان المعرفة تلقيا مباشراً من الله بدون واسطة من الحواس او العقل » ·

الوساطة الروحية :

١ ـ في جلسة روحية تمت داخل « الكلية البريطانية للعلم الروحي » ، صرحت روح الشاعر الاغريقي يوربيدس بانها كانت تلهم شكسبير الشعر · وظلت هذه الواقعة محفوظة لم تعلن لانسان اكثر من سنتين · ولم يعلق عليها احد من الباحثين اية اهمية الى ان نشر جورج برنارد شو ، الشاعر والاديب الايرلندي ، بحثا عن شعر شكسبير اثبت فيه انه كان ناقلا عن شاعر الاغريق القديم · وانه كان متاثرا بشعره الى حد صارخ ، وساق في بحثه شواهد جمة مقارنة بين شعر شكسبير وشعر يوربيدس لتأييد نظريته ·

ب ـ في مصر سيدة فاضلة لم تحصل من التعليم الا قسطه الادنى (شهادة ابتدائية عام ١٩١٤ نظام انجليزي) ولا تعرف من اللغة العربية الا لهجتها الدارجة في القاهرة ٠٠ بدأت منذ ١٩٥٢ تتلو ـ في جلسات روحية ـ وهي في حالة غيبوبة شعرا تلهمها اياه ـ كما يقولون ـ روح الشاعر العظيم احمد شوقي ٠ من حيث لغة الشعر واسلوبه ورصانته لا يخطىء احد في التعرف على احمد شوقي في ابياته ٠ من حيث قصة الالهام فهذه هي المسالة ٠ قالت السيدة :

يــا غافليــن عــن الخـلود وملكه
مــا العيـش في الدنيـا مـآل يختـم
فابغوا الرجـــاء عـلى امتداد نوالكم
في الخــلد اذ يبقى الفعـال القيـم
فهنـــاك في اوج العــــلا رغيبـــة
هي كـــل مــا وهب الالــه الاكـرم
ونوالهـا وقـف عـلى مـــن ايقنـوا
كنــه الخلـود فايـدوا واسترحمـــوا
والله اعلم ٠٠ ثم نعود الى محمد الخولي ٠

الخطا الخطر :

ببساطة شديـدة ، اذا كـانت الامــة وجودا اجتماعيا موضوعيا نشأ تاريخيا فان للقوميــة عـلاقة انتمـاء بهـا ، موضوعية وتاريخية ايضا ، ويكون وجودها او عدم وجودها غير متوقف على وعينا ٠ اذا لم ندرك الامة وعلاقتنا بها فهي موجودة والعيب في وعينا ٠ اذا وعينـا ذلك الوجود فقـد

وعينا معه علاقتنا بامتنا اي وعينا « قوميتنا » ٠ اذن لدينا الامــة ظاهرة موضوعية ٠ علاقتنا بهــا ظاهرة موضوعية ايضا ٠ وعينا هذه العلاقة عنصر ذاتي قد يتوفر في بعضنا وقد لا يتوفر ولكنه لا يؤثر وجودا وعدما لا في الامة ولا في القومية ٠ انما يؤثر في « الحركة القومية» ٠ وتأخذ الحركة القومية شكلين ٠ شكلا ايجابيا وهو الاصل ٠ ونعني به بناء الحياة فكريا واقتصاديا واجتماعيا وسياسيا عــلى اسس قومية ٠ التقدم من الواقع القومي ٠ هذا هو الاصل فــي الحركة القومية ٠ وهي لانها حركة بناء فهي حركة هادئــة ولا تحتاج لكل الصخب والعنف والعراك الذي تأخذه الحركة القومية شكلا جديدا عندما يتهددها الخطــر ٠ عندئــذ ــ في حالة الخطر ــ تتالق الحركة القومية وتعنف بقدر عنف الخطر الذي يتهددها ٠ وتكون غاية الحركة القومية انهــاء هــذا الخطر بتصفية مصدره لتعود الى سياقها القومي الاصيل ، بناء حيا ةافضــل للبشــر فيهــا بــدون صخب او عنف او عراك او عداء ٠

ثم تاتي النظريات ٠

منها ما يبدأ بالعنصر الموضوعي ٠ اي يبدأ بحثه في القومية من موضوعها « الامة » او احد عناصر هذاالموضوع (اللغة ــ الارض ــ التاريخ ٠٠ الخ) ٠ ومنهــا نظريات فخته الالماني واجتهــادات ساطع الحصري العــربي وكثيرين غيرهما ٠ قد يصيب بعضهم او يخطيء في الاحاطة بالظاهرة الاجتماعية الموضوعية « الامة » ولكنهــا دراسة تبدأ مــن المنطلق الصحيح ٠ فعندما يثبت ان ثمة امة ، يثبت ان ثمــة

قومية ، ثم ننتقل بعد هذا لنعرف مــدى وعي الشعب بقوميته ومدى استعداده لترجمة هذا الوعي في حركة قومية • حركة بناء في الاصل وحركة دفاع عن الخطر •••

ومن النظريات مـــا يبدأ بالعنصر الذاتي • يفتش في افكار الناس ، ووعيهم ، عن الامة • وقد يصل ـ برغم خطأ المنطلق ـ الى اكتشاف الامة فيوعي الناس، الشعور بالانتماء فالانتماء القومي ، فالامة كواقع موضوعي • غيــر ان هــذا الطريق الخاطيء كما يتضمن امكانيات الوصول الى الحقيقة يتضمن امكانيات تزييفها • الواقـــع الموضوعي غير قابــل للتزييف والافكار قابلة تماما للتزييف خاصة اذا كانت قــوى التزييف منظمة •• من تلك النظريات ما قاله رينان الفرنسي• كان رينان ، في نظريته عن القومية ، يريد ان يخدم غايـــة سياسية • كانت الالزاس واللورين وهما جزءان مــن الامــة الفرنسية تحت الاحتــلال الالماني ، وكانت فرنسا تسعى الى استعادتهما عن طريق الاستفتاء ، فانطلق رينان يعلق القومية على وعي الناس لها وارادتهم اياهــا •• كانت النتيجة في خلفية ذهنية مضمونة •• ولكن لماذا كــانت مضمونة ؟ لا لأن سكان الالزاس واللورين « يريدون » الانضمـــــام الى فرنسا الدولة ، ولكن لانهم كانوا اصلا جزءا من امة فرنسية مكتملة التكوين • كانت ارادتهم تعبيرا عن وعي بوجود قومي سابق على تلك الارادة وسابق على الاحتلال الالماني • وكان خطــأ رينان انه اقام نظريته على فروع الشجرة القومية ، قاطعــا الصلة بين ثبات الفروع وعمق الجذور •

اما عن الخطر الكامن في هذه النظرة الخاطئة فلهنماذج عدة ، اهمها واخطرها هو الصهيونية • فاليهود بشر يؤمنون بدين معين ، ولكنهم ينتمون الى امم شتى • واهم ما يفتقدونه ليكونوا امة ، هـــو عنصر الارض الخاصة بهم والتفاعـل التاريخي بينهم وبين تلك الارض الذي ينتج حضارة خاصة• ولكن الصهيونية كحركة من افرازات الرأسمالية الاوروبيـــة وفي خدمتها ، تريد ان تكسب ارضا باسم القومية ، فطرحت اليهود كأمة • اين الارض وتاريخكم معها ؟•• لا يهـم • ان وجود الامة غير متوقف على الارض وعلى التفاعل معها ؟•• ماذا عندكم اذن يجمع بينكم ؟•• وحدة الشعور بالخطر • ان ذلـــك هو العنصر الاساسي في القوميـــة ؟•• واين مصدر الخطر ؟•• كراهية الناس لنا •••

هذه هي النظرية الصهيونية في القومية •

ونحن لا نرفضها لانها نظرية صهيونية، بل نرفضها اولا لانها خاطئة ثم لانها خاطئة يكون استدراجنا اليهـا خطرا • ان المبدأ الاساسي لكل حركة قومية ، ومنها الحركة القوميـــة العربية ، هي ان تكون لكل امة واحدة دولة واحدة • ممارسة هذا المبدأ في الواقع تتوقف على فهمنا لظاهرة الامة والقومية• ويوم ان نقع في الخطأ العلمي ونعترف ولـــو ضمنـــا بان « القومية حس جماعي كامل ، ولكي يبلغ هذا الحس الجماعي القومي مرتبته العليا ، ويستوفي شكله الكامـــل ، يجب ان تنتظر الجماعة خطرا مشتركا • ان القومية لا تسير سيرهـــا العادي ولا تبلغ وعيها العميق لذاتها ولا تتوهج في الاعراق الا اذا تعرضت لخطر مفاجىء » ، وهي الفقرة التي اوردها

الاخ محمد الخولي واسندها الى رانجـــول نكون قــد قبلنا النظرية الذاتية في الامة والقومية ، فيكون علينا ان نعترف بأن اليهود أمة ، ثم يكون علينا ان نقر لهم بحق في ان تكون لهم دولة واحدة · وتلك منزلقات تبدأ بالخطأ وتنتهي بالخطر· لهذا كنت اتمنى الا يذكر استاذ كبير في الفكـــر القومي هو الدكتور عبد الله عبد الدايـم في مقالـــه المنشور في العدد الحادي عشر من «الشورى» بعنوان « من فخته الى القـومية العربية » ·· اقول كنت اتمنى الا يتضمن مقاله تلك الجملة التي يقول فيها :

« فترة تناضل فيها الامة ضد شكل جديد وخطير مــن اشكال العودة الى القومية المتحكمة المسيطرة على نحو مــا نجد في فلسفة الكيان الصهيوني · »

ان مثل هذا النص قد يعني الاعتراف بان الصهيونيــة قومية ولو وصفت بانها « متحكمة ومسيطرة » فيبدأ بها المنزلق الخطـأ الى الموقف الخطر · ولا شـــك في ان استاذا خبيرا بالفكر القومي ومدارسه مثـــل الدكتور عبد الله عبد الدايم يعرف انه لا يمكن ان تكون لنا ــ نحن العرب ــ نظريتان في القومية ، احداهما نطبقها على موقفنا من قضيتنا والاخرى نطبقها على قضايا الاخرين ، واننـــا يجب في كل حالة ان نطبق نظريتنا وحدها · نطبقها على موقفنا وموقف الاخرين · وان اية نظرية في القوميــة تساوي بين الوجـــود العربــي والوجود الصهيوني في القومية لا بد مــن ان تلزمنا مواقف لا تتفق مع نظريتنا واهدافنا ·

ليس هذا هو كل ما في الامر ·

في الامر امور اخرى ليست اقل خطرا من ترويج الفكر الخاطىء · انه الموقف من هدف الوحدة · اننا اذ ننطلق من موقف ذاتي في الرؤية القومية (الشعور بالانتماء · الحس الجماعي · الوعي الشعبي ·· الخ) نكـون ملزمين بان نستفتي في الوحدة كل فرد عربي · نستفتيه اولا فيما اذا كان يعي ام لا يعي الوجود القومي · نستفتيه ثانيا فيما اذا كان يقبل العلاقة القومية ام لا يقبل ·· قبل ان نستفتيه فيما اذا كان يريد الوحدة ام لا يريد · ويكون علينا اذا اسفر الاستفتاء الاول عن فقر في الوعي ان نقول : لسنا امة عربية وان اسفر الاستفتاء الثاني عنرفض القومية ان نلغي العلاقة الموضوعية بين امتنا وبيننا · والغاء ماهو موضوعي مستحيل فالاستفتاء عليه عبث · ثـم ان نعلق الوحـدة التي هي مجرد تجسيد سياسي لواقع قومي موضوعي على آراء اعداء الوحدة او المستفيدين بالتجزئة ··

وغير هذا كثير من الاخطاء والمخاطر ·

والواقع انني عندما قرأت الفقرة التي ذكرتها شعـرت بانني التقيت بها او بمثلها في مكان ما وزمان لا اذكره فلـم يكن توقفي الهاما صوفيا او روحيا · الا اذا اخذنـا بتفسير الامور للالهام بانه الظهـور المفاجىء لمعرفة قديمـة كامنة ومختزنة ومنسية · وبدأ البحث ·

الاخ محمد الخولي يحيل الى كتـاب « هذه قوميتنا » تأليف الاستاذ عبد الرحمن البزاز · نعم الفقرة منقولة مـن هناك · يفتتح بها عبد الرحمن البزاز الفصـل التاسع مـن كتابه · ولكنه ينسبها الى زانجـول وليس رانجول ، وهو لا شك خطأ مطبعي مـن « الشورى » · ولكنه لا ينسبهـا الى مرجع · فمن هوهذا الكاتب السياسي كما اسماه عبد الرحمن

البزاز ، والمفكر السياسي كما اسماه محمد الخولي ٠
تقول مراجعنا :

اسرائيل زانجول :

كاتب يهودي ولد في لندن يوم ١٤ فبراير ١٨٦٤ وتوفي يـــوم اول اغسطس ١٩٢٦ درس اولا في المدرسة اليهودية المجانية (مؤسسة صهيونية) ثم اصبح مدرسا فيها ثم اصبح صحفيا الف ثلاث روايات خدمة للصهيونية ٠ اطفال الجيتو (١٨٩٢) ومآسي الجيتو (١٨٩٣) واحلام الجيتو (١٨٩٨) ثم الف اربع مسرحيات لذات الغرض : ماري آن (١٩٠٣) مال اكثر مما يلزم (١٩١٨) انــاء الصهر (١٩٠٨) اله الحرب (١٩١١) ٠ وشغل منصب « رئيس منظمة توطين اليهود » ٠ هذا هو زانجول الذي ولد صهيونيا ومات صهيونياً . والذي يقول محمد الخولي ان رايه « يحوي على بساطته دلالة هامة بالنسبة للفكر القومي والحركـة الوحدوية العربية على وجه الخصوص » ٠

ولكننا قلنا ان محمد الخولي ليس مسئولا الا مسئولية محدودة ٠

المسئول الاول ، الاساسي ، هو مؤلــــف كتاب « هــذه قوميتنا » ، الذي لم يكلف نفسه حتى عناء ذكر المرجع الذي تعرف فيه على اسرائيل زانجول ٠

الا يكفي كل هذا سببا لافساد غبطة الاحتفـــال المرح بالعيد الاول « للشورى » ؟٠٠

يكفي واكثر ٠

افسدتم عيد الشورى ٠٠ سامحكم الله ٠٠

وبرغم كل شيء ٠٠٠ كل عام وانتم جميعا بخير ٠٠

القاهرة في ٢ مارس ١٩٧٥

١١

التصحيح الذاتي :

« التصحيح الذاتي » اجتهـــاد في ترجمـــة كلمـــة Automation • وهي كلمة استعملت لاول مرة عام ١٩٣٦ لتعني تزويد ادوات الانتاج آليا باحتياجاتها في كل مرحلة من مراحل الانتاج • هذا المفهوم تجـــاوزه تطور العلم الحديث فاضاف اليـــه لاندون جودمـــان سنة ١٩٥٦ مـــا يعبر عن استعمالاته التي تنوعت وشملت اوجهـــا كثيرة من النشاط الصناعي والتنظيمي • اضاف اليه «علم التصحيح الذاتي» • بمعنى ان تتولى الالة ضبط حركتها وتصحيح ما قد يعترضها من عوامل الخلل لتظل دائما في الوضع الصحيح وذلك عن طريق اجهزة اضافية ملحقة بها تراقب وتصحح بدون تدخل من الانسان • ويمكن فهم هذه العملية بسهولة اذا تذكرنـــا ابسط صورها : الثلاجة الكهربائية» • ففي الثلاجة جهـــاز حســـاس يسمى « الترموستات » ، مهمتـــه مراقبـــة درجة الحرارة ، او درجـــة البرودة على الاصح ، بحيث لا تتجاوز زيادة او نقصا درجة معينة • فعندما تزيد درجة البرودة عما يلـــزم يتولى الترموستات ــ اليا ــ قطع التيـــار الكهربائي فيتوقف جهاز التبريد وتبدأ الحرارة في الارتفاع بفعل تأثير المناخ الطبيعي ، الى ان تصل الى تلك الدرجة المعينة سلفا ،

« فيحسها » الترموستات ، فيعيد وصل التيار الكهربائي ويبدأ الجهاز في التبريد •• وهكذا دواليك •

كما لو كانت «الشورى» قد بلغت حد الاتقان فهي تصحح ذاتها • هو حلم فقد جاء التصحيح صدفة • اصاب اتصالات « الشورى » خلل فلم يصلها نقد العدد العاشر الذي كان ظهوره متوقعا في العدد الثاني عشر • نقد العدد العاشر هو نقد العدد الحاضر • هو مرتبط بالموضوعات التي نشرت فيه • كانت جلها عن الناصرية وعبد الناصر • فكان من شأن الخلل الذي قطع اتصالات « الشورى » ان يغيب عن القراء ما كتبه ابوذر وشكواه الى الله مما كتب وما لم يكتب ، في العدد العاشر •

قلنا جاء التصحيح صدفة •

العدد الثاني عشر الذي نعلق عليه الان اتى عامرا بالحديث عن عبد الناصر والناصرية • اربع مقالات كاملة عن الموضوع ذاته وما يزال الموضوع ذاته في حاجة الى ما لم يكتبه الكاتبون لا في العدد العاشر ولا في العدد الثاني عشر • كأن العدد الثاني عشر يقول لابي ذر ، لا عليك فهاهنا على صفحاتي احمل اليك بديلا عن العدد العاشر فانظر هل ما يزال نقدك هو نقدك فينشر • اقول ما يزال ولكن ليس تماما • ولكن ما فيه يكفي لنشر النقد الذي كاد يغيب • وهكذا صححت « الشورى » خلل « الشورى » • صدفة • ولكني لست واثقا تماما من ان التصحيح كان كله صدفة

هل كان صدفة مثلا ان ينشر الجزء الثاني منمقال « الناصرية ثورة مستمرة » الذي كتبه الاخ ايـــاد سعيد ثابت في العدد الثاني عشر تحديدا ٠ صدفة او لا صدفة انه تصحيـح ذاتي آخر ٠ ان ما كتبه الاخ اياد في العدد الثاني عشـر جـــاء تصحيحا للجزء الاول منه الذي نشر في العـدد العـاشر ٠ تصحيح عن طريق الاكمال ٠ الان عرفنا ما يريد ان يقول ٠ فلعل قراء «الشورى» ان يكونوا محتفظين بالاعداد ليعيدوا قراءة «الناصرية ثورة مستمرة» قراءة كاملة ٠٠ حتى لا يظلم احد اياد سعيد ثابت ٠٠ ولا يظلم احد ابا ذر عندما تستفزه الكتابات المبتورة ٠٠

الهي ،

اني اسحب شكواي فيما يخص اياد سعيد ثابت ٠٠٠ مؤقتا !!

النقـــد ٠٠٠ :

قال رئيس التحرير الاخ جمعة المهدي الفزاني في آخر مقاله الذي قدمه الى القراء على مدى عام كمـا تقدم الادوية المرة : قطرة قطر ة٠ او حبة حبة ٠ قال :

«والشورى» اذ تختتم سنتها الاولى ، تأمل من قرائهـا الوقوف معهـا وقفة موضوعية ندرس فيهـــا جميعا ، مسار الشورى خلال سنتها الاولى ، ومدى التزامها بما طرحته في عددها الاول والمتمثل في :

– بلورة الفكر القومي بكل مقومات الاصالة فيه ٠

ـ بلورة مسيرة قوى الثورة العربية على كل ساحات الوطن العربي لتكون الثورة بالجماهير وللجماهير ٠

ـ الاسهام في تكوين الانسان العربي بكل ما يتطلبه بناء الانسان من فكر اصيل وحركة مستمرة ٠

ـ الاسهام في تعميق الروابط الفكرية والنضالية لحركة الثورة العربية اثراء للنضال الثوري العالمي ٠

ثم سال :

ـ هل حققت الشورى بعضا من طموحاتها ؟٠٠ سؤال نترك الاجابة عليه لكلالمساهمين ايجابيا مع الشورى كتابا٠٠ قراء ٠٠

ابوذر من الكتاب القراء يجيب بالنيابة عنهم فيقول : لا ٠

لم تحقق الشورى بعضا من طموحاتها ٠ حققت الشورى ٠٠ شيئا آخر ٠ لقد استطاعت ان تصدر بانتظام وتعيش عاما كاملا بالرغم من ان اسباب الحياة لم تكن دائما متوفرة ٠ يعني هذا ان طموحات « الشورى » ما تزال « هوية مستقبلية » وهو التعبير الذي حدثنا عنه رئيس التحرير حديثه الطويل المتقطع ٠٠ وهذا يعني ان على « الشورى » ان تبذل مزيدا من الجهد ، لا لتعيش هذه المرة فاني احسبها قدتجاوزت امراض الطفولة ، بل لتحقق بعضا من طموحاتها ٠٠

اهم ما كان ينقص « الشورى » في العام الذي انقضى هي ان مادتها كانت « اخف » مما يتفق مع العنوان الذي

اختارته لنفسها : « مجلة الفكر القومي التقدمي » · لم يفرق كتاب الشورى بين المقال الذي يصلح للنشر في جريدة يومية او مجلة اسبوعية ، ينشر لينسى ، وبين المقال الذي ينشر في مجلة فكرية · ينشر ليكون وثيقة علميـة ومرجعا للدراسة · فجاءت اغلب المقالات سهلة · سهلة التنـاول سهلة المادة · اعني ان قلة قليلة ممن كتبوا في « الشورى » طـوال العام الماضي من بذل جهدا خاصا ليكون مقاله غير قابل للاستغناء عنه بعد القراءة · ولقـد كان هـذا يستفـز ابا ذر في بعض الاعداد والى حد « الظن » بان الذين يكتبون في « الشورى » يكتبون لانهم يريدون ان يكتبوا · اي يفرزون كلاما تلقائيا كما يفرز المجهدون عرقهم · بدون مجهود · وكاد الظن يذهب الى اكثر من هذا ·· وكان ابوذر يصبر ويغفر ثم ينبه ويحذر حتى لا تموت « الشورى » على ايدي كتابها ··

العيب الثاني كان التزاحم على « حفنة » من المعاني ·

فيالعدد الثاني « ابدعت الشورى » فهرسا بالموضوعات والكتاب · اشهد انه جاء من فرط ابداعه مثيرا للغبطة حتى انني ضحكت من براعته · يبـدو الفهرس وقـد ملأ واحدا وعشـرين صفحة ، وبالحروف الصغيرة ، مؤشرا «لتخمـة» الشورى بالمواد والكتاب · فتكـاد تبـدو « الشورى » من فهرسها موسوعة اخرجت في ١٢ جزءا علـى مـدى عام · والواقع غير هـذا · لقـد استغلت « الشورى » الحروف الابجدية لتورد تحت كل حرف منها ، كـل حرف مماثل كتب في الشورى · فكاد الفهرس ـ في واقعه ـ ان يكون معجما

للكلمات التي استعملها كتـــاب الشورى في عام · فعنوان « على السفود » ـ مثلا الذي نشر ثماني مرات فقط ورد في الفهرس في ٦٩ موضعا · وكان اطرف ما في الفهرس عنوان كبير تحت حرف الراء يقول «رئيس التحريـــر» وتحتــه «انظر جمعة المهدي الفزاني » ·· وهكذا ·

ان هذا الابداع الطريف لا يخفي ان اغلب ما كتب فــي « الشورى » على مدى العام يدور حول حفنة من المعاني عن « الوحدة » وحفنة من المعاني عن « الناصرية » تزاحم عليها الكتاب وصاغوها هي هي بكــل صيغة ممكنة · هذا يعني ان « الشورى » كمجلة لم تقـــدم الى القراء الا تلك الحفنة من المعاني التي كان يمكن ان ترد في عــدد واحد ، وان ما جاء تكرارا لها لم يضف شيئا جديدا يستفيد منــه الذين يشترون الشورى ليستفيدوا منها ·

والنقد الذاتي :

على غرار التصحيح الذاتي قد جاء وقت النقد الذاتي· ليس مقبولا من ابي ذر ان يكون ناقدا ولا يتعرض للنقد · كأنه لا يخطأ ابدا · كأنه المرجع الاخير فيما هو صائب ومــا هــو مخطىء · الواقع ان هذا كان اول نقد سمعته لما يكتبه ابوذر· ثم تكرر · ان ابا ذر متهم بالاستعلاء وانتحال « الاستــاذية » وهو مقيت · مقيت كموقــف ومقيت اثره الــــذي يحدثه في نفوس الاخرين · فلا احد ـ حتى الجهلة والاغبياء ـ يقبل ان يوضع موضع التلميذ ممن يدعي « الاستاذية » ·· انها تهمة صحيحة ولكن ابا ذر غير مسئول عنها · لقــد كــانت تهمــة

متوقعة فناقشها ابوذر مع جمعة المهدي الفزاني في اول لقاء بينهما · كانت الخلاصة انه لو فتح باب نقد النقد لكان نقد النقد مفتوحا لنقد جديد وهذا لنقد اخر وهكذا « دواليك » ايضا · (دواليك من دال اي تحول الى حال آخر) ·· وهي حلقة مفرغة لا بد من ايقافها عند حد · وبمناسبة دخول « الشورى » عامها الثاني اعيد طرح المسألة ، فاقترح ابوذر ووافق رئيس التحرير، او اقترح رئيس التحرير ووافق ابوذر، لا اذكر من الذي اقترح ومن الذي وافق ، ان تضم «الشورى» في عامها الجديد بابا جديدا لرسائل القراء يكون متنفسا للذين يبحثون عن طريقة لوضع صاحب السفود على السفود· فعسى ان يرضى هذا الكاظمين الغيظ بالرغم من انه يسلبهم ثواب الصبر ··

ثم قيل ، ان ابا ذر الذي يتحدث عن نفسه « كشيخ » يبالغ في بعض الاوقات في المداعبات وهو ما لا يتفق مع وقاره · وهي تهمة ليست صحيحة وعسى ان يكون ابوذر في عامه القادم اقل جهامة وصرامة ·

ثم قيل ، ان ابا ذر يأخذ من الباب «على السفود» مجالا لاستعراض معلوماته · انه من خلال اشارات الى مجالات متنوعة من المعرفة يريد ان يقول للقراء : « انظروا كم انا مثقف وكم اعرف من فنون العلوم » ، « الاستعراض » مرض نفسي ، فابوذر مريض ·· فاقول لقد كان من الممكن ان تكون التهمة صحيحة لو انني كنت اعرف كل ما اكتب قبل ان التقي « بالشورى » عددا عددا · الواقع غير هذا تماما · كل ما في

الامر انني فعلت ما لم يفعله الكثيرون من كتـــاب الشورى وقرائها · اخذت من نقد « الشورى » حافزا على المزيد مـن الثقافة والمعرفة · وكثير مما كتبته من طرائف العلوم لم يكن يخطر لي على بال قبـــل ان تحرضني « الشورى » على بذل الجهد في البحث لكي اكتب للقراء شيئا مفيدا · ان ابا ذر ، انن ، لا يستعرض في كل عدد من الشورى ما يعلم ، بل انه ـ حقا ـ يتعلم مع كل عدد من الشورى ويبذل في سبيل هذا جهدا لا يتفق مع كهولته او شيخوخته ·· وهـذا هو الجزاء الاكبر على ما نبذل من اجل القراء ··

اقول ··

ان النقد الاساسي الذي يستحقه ابا ذر انه بقي على « هامش » الشورى فلم يسهم اسهاما مباشرا في اغناء مادتها بما يستطيع · الزم نفسه قيود النقد الثقيلة فلم يقدم ما عنده الا ما يكون تابعا لما يقال · وما يقدمه سلب في اكثره · نقد · والاغناء عطاء وليس سلبا · اعني ان النقد لا يكون بناءا الا اذا لحق البناء بالهدم· وهكذا كان علىابي ذر ان ينتهزفرصة نقده لاي مقولة منشورة ليطرح مـــا يعتبره تصحيحا لتلـك المقولة او اضافة الى ما يقـال · عندئذ يكون اعطى القراء اكثر من « فرحة الشماتة » في بعض الكتـــاب ·· وهذا نقد صحيح · اخشى ـ فقط ـ انيتحول باب « على السفود » الى مقالات بقلم ابي ذر فيفقد طابعه النقدي · اخشى ان يطغـى ابو ذر فلا ينقد ما يقال بل يصادر النقد بما يقول ··

مع بداية العام الثاني مـن حيـاة «الشـورى» حاولنـا تجربة جديدة في التعليق على مقال الدكتور عبد اللـه عبـد

الدايم · مع الاحتفاظ بالطابع النقدي لباب «على السفود» نلتقط الخيط من اية مقالة جيدة ليكون مدخلا الى دراسة تتجاوز النقد السالب الى الاضافة البناءة · هكذا طرحنا – على سبيل التجربة – دراسة مختصرة في الفلسفة المثالية واثرها في الفكر القومي من خلال نقد دعوة الدكتور عبد الله عبد الدايم للعودة الى المفكر القومي والفيلسوف الالماني لمخته ·

كانت الدراسة ثقيلة· بدت لابي ذر بعد كتابتها اثقل مما يطيقه باب «على السفود» غير ان الرأي الاخير للقراء · الى ان نعرف رأي القراء من خلال رسائلهم سنستمر في التجربة· سيثقل وزن الحديث ويطول ولكنها محاولة · محاولة يستجيب لها ابو ذر تفاديا لنقد ما نشر من قبل · ويضع بها قدما داخل «الشورى» مع الكتاب ، مع الابقاء على القدم الاخرى خارج «الشورى» مع القراء· انه موقف غير مريح· معذلك لنجرب··

الثورة الاجتماعية وقضية الوحدة العربية :

هذا مقال جيد كتبه احمد شرف ·

البداية : «عند ملتقى هذين الرافدين من روافد الفكر العربي تصعب محاولة الملاحة والخوض في تدفقات التيار المنساب من اندماجهما في مجرى الفكر العربي الواسع · فعند نقطة الملتقى هذه تكثر الدوامات وتتعدد المواقف حتى لتبدو الصورة وكأننا امام صخرة شماء تتكسر على نتؤاتها كل محاولات الوحدة العربية ، فكرا وتنظيرا وتطبيقا» ·

انه استهلال بلاغي رائع يتضمن اكبر قدر من التحذير

ـ بحق ـ من صعوبة الموضوع ·

النهاية : «··ان قضية الوحدة العربيـــة وارتباطهـا بمراحل الثورة الاجتماعية العربية قضية تحتمل كثيـرا مــن جهود البحث خاصة فيما يتعلق برسم ابعاد المرحلـــة التـي تحياها الثورة العربية في مجالها الاجتماعي لتحديد القـوى المشكلة لها ورسم مواقعها الاجتماعية والفكرية بطريقـة ادق ومدى تطابق مواقف القوى من كل اهـداف نضـال الثـورة العربية بما فيها هدف الوحدة الطبيعي والموضوعي والمنسـق مع حركة التاريخ» ·

خاتمة رصينة ، مجردة من الادعاء ، علمية ، تتضمـن دعوة الى مزيد من الحوار ·

يعجبني تواضع الواثقين من مواقفهم ·· الى ان يقدم اليهم الحوار جديدا · والاخ احمد شرف واحد من القلــة الذين يستطيعون ان يخاطبوا الناس متواضعيـن ، بـدون ان يتضمن هذا التواضع ملامح اي شك في صحة افكارهم، وبدون ان تمثل الثقة بصحة تلك الافكار اية ملامح لمصادرة المعرفة·

الحوار مع امثال الاخ احمد شرف ممتع ومفيد ··

حوار ابي ذر حوار نقدي بالضرورة · اذن ، تفضل ، اخ احمد ·· على السفود ·

شكرا ·

ما بين البداية والنهاية :

... مقال الاخ احمد شرف ثلاثة اقسام .

في القسم الاول يطرح السؤال : «ما هو مفهوم الثورة الاجتماعية» ؟ لكنه لا يجيب اجابة مباشرة . لو اجاب كما يتسرع ويفعل كثير من الشباب الذين يحاولون الكتابة لاصطدم مباشرة بسؤال مضاد تقليدي : كيف عرفت ان هذه الاجابة صحيحة ؟ . فيضطر الى العودة لطرح منطقه في فهم السؤال وفي الجواب . يعود ليطرح منهجه . احمد شرف يبدأ من البداية الصحيحة فيطرح مقياس صحة الجواب قبل ان يجيب. وسيظل السؤال : «ما هو مفهوم الثورة الاجتماعية» معلقا الى ان يأتي الجواب عليه تلقائيا ، ومنطقيا ، في نهاية القسم الثاني . انصح كل الشباب الذين يحاولون الكتابة ان يلتزموا هذا الاسلوب الصحيح في طرح افكارهم . ان يبدأوا بالقاعدة او القواعد او القوانين التي سيستخدمونها بعد ذلك في فهم الظواهر والاجابة على الاسئلة التي تطرحها ..

يرفض احمد شرف من البداية .. «الالفاظ الطنانة التي لا تغني واقعنا بشيء ، والتي لا تستطيع دفع القوانين الاجتماعية على الابتعاد عن مساراتها وحتمياتها ابدا» . هكذا يعلن احمد شرف من البداية ان ثمة قوانين اجتماعية حتمية هي التي سيأخذها ضوابط فهم السؤال والجواب عليه .

اين توجد هذه القوانين ؟ كيف يمكن معرفتها ؟

يقول : «هنا يبرز التاريخ الاجتماعي العام او بتعبير ادق التطور العام لنمو المجتمعات كمستودع حي وغني بالزاد يحد ابعاد هذه الظاهرة ويبين اركانها وعلاقاتها اكتشافا

للقوانين الموضوعية الحاكمة لساراتها» اذن، ففي «حـركة التطور العام لنمو المجتمعات» سيكتشف او سيكشف احمـــد شرف عن القوانين الاجتماعية الحتميــة تمهيــدا لاعــادة استخدامها ، اعني القوانين ، في الاجابة على سؤال : ما هو مفهوم الثورة الاجتماعية ؟ ٠٠٠

«فماذا يقدم تاريخ تطور المجتمعات» ؟ ٠٠

يبدأ احمد شرف تحت هذا العنوان الفرعي طرح «التاريخ» طرحا ماركسيا تقليديا ٠ المشاعية البدائية الاولى المتميـــزة بان «ادوات الانتاج كانت بدائية تماما فهي اما حجر لقــذف الحيوان بغرض اصطياده للطعام او بغرض اتقاء شره وامــا جذع شجرة ٠٠ الخ» ٠ ثم يدخل في الحلقة الثانية من حلقات الثورة الاجتماعية مدخلا «مفاجئا» (سنعود اليه) فيقـــول : «بدخول المجتمع البشري الطور العبودي بدأت حلقة ثانية من حلقات التطور الاجتماعي الحادث نتيجة ثـورة اجتمـاعيـة شاملة ومتعاقبة الحلقات ٠ فمع حلول هــذا الطــور ســارت ادوات الانتاج (لنلاحظ ان ادوات الانتاج هي التي سارت ٠٠ اي هي الفاعلة) في خط تطورها المتصاعد وبــدأت عــلاقات الملكية تمتد من الاشياء الى الانسان ذاته ٠ فالحروب القبلية كثيرة والاسرى يزداد عددهم ثم يتحولون لدى المنتصر الــى عبيد يزدادون دوما الى ان تتكون طبقة العبيد الغير مالكـة (صحتها غير المالكة) بل المملوكة» ٠ الحلقة الثالثة هي الطور الاقطاعي ٠ تم الانتقال اليه نتيجة ثورات العبيد ضد السادة٠ «فمع مجموعة من التراكمات الكمية التي بفعل تقدم الانتــاج وفنونه التي ابدعت ادوات انتاج جديدة اخذت تعكس بدورها انماطا انتاجية وعلاقات انتاج اكثر رقيا من مجــرد علاقـــة

المشاعية البدائية الى علاقات تغطي نوازع الفرد ورغباته في السيطرة والاستئثار وممارسة كل ذلـك على الاخـرين الذين يسلبهم قوتهم بتحويلهم الى عبيد» ·· هكذا تكون المجتمـع العبودي» بعد ذلكالوقت توالت التراكمات عبر فترات ومراحل مختلفة قد تجوز تسمية كل فاصل منها بانها ثورة اجتماعية في حد ذاتها· ان تقدم الفن الانتاجي خاصة في مجال الزراعة وبعض الانشطة الحرفية والتجارية افرز ادوات انتاج جديدة اكثر رقيا ساعدت بدورها على نشوء علاقات اصبحت معهـا حالة ملكية الفرد حالة غير مستطاعة تحول بموجبها الفـلاح الى ملازم للعين او الارض على اساس علاقة قنيـة» · هكذا نشأ العهد الاقطاعي · ثم «··مع استمرار عملية تحلل المجتمع الاقطاعي (لم يقل لـماذا تحلـل) اخذت ملامـح المجتمـع البورجوازي الذي يتميز بالرقي الكبير في تطور ادوات الانتاج واساليب الانتاج والذي يتميز بعلاقات انتاج اكثر عمقا فـي طبيعتها الاستغلالية» · وهذا هو العهد الرأسمالي ·· ولكن : «من يقدم الثورة البورجوازية على انـها ابعـد واعمـق في مفاهيم الثورة الاجتماعية لا يعدو الا ان يكون شخصا حبيس الفكر المغلق لان النظام الرأسمالي ذو طبيعة متطورة» · ومن ثم كان لزاما لخط رقي المجتمعات العام الا يقف الا عند نظام يجل فيه الصراع الطبقي بصورة نهائية ذلك هو النظام الذي تتحدد مرحلته الاولى بسيادة حكم الطبقة العاملـة وباقـي الكادحين في تحالف يكون هدفه تصفية العلاقات الاستغلالية واسبابها الموضوعية الكامنة في الملكية الخاصـة لوسائـل انتاج السلع والخدمات» ·· لم يقل ما هي «مرحلته الثانيـة» ·· ولكنها معروفة · انها الشيوعية · ذلك لان احمد شـرف

يعرض مختصرا لما عرف في التراث الماركسي باسم «المادية التاريخية» او «التفسير المادي للتاريخ» · ولقد كان يمكن الاشارة اليها باعتبار انها من الادبيات السياسية الشائعة لولا حرصنا على ان نضع امام القراء ما نشر في عدد سابق ··

اين هي القوانين التي تضبط التطور العام للتاريخ ؟·· لم يذكرها احمد شرف صراحة · ولم يكن يستطيع ان يذكرها في مقاله · وهو ليس في حاجة الى ذكرها صراحة · لانها معروفة ايضا وشائعة في الادب الماركسي ، ولانه من السهل استخلاصها من «طرح التاريخ» على الوجه الذي طرحه به احمد شرف ·

صحيح ان ثمة ثغرات في سياق الطرح · فلم يقل لنا مثلا كيف ولماذا تطور عهد المشاعية البدائية الى العهد العبودي · ألأن «الحروب القبلية كثيرة والاسرى يزداد عددهم ثم يتحولون لدى المنتصر الى عبيد يزدادون دوما الى ان تتكون طبقة العبيد الغير مالكة بل المملوكة» ؟ ، كما قال · واذا كان الامر كذلك فلماذا كثرت الحروب القبلية في عهد المشاعية البدائية ؟ ·· ألأن «تقدم الانتاج وفنونه التي ابدعت ادوات انتاج جديدة اخذت تعكس بدورها انماطا انتاجية وعلاقات انتاج اكثر رقيا من مجرد علاقة المشاعية البدائية الى علاقات تغطي نوازع الفرد القوي ورغباته في السيطرة والاستئثار وممارسة كل ذلك على الاخرين الذين يسلبهم قوتهم بتحويلهم الى عبيد» ؟ · عندنا هنا ثلاثة عوامل : «نوازع الفرد القوي» و«ادوات انتاج جديدة» و«اسرى يتحولون الى عبيد» ؟ ··

فايها كان البداية حتى تحولت المشاعية البدائيــة الى عبودية ؟

من اجل اشباع نوازع الفرد القوي ابدع ادوات انتاج جديدة وقاتل فكان الاسرى عبيدا ، ام ان ابداع ادوات انتــاج جديدة مكن نوازع الفرد القوي ان يقاتل وكان الاسرى عبيدا · واذا كان الامر على هذا الوجه فلماذا ابدعت ادوات الانتــاج الجديدة ··· وكيف كان الفرد قويا قبل ابداعها ؟ ·· ثم في العهد العبودي «سارت» ادوات الانتــاج في خــط تطورهــا الصاعد ليتحول الى عهد اقطاعي · لماذا سارت؟ · من سيرها؟ ام انها تسير تلقائيا ؟ ·· ثم اذا كان هذا التطور بفعل قوانين اجتماعية حتمية بحكم خط رقي المجتمعــات العــام ، فلمــاذا يتوقف القانون «عند نظام يحل فيه الصراع الطبقي بصــورة نهائية» ؟ ·· وهل يتوقف التطور وتثبت المجتمعات ؟ ··

كل هذه الثغرات في المقال نستطيع ان نعتذر عنها بــان المجال لا يسمح بالاستفاضة · وكلهــا ليست هــي صميــم الموضوع · صميم الموضوع هو «القانون الذي يحكم خط رقي المجتمعات» · ذلك لان الاخ احمد شرف ، مثل كل الماركسيين التقليديين لا يدرس التاريخ ليستخلص منه قوانين تطوره · الماركسية ليست منهجا تاريخيا · انها ذات منهج علمي يسمى «المادية الجدلية» · والمادية التاريخية ذاتها ، اي فهم حركــة التاريخ وتطوره وتقسيمه الى مراحل ، ليس الا رؤية للتاريخ بمنظار المادية الجدلية ·

الجوهري في المادية الجدلية هو مقولة «ان المادة تسبق الفكر وتحدده» · وترجمتها السوسيولوجيـــة كمــا حددهــا ماركس في مقدمة «نقد الاقتصــاد السيــاسي» هي ليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم الاجتمــاعي بــل العكــس ان

وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم» . وترجمها مؤلفو «اسس الماركسية اللينينية» ترجمة اجتماعية فقالوا ان الحياة المادية (قوى الانتاج وعلاقاته) تتحدد بعيدا عن وعي الانسان وارادته وان كل مايتمثل في وعي الانسان من افكار (سياسية وقانونية وفلسفية ودينية) .. الخ ونظم (الدولة والكنيسة والاحزاب .. الخ) لا تغير اتجاه التاريخ ولا تحدد مسير المجتمعات «ولكن تأخذ مكانها فيه» عن طريق تبعيتها لتطور الحياة المادية ..

وكل هذا ادب ماركسي «تقليدي» .. لو صح لكان ما قاله الاخ احمد شرف صحيحا . واذا لم يصح يكون على الاخ احمد شرف ان يعيد النظر فيه . من الذي يثبت ما اذا كان صحيحا ام غير صحيح ؟ لدينا طريقان . طريق نظري ، اي مواجهة نظرية بنظرية . وطريق عملي اي اختبار النظرية في الممارسة . الطريق الاول لن ينهي الحوار الى ما يفيد احدا من القراء . ستكون حرب كلمات . الطريق الثاني اسلم . خاصة ان اخانا انجلز قال مرة قولا صحيحا عندما قال «ان الممارسة هي محك صحة النظرية» . ثم انه طريق نستطيع ان نسير عليه ، احمد شرف ونحن معه ، مسافات طويلة بدون حرج او احراج .. لاننا ، تأكيدا لرغبتنا في ان يكون الحوار مفيدا ، سنسير معا على طريق الممارسة الماركسية . وهل يمكن لاي عربي اشتراكي بان يتحاور مع الماركسيين بمقولات يروج لها اعداء الاشتراكية ؟ .. ابدا ..

زيادة في الرفق في الحوار نضع امام احمد شرف وكل الشباب العربي من الجيل الجديد .. الصيغ الفكرية لخلاصة الممارسة الماركسية كما يقولها ويكتبها الماركسيون «الآن» .. اي منذ بضع سنين فقط .. وسنقتصر على الاستفادة من مصادر محدودة حتى لا يتعقد الموضوع .

مصدرنا الاول كتاب « محاورات فلسفية » للكاتب الماركسي الدكتور مراد وهبه ٠

(١) المادية الجدلية موضوع مراجعة :

«٠٠ اما انكار المنطق الجدلي فيتزعمه اساتذة المنطق وفي مقدمتهم ماركوف وكذلك روزافتيين وهما يقترحان الغاء المنطق الجدلي كلية ٠ ولفت نظري مفارقة في هذا الاتجاه الى انكار المنطق الجدلي والاكتفاء بالمنطق الرياضي في دولة (الاتحاد السوفياتي) تعتبر المروج الاول للمنطق الجدلي على الاطلاق ولقانون التناقض على التخصيص ٠ وطلبت من بجمولف تفسيرا لهذه المفارقة وكان جوابه ان هذه المفارقة مردودة الى اهتمام الدولة بالتطور الاقتصادي والتكنولوجي وما يترتب على هذا التطور من مشكلات ليس في الامكان مواجهتها الا بالمنطق الصوري والمنطق الرياضي اما مشكلات الجدل فليست وثيقة الصلة بهذا التطور» ٠

(٢) موضوع المراجعة :

أ ـ يقول بجمولف استاذ الفلسفة في جامعة موسكو ان ثقته مطلقة في قول لينين ان الجدل ليس دوجما وانما هو مرشد للعمل ومن ثم فليس ما يمنع من احداث تعديل في المادية الجدلية اذا ما ظهر ما يناقضها في مستقبل العلم ٠ وفلاسفة السوفييت الان يتبنون هذا الاتجاه والدليل على ذلك ان اشكال الحركة كما تصورها انجلز موضع مناقشة وخلاصة هذه المناقشة ان مفهوم انجلز للحركة ليس دقيقا ٠

ب ـ يقول نارسكي استاذ الفلسفة بجامعة موسكو انه ليس امرا غريبا ان يطرح لينين افكارا جديدة متعارضة مع بعض افكار انجلز فمثلا المادة عند انجلز موضوع حسي ، في حين انها عند لينين مقولة فلسفية تعني الواقع المادي خارج الذات ·

ج ـ يقول بيدف استاذ الاجتماع في كلية الفلسفة بجامعة لينينغراد ان ماركس لم يعالج الانسان على انه ذات وانما على انه موضوع · فسأله الدكتور مراد وهبة : اليس من شأن الالتفاف الى الانسان من حيث هو ذات ان تحدث تعديلات في بعض المبادىء الماركسية · اجاب · ليس ثمة ما يمنع من احداث هذا التعديل اذا لزم الامر ·

(٣) التعديل في المنهج :

أ ـ يقول دبوفسكوي وشيلين استاذا الفلسفة في جامعة موسكو ، ان المعرفة ليست مجرد انعكاس للموضوع المدرك ، وانما هي خلق جديد وتغيير لحالة بهدف تلبية احتياجات الانسان · ويسخران من نظرية الاستجابة السلبية والمدخل الانعكاسي السلبي تجاه المعرفة ويقولان ان هذه النظرية لا يروج لها الا العوام وبعض الفلاسفة الذين يتصورون انفسهم ماديين جدليين · ذلك ان هذه النظرية تتصور الذات العارفة لا على انها فعالة وخلاقة ولا على انها هادفة الى تحقيق ارادتها ورغبتها ·

ب ـ يقول النيكف استاذ الفلسفة ـ ان الذات تنطوي على شيء ما يسهم في تكوين الموضوع · ويسال ما معنى

الانعكاس · ويجيب ان المعرفة عملية عزل الموضوعات ثم انتقاء واحد من هذه الموضوعات لادراكه · ومن هذه الزاوية يقال ان الموضوع ينعكس في الذات ولكن بين نقطة البداية ونقطة النهاية ثمة عمليات بيولوجية ونفسية واجتماعية ·

جـ ـ يقول كوزنتسوف استاذ فلسفة بجامعة موسكو : يقول لينين ان المعرفة في جوهرها «انعكاس» للواقع · والمشكلة بعد ذلك تدور على معنى لفظ «انعكاس» · وهذا المعنى عند فلاسفة السوفييت في طريقه الى ان يتحول · ان لفظة انعكاس ينبغي الا تفهم حرفيا وانما ينبغي ان تؤخذ على انها لفظة تنطوي على تشبيه او استعارة ·

د ـ يقول روزنتال مؤلف كتاب «مبادىء المنطق الجدلي»، ان الفكر في حركته يصدر من العيني في الادراك الى المجرد ومن المجرد الى العيني ولكن في هذه الحالة يصعد على اساس جديد وارقى ·

هـ ـ يقول بلاتنكيف وماتشيمانف (استاذا فلسفة) ، ان للعقل قدرة خاصة على الخلق والابداع · انه ليس سلبيا بل ايجابيا اي انه يضيف الى ما هو معطى له ·

واخيرا ،

و ـ يقول نارسكي استاذ الفلسفة في جامعة موسكو · ان العلم يستطيع ان يقدم حلولا لما يدور في اذهاننا من قضايا · ولو ان فلاسفة الماركسيين قبلوا هذا لامكنهم مجاوزة عدة سخافات من بينها استبعاد المنطق الرياضي وعدم الثقة

في المنطق الصوري ونظرية النسبية والسوبر نطيقا ·

اذن يا اخ احمد شرف ، ان فلاسفة الماركسية الان يراجعون المادية الجدلية ويحاولون تصحيح قوانينها ويتجه التصحيح اتجاها واضحا الى ابراز الفاعلية الايجابية للذات، للعقل ، للانسان في عملية التطور الاجتماعي وفي مواجهة الموضوع ، المادة ، ادوات الانتاج ··

هل امتدت هذه المراجعة الى «المادية التاريخية» ، او «الفهم المادي للتاريخ» الذي استعملته في طرحك التاريخي·· لا بد ان يكون قد امتد · لقد امتد يا اخ احمد ·· مصدرنا كتاب حديث ايضا · «المبادىء العلمية لتطور المجتمع الاشتراكي» تأليف ج · جلزرمن · (منشورات موسكو) ·· يقول ، وارجو ان يصبر القراء على ما ننقل لاننا نريد ان يكون الحوار مفيدا ··

يقول جلزرمن :

«اثارت المؤلفات الماركسية منذ زمن بعيد مسألة اسباب تطور القوى الانتاجية · فاذا كان تطور القوى الانتاجية هو السبب الجوهري للتغييرات في النظام الاجتماعي ، فما الذي يحدد حركة القوى الانتاجية نفسها ؟ وجدير بالذكر ان المحاولات للبحث عن اسباب تطور القوى الانتاجية خارج الانتاج نفسه ، مثال ذلك في تاثير البيئة الجغرافية ، ونمو السكان ، وهلم جرا ، انما هي محاولات عقيمة (على الرغم من انه لا يوجد انكار للتأثير الجوهري في اغلب الاحوال الذي تمارسه مثل هذه العوامل على تطور الانتاج) · اما الاستنتاج القائل بان مصدر تطور

الانتاج ينبغي البحث عنه في اسلوب الانتاج نفسه ، فهو استنتاج يكاد يكون معترفا به على النطاق العام بين الماركسيين ٠

«بيد ان هذا الاستنتاج الصائب ما زال بدوره استنتاجا عاما ٠

«تتفاعل القوى الانتاجية وعلاقات الانتاج في داخل اسلوب الانتاج ٠ فما دور كل جانب من جوانب اسلوب الانتاج هذا ؟ هل يكفي ان نشير الى تفاعلها لاقرار مصدر التطور ؟

«لقد اثير في المؤلفات الماركسية والسوسيولوجية السوفيتية عدد من الاعتراضات على الاعتراف بالتفاعل بين القوى الانتاجية وعلاقات الانتاج بوصفه مصدر التطوير ٠وقد قرر بعض المؤلفين ان ذلك يؤدي الى حلقة مفرغة ٠ فنحن نرى سبب تغيرات علاقات الانتاج في تطور القوى الانتاجية ٠ وسبب تطور القوى الانتاجية في تاثير علاقات الانتاج ٠ وهم يحاولون الافلات من هذه الحلقة المفرغة بنقل التركيز الرئيسي الى المنطق الداخلي لتطور القوى الانتاجية نفسها ، مثال ذلك التفاعل بين عنصري القوى الانتاجية (العمال + وسائل الانتاج) والا فانهم يقولون انه من المستحيل تفسير سبب استمرار القوى الانتاجية في التطور حتى بعد ان اصبحت علاقات الانتاج عتيقة وتحولت الى قيد على هذا التطور (مثال ذلك في ظل الراسمالية المعاصرة) ٠

«واخيرا (وتأمل جيدا يا اخ احمد شرف) فقد بذلت محاولات للربط بين حل هذه القضية وبين الاقرار بالدور الحاسم (الحاسم يا اخ احمد) الذي يقوم به الناس (الناس يا اخ احمد) في تنمية الانتاج · واذا كان الناس هم صانعو التاريخ فان الجماهير ، الشعب العامل ، هي التي تعد في المرجع الاخير (المرجع الاخير يا اخ احمد) القوى المحركة لتطور القوى الانتاجية» ·

المادية التاريخية اذن محل مراجعة تتجه اتجاها واضحا الى اعتبار الانسان هو العامل الاساسي ، وليس ادوات الانتاج ، في عملية التطور التاريخي ؟ وما الذي يستطيع ان يفعله الناس اذا لم تكن ادوات الإنتاج واسلوبه وعلاقاته متطورة ؟ هل يستطيع الناس ان يسبقوا التطور الاقتصادي ؟ هل يمكن ـ يا اخ احمد ـ ان تكون الثورة السياسية هي الطريق الى الثورة الاجتماعية او الاقتصادية وليس العكس؟

نعم يا استاذ احمد ·

اولا : قد تصبح الظروف الاجتماعية ـ الاقتصادية ناضجة للثورة الاجتماعية ولا تقوم الثورة · يقول مؤلف «المبادىء العلمية لتطور المجتمع الاشتراكي» : «ليس هناك من ينكر الفكرة القائلة بان الناس يمكن ان يعملوا على نقيض مصالحهم الاساسية ويعرف التاريخ كثيرا من الامثلة ، حيث شاركت الجماهير او طبقات او شعوب باسرها في افعال واحداث لا تتطابق مع مصالحها الاساسية وبالتالي جلبت على نفسها كوارث مفجعة» ·

وثانيا : قد لا تكون الظروف الاجتماعية ـ الاقتصادية ناضجة للثورة الاجتماعية (الاشتراكية مثلا) وتقوم الثورة ·

يقول المؤلف ذاته تاكيدا لتجربة ثورة اكتوبر البلشفية وثـورة الصين الشعبية وامثلة اخرى «··· التغييرات اليومية يمكن ان تحدث في الاقتصاد وفي ظل التأثير المباشر لتطور القـوى الانتاجية ، بيد ان التغييرات الاساسية العميقة الجذور حقـا في النظام الاقتصادي وان كان تطور القوى الانتاجية يعدلها لا يمكن ان تحدث الا تحت تأثير السياسة ، اي دون استخدام السلطة السياسية لتحويل العلاقات الاقتصادية · وتقـــوم السياسة اليوم بدور خاص في اعادة التشكيل الاشتـراكـي للاقتصاد · وفي الثورة الاشتراكية تكون الانتفاضة السياسية سابقة للانتفاضة الاقتصادية» ·

اذن ، فالناس ، يا اخ احمد ، هم الذين يسيرون في خط تطورهم الصاعد ، ويطورون معهم ادوات الانتـاج ، وليست ادوات الانتاج هي التي تسير في خط تطورها الصاعد، وتطور معها الناس · والثورة الاجتماعية ، يا اخ احمد ، متوقفة على ما يريده الناس حتما وليس على الحياة الاقتصادية فقط ·

يقول المؤلف السابق : «جميع عناصر الوضع الثوري ليست منتمية الى الكائن الاجتماعي ، الى حيـــاة المجتمـع الاقتصادي، وثمة مكان هام ضمن عناصر الوضـع الثوري تشغله التغييرات فيحياة المجتمع السياسية، ازمة في السلطة او تغيرات في وعي الجماهير يعبر عنها ان الاعماق الدنيا لا تريد ان تعيش بالطريقة القديمة ·

ويقول بوري كرازين مؤلف «علم اجتماع الثورة» وهو كتابماركسي سوفييتي حديث ايضا :«ان الثورات الاشتراكية

تتباين من حيث نمطها وذلك لان القوى المحركة لها تختلف وتتباين سواء منحيث تركيبها ام علاقتها ببعضها ويتوقف هذا على طبيعة المرحلة التاريخية ومستوى التطور الاجتماعي والاقتصادي والتقاليد والعادات والطابع القومي» ٠

اه ٠ وصلنا الى الطابع القومي ؟٠٠

لقد كان الاخ احمد شرف منطقيا مع منطقه عندما تحدث حديثه الطويل عن الثورة الاجتماعية والوحدة العربية دون ان يدخل في حديثه عن الثورة او حديثه عن الوحدة عنصر القومية ٠ ذلك لان منطقه المادي الجدلي ، ورؤيته المادية للتاريخ ، لاتسمحان له بان يرى الامم ويعتد بالقومية ، اذ لا تسمحان له برؤية الانسان والاعتداد بانتمائه القومي ٠ وقد كان لا بد لابي ذر من ان يضع تحت نظر الكاتب ، والقراء ،كل ما سبق ليقنع احمد شرف والشباب من الجيل العربي الجديد، بان اصحاب المنطق ، الذين مارسوا الحياة على هديه ، يراجعونه ويحاولون تصحيح احكامه على ضوء خبرتهم ، تمهيدا للقول : اولا : بانه سيكون من الحماقة الا نستفيد نحن من تطور الفكر الماركسي ونبقى مصممين على التمسك بمنطق يصححه اصحابه ٠ وثانيا : ان هذه المراجعة وذلك التصحيح يتجهان الى ابراز الدور «القيادي» للبشر في عملية التطور الاجتماعي ٠ على اساس انه اذا كان الواقع الاجتماعي ـ الاقتصادي هو المادة الخام التي لا يستطيع البشر ان يشكلوا مستقبلهم بعيدا عنها الا ان عجلة التشكيل ، صياغة المستقبل من وضع البشر ٠٠

وهكذا يكون المدخل العلمي الصحيح لطرح مشكلة «الثورة الاجتماعية» ، التي هي ثورة في مجتمع كما قال احمد شرف ، ليس الارتفاع التجريدي الذي يتحدث عن «المجرى العام للتاريخ» و«المجتمعات بشكل عام» ··· ولكن الاسئلة الاولية الانية : اي مجتمع ؟ ·· اين يقيم ؟ ·· ما هو تاريخه ؟ ·· ما هي مشكلاته ؟ ·· ما مدى وعيه بها ؟ ·· ما مدى استعداد الواعين للثورة وتحمل تضحياتها ؟ ·· فتصبح الثورة حدثا تاريخيا عينيا وليس كلمة ضخمة سابحة فوق المجتمعات «عامة» ··

هذا المدخل العلمي الصحيح هو الذي يفرض علينا في الوطن العربي ان يكون الواقع القومي هو مدخل الى الثورة الاجتماعية (الاشتراكية) ··· من نحن ؟ ·· اين ارضنا ؟ ·· ما هو تاريخنا ؟ ·· ثم من هم منا المستغلون ؟ من هم ضحايا الاستغلال ؟ ·· ما هو موضوع الاستغلال ؟ ·· كيف ننهي الاستغلال ؟ ·· ثم ·· اين نبدأ ، والى اين نتجه ··· من خلال الاجابة ، على هذه الاسئلة ، يا اخ احمد ، ومن اجل الانتصار في معركة « الثورة الاجتماعية الاشتراكية » يقول القوميون التقدميون : « نحن الامة العربية التي تكونت تاريخيا فلا عودة الى الشعوبية التي تمثلها حاليا الدول الاقليمية· ونقول ارضنا هي الوطن العربي كله فلتسقط التجزئة · ونقول المستغلون هم الرجعية العربية في كل مكان وهم «اذا اردت» طبقة عربية رجعية واحدة · ونقول ضحايا الاستغلال هم الجماهير العربية في كل مكان ، ونقول ان موضوع الاستغلال هو استئثار كل دولة اقليمية بما فيها من مصادر الثروة والانتاج دون باقي الشعب العربي · بالاضافة الى (بالاضافة يا اخ احمد وليس بدلا من) استئثار

الرجعية في كل دولة عربية على حدة بمصادر الثروة والانتاج وعائده ، ونقول نبدأ في كل مكان من الوطن نحـرره ونلغـي الاستغلال فيه ونسقط الاقليمية ونوحد وطننا العربي ·· كـل هذا يا اخ احمد من اجل الثورة الاجتماعية الاشتراكية ·· هذا ما نصل اليه من منطقنا ·

تأمل انت الى اين وصلت من منطقك · فسخت العلاقة بين الوحدة والاشتراكيـة · ووضعت الوحـدة بيـن ايـــدي الرأسمالية (البورجوازية العربية) او تحت قيادتها · وكأنك تقول للاشتراكيين العرب ان الوحدة لا تدخـــل في نطـــاق مهماتكـــم ·

قلت كخلاصة لمقالك كله :

«لو نظرنا الى خريطة عالمنا العربي الاجتماعية لوجدنا انفسنا ازاء مجموعة من الانظمة العربية يعيش اغلبها مراحل مختلطة من النظم الاجتماعية تتحدد ملامحها تبعا لاساليب وطرائق الانتاج السائدة فهي تنتمي الى بقايا النظم القديمة اي نظم ما قبل الرأسمالية ، بينما تقف شرائح اخرى علـى مشـــارف او بدايـــات النظـــام الرأسمـــالي ، « ان هـــذه المجتمعـــات في اغلبهـــا خضعت للسيطـــرة الاستعماريـــة الرأسماليـــة فتـرات طويلـة مـــن الزمـــن وانـــها كلهـــا هبتللتخلـــص مـــن هـــذه السيطـــرة وحققت استقلالهـــا السيـــاسي ومـــا زالـــت تصـــارع مـــن اجـــل توطيـــده وتدعيمه وذلك في مواجهة التلون الاستعماري والتغيير فـي اساليبه» · ثم قلت : «فمحاربة الاستعمار لا تتم الا بتدعيـم الاستقلال السياسي الـــذي لا يبنـــى بدوره الا علـــى اســـاس الاستقلال الاقتصادي · كما ان صلابة هذه المواقف جميعا لا تتدعم الا بتحقيق الوحدة العربية بما تفيد من ضم الوحدات

السياسية العربية التيتشكل حتىالان كيانات متفرقة اقتصاديا واستراتيجيا في وحدة واحدة تمثل كيانا واحدا تزداد فاعليته وثراؤه · ان قضية الوحدة العربية تبرز كاحدى الضرورات الرئيسية لهذه المرحلة من مراحل الثورة الاجتماعية ذات البعد الوطني التحرري» ··

ان هذا قد يغري كثيرا من الشباب القومي بالقبول · انك على اي حال تدعو للوحدة العربية ، وتبرز ضرورتها بلزومها للانتصار في معارك التحرر · وهذا يغري بقبول منطقك · ولكنه ليس اغراء بل اغواء · لانك تبرر الوحدة – على المستوى الاجتماعي – بان العالم العربي على مشارف المرحلة الرأسمالية ، فكأنك تقبل ، بل انك تدعو فعلا ، لقبول الوحدة في ظل النظام الرأسمالي وتسخير قوة الوحدة – ربما – في التنمية الرأسمالية الى ان تنتهي مرحلتها · وبالتالي تعزل الجماهير العربية الكادحة من عمال وفلاحين عن معارك الوحدة ضد الاقليمية ، وتجرد الوحدة من اي مضمون اشتراكي ، ونهاية منطقك ادانة لمحاولات التحول الاشتراكي في بعض الاقطار العربية لانها سبقت الوحدة ، وما دامت الوحدة ضرورية في هذه المرحلة فالنهاية القصوى لمنطقك تصفية ما تم من تحولات اشتراكية حتى لا تقف عقبة في سبيل الوحدة الضرورية في هذه المرحلة الرأسمالية · انك بهذا المنطق تقفز من اقصى اليسار الى اقصى اليمين قياسا على واقع الحركة العربية التقدمية والمنجزات العينية التيتمت في العشرين سنة الماضية ·· لا لشيء ، الا لانك لا تريد ان تفلت من اسار مقولات فكرية مجردة قيلت منذ اكثر من قرن · تريد ان تخضع لها الواقع القومي ، وتريد ان تخضع لها حتى

الواقع العالمي ، الم تر انك لم تشر حتى ادنى اشارة الى اثر نمو المعسكر الاشتراكي في هذا النصف الثاني على مراحل التطور الماركسي التقليدي ..

اغرب من هذا انك تستعير منطقا يقول واضعوه انه غير موضوع لك . لا شك انك تذكر ان ماركس وانجلز ومن تبعهما كانوا يستثنون المجتمعات غير الاوروبية من ضوابط المادية التاريخية . الم يسمها ماركس في كتابه رأس المال «المجتمعات الاسيوية» ويقول انها لا تتطور طبقا لمقاييسه التي وضعها . والتي تريد انت ان تطبقها .

اليست هذه المجتمعات التي كانت موضع دراسة في مؤتمر الماركسيين في امستردام سنة ١٩٠٤ الذي لم يعترف لها بحق تقرير المصير اخذا بما قاله فان كول ممثل الماركسيين الهولنديين من ان « الحاجات الجديدة التي ستعلن عن نفسها بعد انتصار الطبقة العاملة وتحررها الاقتصادي سيجعل من الضروري حتى في ظل النظام الاشتراكي مستقبلا امتلاك مستعمرات» . وفي مؤتمر شتوتجارت الذي قدم اليه ١٠٨ (مائة وثمانية من اقطاب الماركسية الذين كانوا مسلحين بالمادية الجدلية) اقتراحا يقولون فيه ان الاستعمار في ظل النظام الاشتراكي سيكون مأثرة حضارية . ولولا نشاط لينين لما هزم الاقتراح باغلبية ١٢٨ . تأمل ١٠٨ ضد ١٢٨ . ان الفارق ليس كبيرا . ومن هنا فان الثقة في منهجك المادي الجدلي لا يمكن ان تكون كبيرة ، عندما تكون القومية وقضاياها هما موضوع البحث ..

ثم تعال هنا .. يا اخ احمد !!

انك لم تتحدث عن الوحدة العربية في مقالك . تحدثت

عن الاندماج السياسي · وضربت امثلة بالاندماج السياسي «بين الامم» في الاتحاد السوفياتي في ظل الاشتراكية وبين الاندماج السياسي بين الشعوب في قبضة الاستعمار · يا اخ احمد ، قضية الوحدة العربية ليست قضية اندماج سياسي بين الامم ، وليست اندماجا سياسيا بقوة الاستعمار ، قضيتنا قضية الغاء تجزئة امة واحدة · قضية حق «الامة العربية» في تقرير مصيرها بان تكون لها دولة قومية واحدة ·

ان «حق تقرير المصير» الذي كان موضع التجربة في الاتحاد السوفياتي ، هو الوجه الخارجي للعملة القومية · هل تبقى الامم داخل الاتحاد السوفياتي ام تنفصل كل امة بدولتها القومية · ولكن هذه المسالة نفسها ، وكل ما كتب فيها ، لا يتضمن كلمة واحدة عن مشكلة امة مجزأة · لم تكن المشكلة مطروحة اصلا· كانت مطروحة في المانيا وايد ماركس وحدة الامة الالمانية في ظل النظام الاجتماعي شبه الاقطاعي شبه الرأسمالي الذي كان سائدا · قال سنة ١٨٤٨ «ان مصالح البروليتاريا تقتضي بالحاح التوحيد النهائي لالمانيا»· وكانت مطروحة في بولندا المقسمة بين المانيا وروسيا والنمسا وايدها ماركس ايضا ·· اما في روسيا فلم تكن قضية تجزئة امة · كانت وحدة امم متعددة اي اندماج سياسي كما تقول ·

ام انك تنكر ان ثمة في الارض امة عربية ·

اذا كنت تنكر فلماذا تتحدث اذن عن الوحدة العربية ؟ لماذا لا تندمج العراق مع ايران ؟ لماذا لا تندمج سوريا مع

تركيا لماذا لا يندمج السودان مع الحبشة ؟ · لماذا تقصر الاندماج على تلك الدول الموصوفة بانها «عربية» ؟ وماذا تعني كلمة عربية الا اذا عنت انها امة واحدة ! ؟

يا اخ احمد ··

صحيح كما قلت في المقدمة تحت عنوان «الثورة الاجتماعية والوحدة العربية» : «عند ملتقى هذين الرافدين من روافد الفكر العربي ، تصعب محاولات الملاحة والخوض في تدفقات الانهار المنساب من اندماجهما في مجرى الفكر العربي الواسع · فعند نقطة الملتقى هذه تكثر الدوامات وتتعدد المواقف حتى لتبدو الصورة وكأننا امام صخرة شماء» · هذا صحيح · ولكن غير الصحيح هو ما اضفته · «تتكسر على نتؤاتها كل محاولات الوحدة العربية فكرا وتنظيرا وتطبيقا» ؟ ·· لا يا اخ احمد الاضافة الصحيحة هي: تتكسر على نتؤاتها كل المحاولات الماركسية فكرا وتنظيرا وتطبيقا » ···

والامر بعد ، يحتمل كثيرا من جهود البحث ، كما قلت ايضا · فشكرا لك نيابة عن القراء اذ اغنيت «الشورى» بمقالك الجيد ، وشكرا لك من ابي ذر اذ اتحت له فرصة ان يشرك القراء في الحوار معك ولعل قراء الشورى ان يلتقوا بك دائما على صفحاتها ·

القاهرة في ٢٥ مارس ١٩٧٥

١٢

دعاء

في المقال الافتتاحي للعدد الاول من السنة الثانية لمجلة «الشورى» جامل الاخ بابكر مجلة «الشورى» ودعا لها بـأن تكون «الوثبة الكبرى في العام الجديد» · هذا بعد ان قال : «في البدء كانت «الشورى» تشع بالامل وبالتفاؤل والاستبشار الان تجربة العام الماضي المريرة والاسيفة قدكشفت للشورى ان الطريق الى استكمال مقومات الثورة العربية فكرياونضاليا وتنظيميا طويل وصعب ومليء بالعذاب» ·

صدق بابكر ونحن ننضم اليه في دعائه من اجل ان تكون الوثبة الكبرى في العام الجديد · ونختلف معه في محل الدعاء · نحن ندعو «للشورى» كتابا وقارئين · وهو يدعو «للشورى» رئيس التحرير · ذلك لان الاخ بابكر كرار عندما اراد ان يعرض ويستعرض فيحلل ويحدد مسار «الشورى» وتطورها خلال عامها الاول، كانفي الواقع يعرض ويستعرض ويحلل ويحدد مسار افكار جمعة المهدي الفزاني رئيس التحرير من خلال افتتاحيات الاعداد المتتالية · «الشورى» كما رآها الاخ بابكر هي ما كتبه رئيس التحرير لا غيره · وهي بالقطع ليست كذلك · بل نحسب ما كتبه ويكتبه رئيس التحرير كتقديم للعدد لا يعدو ان يكون تقديما لمادة العدد الاصيلة التي لم يشترك فيها رئيس التحرير · لهذا

فانـا وان كنـا نصـل مـع بابكـر الى النتيجـة ذاتهـا :
الامـل في ان تكـون الوثبـة الكبـرى فـي العـام الجديد
وندعـو «للشورى» معـه الا اننـا لا نصـل اليهـا مـن
الطريق ذاته ٠ وما دمنا وصلنا الى نقطـة التقـاء فـلا مبرر
للعودةالى مبررات اختلافالطرق٠ وانكنا نأسف اولا لانالاخ
بابكر كرار قد ضن بجهده الفكري على ان يعرض ويستعرض
ويحلل ويحدد مسار «الشورى» خلال مادتها المنشورة ٠نأسف
لان دراسة مثل هذه تأتي من قلم بابكر كانت ـ لا شك ـ قمينة
بان تزود قراء «الشورى» بزاد فكري غني وتغذي افكار الجيل
الجديد «بوجبة» صحية يطبخها خبير من العناصر الفكريـة
التي تناثرت على صفحات «الشورى» خلال عام ٠ ونأسف ـ
ثانيا ـ لفقرة جاءت في الحديث لم نستطع ان نعـرف كيف
انزلقت على طرف قلم الاخ بابكر ومـاذا تعني هي او مـاذا
يعني هو بها اذا لم تكن قد انزلقت عفوا وكان قـد تعمـد ان
يدسها في مقاله ٠ قال :

«في العدد السابع مزيد من الضوء ومزيد من التصحيح
ومزيد من تبديد الغموض الذي ورد في العدد الرابع وذلـك
بتأكيد ان وحدة قوى الثورة العربية في اطار البرنامج القومي
هي الجبهة العريضة للجماهير العربية في مواجهة الاستعمار
والتجزئة ٠٠ والتخلي عن (دولة الوحدة) وما يكتنفها مـن
غموض بديلا عن المطلب الاسبق وهو وحـدة قـوى الثـورة
العربية» ٠٠٠

التخلي عن دولة الوحدة وما يكتنفها من غموض ؟٠
هل فعل هذا جمعة بن المهـدي بن الفـزاني مـن وراء
ظهر ابي ذر ؟

اين ؟

قال بابكر كرار : في العدد الرابع ··

لنعد الى العدد الرابع ·

كتب جمعة المهدي الفزاني ، اطال الله بقـاءه ، تحت عنوان «ثم ماذا ؟» يقول ان في الساحة العربية مسارين :

«المسار الوحدوي التقدمي المرتكز على زخم الجماهير الملتحمة معه باعتباره يمثل اسمى اختياراتها الثورية لبنـاء مستقبل افضل لوطنها في ظل دولة الوحدة الاشتراكية حيث تحقق الجماهير عبر تقدمية اختيارها انسانية الانسان العربي في وطنه ، والتي تحرك فيه كل امكانيات الخلـق والابـداع ليسهم عبر ثورته القومية في دعم حركة الحضارة البشريـة في تحقيق طموحها الانساني ·

«المسار الاقليمي الرجعي المرتكز على معطيات الامـر (الواقع) والمرتبط معه وبه ومن خلاله بتحالفات مع قوى تشد ذلك الواقع الى تكريس التجزئة بكل ما تمثلـه مـن عجـز حضـاري بكـل عوامـل التكـريس الفكريـة والسياسيـة والاستراتيجية ومن ثم تكريس القوى المحركـة لذلك الواقـع والمتمثلة في القوى المستفيدة منه او المرتبطة به ومعه ارتباط البقاء والاستمرار فتحالفت القوى الرجعية والاقليمية» ·

هكذا عرض جمعة المهدي الفزاني «المسارين» المطروحين في الواقع العربي · ثم اختار ، اختار لنفسه واختار للقـوى التي ينتمي اليها · واختار للقراء او حرضهم على الاختيار فقـال :

«حسمت» الجماهير العربية عبر ثورتها التقدمية (موضوع الصراع) فاسقطت المضمون الاقليمي للواقع المعاش بكل ما يسحبه هذا المضمون من تخلف وتجزئة واستعمار يشد اجزاء الوطن (بشكل مباشر او غير مباشر) وحددت البدائل الثورية لواقعها الاقليمي فكان المضمون القومي منطلقا فكريا يحدد رؤى الثورة في حركتها الانية والمستقبلية وكانت الثورة الاداة الحركية التي حسمت الصراع عبر التفاف الجماهير حولها ولمصلحة الجماهير فاسقطت بذلك القوى المضادة لحركة الجماهير وحددت نوعية الصراع معهم ·· بمزيد من النضال الثوري ·· بمنظور قومي اشتراكي» ·

«وكانت الرؤى المستقبلية في بناء دولة الوحدة التقدمية معيارا استراتيجيا يحدد موقع الجماهير في صراعها مع الواقع ويحدد ايضا موقع الجماهير في تحديد فصائل ثورتها، وكلما كان النضال قوميا في مضمونه الفكري جماهيريا في محتواه الحركي كلما تحددت ابعاد الاستراتيجية القومية ، والتي ينتهي عندها وبها اي طموح استراتيجي قد تفرزه (الرؤى الاقليمية) حتى ولو كانت هذه الرؤى منبثقة عن بعض فصائل الثورة» ·

«بهذا المعيار القومي حددت الثورة العربية استراتيجيتها القومية في بناء دولة الوحدة ·· وبهذا المعيار حددت مسئولية الفكر القومي تجاه قضايا الثورة الفكرية والاستراتيجية والحركية ··»

هكذا قال جمعة المهدي الفزاني ·

فاين هو «التخلي عن (دولة الوحدة) وما يكتنفها من

غموض بديلا عن المطلب الاسبق وهو وحـدة قـوى الثـورة العربية ؟» ٠٠ لقد جاء ذكر دولة الوحدة في ثلاثة مواضـــع مما كتبه رئيس التحرير ٠ الموضع الاول قال فيه «مستقبـــل افضل ٠٠٠في ظل دولةالوحدة الاشتراكية»٠ والموضع الثاني تحدث فيه عن «الرؤى المستقبليـة في بنـاء دولـة الوحـدة التقدمية» ٠ والموضع الثالث قال «حددت الثـورة العربيـــة أستراتيجيتها القومية في بناء دولة الوحدة» ٠

كل هذا يعني – بمنتهى الوضوح – ان جمعة المهـدي الفزاني يتحدث عن دولة الوحدة الاشتراكية باعتبارها هدفا استراتيجيا لجماهير الثورة العربية ٠ انه – اذن – لم يتخل عنها كبديل لوحدة قوى الثورة العربيـة لانه لم يطرحهـا – ابدا – كبديل لوحدة قوى الثورة العربية ٠ ولكن الذي اكده صراحة وضمنا هو ان وحدة قوى الثورة العربية ليست ايضا بديلا عن دولة الوحدة ٠ وحدة قوى الثورة العربيـة اداة ٠ وسيلة ٠ اما دولة الوحدة فهي هدف ٠ غايـة ٠ انهـا هدف وغاية لقوى الثورة العربية ذاتها ٠ فكيف يمكـن ان تكـون الاداة والغاية بديلين؟ ٠٠

ثم ،

ان جمعة المهدي الفزاني عندما تحدث عن دولة الوحدة «الاشتراكية» حدد مفهوم الوحدة كهدف بكل ما هو لازم من وضوح ٠ ليس في دولة الوحدة الاشتراكية اي غموض ٠ فمن اين جاء الاخ بابكر بقوله «دولـــة الوحـدة وما يكتنفها من غموض» ٠ لم يأت بما قالـه رئيس التحريـر ، واني لاخشى – خشية جدية – ان يكون ذلك هو رأي الاخ بابكر وان يكون

رايه مثلث الاضلاع · دولة الوحدة وما يكتنفها من الغموض· التخلي عن دولة الوحدة · التركيز على وحدة قـوى الثورة العربية ···

السؤال حينئذ هو : من اجل ماذا تكـــون وحدة قوى الثورة العربية ؟·

اجاب بابكر ضمنا فقال :

«ان الشروط الموضوعية لوحدة حركة الثورة العربيـة لم تتوفر · هذه الشروط هي :

١ ـ الوضوح الفكري ·
٢ ـ القدرة التنظيمية على المستوى القومي ·
٣ ـ الاسس الاستراتيجية للثورة العربية ·

«ويترتب على هذا ان الطريق لوحدة الحركة الثوريـة يتطلب بالضرورة النضال من اجل الوحدة الفكرية وتحضير القدرات اللازمة لقيام تنظيم قومي ·

صدقت فسمعا وطاعة ولكن :

١ ـ اليس من الوضوح الفكري ان تعرف قوى الثـورة هدفها الاستراتيجي ·

٢ ـ اليست القدرة التنظيميـة على المستـوى القومي متوقفة على وحدة الهدف الاستراتيجي ·

٣ ـ اليست الاسس الاستراتيجية للثورة العربية تتضمن هدفها الاستراتيجي ·

واخيرا :

٤ ـ اليست دولة الوحدة الاشتراكية هي الهدف الاستراتيجي الذي لا يتضح الفكر الا به ، ولا تتم المقدرة التنظيمية الا بالالتقاء عليه ولا تقوم الاسس الاستراتيجية الا بتعيينه غاية لها ·

اين التخلي اذن واين الغموض واين البديل عن دولة الوحدة · ام اننا نريد ان نحقق الوضوح الفكري والقدرة التنظيمية والاسس الاستراتيجية ، وبالتالي وحدة قوى الثورة العربية لتصل بعض فصائل هذه القوى الى مقاعد الحكم في دولة اقليمية ثم تنسى لماذا كان وضوحها الفكري ومقدرتها التنظيمية واسسها الاستراتيجية كما حدث في تجارب عديدة في الوطن العربي · لا يا اخ بابكر · من اجل الا تستغل جماهير الثورة العربية الوحدوية مرة اخرى سيكون شرط الانتماء اليها منذ البداية هو اسقاط الاقليمية وتحقيق الوحدة ولو بين قطرين · لن تكون قوى الثورة العربية ـ مرة اخرى ـ مطية تدفع بقادة فصائلها الى مكان السلطة من اقاليمهم ثم ينقلبون عليها ويقفون منها مواقف اقليمية ترفع شعارات القومية او تغطي بها سوآتها · وانها لاقليمية اشد عداوة من الاقليمية العارية ·

ان احد العناصر الاساسية للوضوح الفكري والقدرة التنظيمية والتخطيط الاستراتيجي هو استيعاب التجارب

النضالية والتعلم منها وعدم تكرار الاخطاء · وقد تعرض هدف الوحدة لخيانات عديدة من قوى ما كانت لتحلم بمواقعها الحالية لو لم تعد الجماهير العربية بالوحدة ·· فحتى لا يخون احد بعد هذا ، ستركز «الشورى» في حديثها عن اي موضوع على علاقته بهدف الوحدة ·· فلعلك تساعد «الشورى» في وثبتها الكبرى التي لن تكون كبرى الا اذا ارتفعت الى مستوى الهدف الكبير : دولة الوحدة · حينئذ ستختفي من صفحاتها انماطا من الحديث المغلف بالقومية الذي يحتال بالكلمات الغامضة لينال من هدف الوحدة ·· كما فعل عبد الله زكريا ·

اني اشعر شعورا قويا ان بين التعبير الذي انزلق على قلم الاخ بابكر وما كتبه عبد الله زكريا قرابة قوية · قرابة فكرية · او قرابة ازمة اقليمية ·· كل ما في الامر ان الاخ بابكر اكثر وعيا ونضجا · ولعلي ان اكون مخطئا فيما اشعر به فاعتذر للاخ بابكر مقدما ·· اما عبد الله زكريا ·· فالى السفود ·

الغطاء القومي :

«ان الامة العربية لم تعد في حاجة الى ان تثبت حقيقة الوحدة بين شعبها · لقد تجاوزت الوحدة هذه المرحلة واصبحت حقيقة الوجود العربي ذاته · يكفي ان الامة العربية تملك وحدة اللغة التي تصنع الفكر والعقل ويكفي ان الامة العربية تملك وحدة التاريخ التي تصنع وحدة الضمير والوجدان ويكفي ان الامة العربية تملك وحدة الامل التي تصنع وحدة المستقبل والمصير» ·

«لقد حدد القائد الخالد جمال عبد الناصر في هـــذه العبارات الرائعة نقطة الانطلاق الصحيحة لمفهوم الوحـــدة العربية · فالعرب امة واحدة · والوحدة العربيـــة حقيقـــة قائمة · ويعني هذا ان النضال العربي لا يمكن ان يكون هدفه هو تحقيق الوحدة العربية كما يتوهم دعاة التجزئة والاقليمية نتيجة انحسار المد الثوري العربي في الوقت الحاضر وهؤلاء للاسف الشديد اكثر عددا واعلى صراخا وضجيجا · ولانهم ينطلقون من فرضية التجزئة والاقليمية فان هـدف النضـال العربي في نظرهم هو تحقيق نضال معكـوس للوصـول الى نقطة البداية ·ان مركب هيستريا التجزئة والاقليمية وانتشاره الواسع في ايامنا هذه هو المسـؤول الاول والاخيـــر عـن الانحراف والتخبط والضباب الفكري والانغماس في المتاهات العاطفية · ونخلص من هذا كله الى ان عقدة التجزئة الاقليمية جهالة فكرية ونزعة طفوليـة ترتضـي التفسيـرات المريحـــة الساذجة وتتلهف للنتائج السياسية السريعـة والسطحيـــة وتتهرب من المعاناة الفكرية الثورية والعمل الثوري الصبور ومراحله الموضوعية » ·

هذا الجزء الاول ، الرائق الواثق الصادق ، من مقـال «قراءةجديدة في مفهوم الوحدة العربية» ، الذي كتبـه عبـد الله زكريا ونشرته «الشورى» في عددهـا الاول من السنـة الثانية (ابريل ١٩٧٥) ، يأخذ مكانه بجدارة في الفكر القومي التقدمي · الاساس الذي طرحه المعلم في اسطر قليلة اساس صلب واقعيا وعلميا · وما بناه التلميذ على هذا الاساس لا تنقصه الصلابة والعلمية ·

لكي ندرك صلابته وعلميته دعونا نحلله ·

يقول الميثاق « ان الامة العربية لم تعد في حاجة الى ان تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها» والشعب العربي هو العنصر البشري من تكوين الامة العربية · ويقول : «لقد تجاوزت الوحدة» ، يعني وحدة الشعب العربي في هذه المرحلة · مرحلة الحاجة الى اثباتها» ·واصبحت حقيقة الوجود العربي ذاته ، لماذا ؟ يقول الميثاق : لان الامة العربية «تملك وحدة اللغة التي تصنع الفكر والعقل» · «فهي تملك وحدة اللغة ووحدة الفكر والعقل · و«تملك وحدة التاريخ التي تصنع وحدة الضمير والوجدان» · فهي تملك وحدة اللغة ووحدة الفكر والعقل ووحدة التاريخ ووحدة الضمير والوجدان · و«تملك وحدة الامل التي تصنع وحدة المستقبل والمصير» · فهي ، كحصيلة لكل هذا تملك وحدة اللغة ووحدة الفكر والعقل ووحدة التاريخ ووحدة الضمير والوجدان ووحدة الامل ووحدة المصير ·· وما دامت الامة العربية تملك كل هذا فان وحدة شعبها لم تعد في حاجة الى إثبات ··

اسئلة واجوبة :

سؤال : عمن يتحدث الميثاق ؟
جواب : عن الامة العربية ·
سؤال : من اية ناحية ؟
جواب : من حيث هي مجتمع بشري ·
سؤال : كيف ؟
جواب : لانه يدلل على وحدة المجتمع البشري الذي هو شعب واحد بخصائصه المشتركة · التاريخ الواحد والمصير الواحد واللغة الواحدة · وما يتفرع عنها من

وحدة الفكر والعقل والضمير والوجدان والامل ·

سؤال : هل تحدث الميثـــاق في تلك الفقـرة صراحـــة او ضمنا ، عن الوحدة السياسية ؟

جواب : لا ، ومستحيل · لانه يتحدث عن وحدة الامة العربية من حيث هي «حقيقة الوجود العربي» · ولانـه يقول ان هذا الوجود لم يعد في حاجـة الى اثبـات · وينفي حاجته الى الاثبات بما يقدمـه مـن ادلـة على الوجود الاجتماعي الواحد للامة العربية مع ان الوحدة السياسية غائبة · بل ان ما يقوله الميثـــاق يتضمـن تحديا للتجزئة السياسية وشرعيتها اذ يثبت انها قائمة على امة واحدة وتجزىء شعبا واحدا ·

معقول :

على هذا الوجه من الفهم لكلمات الميثاق يكون ما بناه عبد الله زكريا بناء صلبا ·

١ ـ فما حدده الميثاق (الوجود القومي) هـو نقطـــة انطلاق · بمعنى انه وجود سابق على اية حركة ومنه تنطلق اية حركة ·

٢ ـ «العرب امة واحدة والوحدة العربية حقيقة قائمة»· طبعا من حيث هي مجتمع متكون تاريخيا وبصرف النظر عن التجزئة السياسية ·

٣ ـ «وبمعنى هذا ان النضال العربي لا يمكن ان يكون

هدفه تحقيق الوحدة العربية» · معقول · بشرط ان يبقى تعبير الوحدة العربية على دلالته الاجتماعية · «وحدة الأمة العربية» من حيث هي مجتمع ذو خصائص واحدة · لان النضال العربي الذي ينطلق من وجود الامة لا يمكن ان يكون هدفه ايجاد الامة ·

٤ ـ «كما يتوهم دعاة التجزئة والاقليمية» · لانهم ينطلقون من الوجود الاقليمي والتجزئة · وهم دعاتها اي انصارها · وهم واهمون اذ تكون غاية نضالهم ان يحققوا وجود الامة العربية الموجود اصلا ·

٥ ـ «ان عقدة التجزئة والاقليمية جهالة فكرية ونزعة طفولية» · نعم · لانها تتوهم ما هو موجود ليس موجودا اصلا فهي جهل بالواقع الاجتماعي للامة العربية · ولانها تحاول ايجاد ما هو موجود فهي تعبث · وهو سلوك طفولي ·

كل هذا مفهوم ·· ومن عندنا نضيف للايضاح ··

قضية الوجود القومي :

ثمةتيار فكري محدود ، من فروع التيارات الماركسية المتعددة في الوطن العربي ، يعتقد ان الامة العربية امة في دور التكوين لم تكتمل وجودا ، اذ تنقصها ـ فيما يقولون ـ وحدة الحياة الاقتصادية قياسا علىالتعريف الستاليني للامة· وبالتالي فهم ينطلقون من التجزئة الاقليمية حيث تكون غاية النضال القومي في الوطن العربي هو «اكمال» وجود الامة العربية · هذا التيار يقف ضد التيار القومي التقدمي · هذا

واضح · ولكنه يقف ايضا ضد تيار فكري اخر من فـــروع التيارات الماركسية المتعددة في الوطن العربي يعتقد ان الامة العربية قد اكتملت وجودا كأمة ·

هل الامة العربيـــة امــة مكتملـــة الوجــود ام في دور التكوين ؟

كانت ، وما تزال ، هذه القضية محل خلاف بين تيارات وفروع الماركسيين · وقد ثار اعنف خلاف حولها في صفوف الحزب الشيوعي السوري · واحتكم الطرفان الى الحـــزب الشيوعي السوفيتي الذي كون للحكم فريقين: فريقا من العلماء وفريقا من الساسة · وانتهى الى رأي لم يقبله جميع الاطراف فانشق الحزب الشيوعي السوري حول هذا السؤال والاجابة عليه · وفيما يلي نورد القصة باختصار ···

كان الحزب الشيوعي السوري يعاني ازمة داخلية ، فكرية وسياسية ، منذ ١٩٦٩ · وفي سنة ١٩٧٠ اشتدت الازمة حول ما سمي «مشروع البرنامج السياسي للحزب الشيوعي السوري» كان الخلاف يدور حول نقاط كثيرة اهمها : الوحدة العربية · الموقف من قضية فلسطيـــن · ضـــرورة توحيـــد الشيوعيين العرب في حزب شيوعي واحد ·· يهمنا منها الان النقطة الاولى :

جاء في مشروع البرنامج ·· في المقدمة :

«ان الشعب العربي السوري الذي هو جزء لا يتجزأ من الامة العربية له مع سائر شعوبها اهداف ومصالح مشتركـة

وفي رأس هذه الاهداف تصفية الامبريالية والصهيونية واحباط مؤامراتهما واعتداءاتهما المستمرة وحل القضية الفلسطينية على اساس عودة الشعب العربي الفلسطيني الى ارضه وحقه في تقرير مصيره واستخدام مختلف اشكال النضال التي يقررها هذا الشعب وتحقيق الوحدة العربية وبناء النظام الاشتراكي · ولهذا فان العملية الثورية الجارية في سورية تحمل الى جانب طابعها الوطني والاجتماعي طابعا قوميا عربيا وامميا ايضا » ·

وجاء في مشروع البرنامج تحت عنوان «الوحدة العربية» :

«تتوفر لدى العرب كل مقومات الامة الواحدة ومع ذلك فانهم يعيشون موزعين في بضعة عشر بلدا تشغل مساحات واسعة في شمال افريقيا وغرب اسيا · ان وحدة اللغة والتاريخ والارض والتكوين النفسي المشترك الذي يجد تعبيرا له في الثقافة المشتركة وتوفر امكانيات التكامل الاقتصادي كل ذلك يجعل من العرب امة واحدة تناضل من اجل كيان مستقل وموحد» ·

قلنا انّ الخلاف الذي ثار حول هذه القضية ، وقضايا اخرى ، قد طرح للتحكيم ، اوالاستشارة علىالحزب الشيوعي السوفيتي · والى هناك رحل خالد بكداش ويوسف فيصل ودانيال نعمة وظهير عبد الصمد ورياض الترك ومراد يوسف وواصل فيصل · رئيس واعضاء قيادة الحزب الشيوعي السوري· وقلنا ان الحزب الشيوعي السوفيتي قد انشا فريقين للحكم في الخلاف : فريقا من العلماء ، وفريقا من الساسة ·

قال فريق العلماء !!

ان البحث حول الوحدة العربية طويل في المشروع ٠ وهذا البحث هو مأثرة الحزب الشيوعي السوري ويمكن ان يفيد مجموع الحركة الشيوعية ولكن هناك عدة قضايا ٠ قضية وجود امة عربية واحدة في الوقت الحاضر ٠ يجب اخذ مميزات الامة كما صاغها ستالين ٠ هناك ميزة ليست متوفرة وهي الاقتصاد المشترك ٠ لم يقل ستالين السوق المشتركة بل الاقتصاد المشترك ٠ تعبير الامة العربية الواحدة الان ليس موضوعيا ٠ يمكن الكلام عن الشعب العربي ٠ طبعا نفى وجود الامة العربية في البرنامج يضر سياسيا ولكن تثبيتها ايضا في البرنامج غير صحيح لان الماركسية اللينينية تنفي ذلك ٠ يمكن الكلام عن عملية تكوين الامة العربية ٠ هذا ليس تصريحا صحفيا ٠ هذا برنامج ٠ لذلك لا يجوز القول ان الامة العربية متكونة تماما ٠ اذا قلنا ان الامة العربية موجودة نزعنا الهدف ، ازلناه ، اما اذا قلنا : الهدف هو بناء الامة وبناءوحدتها فذلك يعطيهدفا لمن يتوجهلهم البرنامج ٠٠ العامل الاقتصادي في قيام الامة وتكوينها هو عامل حاسم ٠ في قضية الامة يجب الكلام عن الشعب لا عن القومية ٠ الامة هدف لانها ليست مكونة بعد ٠٠ الخ ٠

وقال فريق السياسة !!

«ان تكون الامة العربية لا زال يجري ولا بد له من عشرات السنين ٠٠ الدولة العربية الموحدة ليست هدفا حاليا وليس لها معنى ملح ٠ اما انها هدف استراتيجي نهذا يمكن الموافقة عليه ولكنها ابعد من الهدف الاستراتيجي ٠٠ يجب ان يشار في مشروع البرنامج الى مساعي الشيوعيين لاستكمال تكوين الامة العربية وتحقيق وحدة عربية ولكن لا يجب المبالغة والانصراف عن الاهداف القومية ٠٠ الوحدة العربية قضية بعيدة ٠٠٠٠٠ الخ ٠

اذن فقد افتى علماء وساسة الحزب الشيوعي السوفييتي بان العرب ليسوا امة مكتملة التكوين · ورتبوا على هـــذا ان الوحـــدة العربيـــة قضية بعيـــدة ·· مـــا بعـــد الاهداف الاستراتيجية · مع ان دولتهم قد نشرت كتابا بعنوان« مسألة الامة » لمؤلفتها بيلينا مودرجينسكايا تقول فيـــه « ان احـــد الحجج الرئيسية التي يستخدمها المفكرون الرجعيون للامبريالية لكي يعيقوا الشعوب عن ان تملك مصيرها هي ادعائهم ان هذه الشعوب لم تصبح امما بعد ومن ثم فهي لا تملك الحـــق في السيادة القومية » ·· ما علينا ·

المهم ان نصائح الرفاق السوفييت قد طرحت للمناقشة في المجلس الوطني العام لحزب الشيوعي السوري الـــذي انعقد في ١٩٧١ فانقسم المؤتمر على نفسه انقساما ادى الى انشقاقه · وكان وجود او عدم وجود الامة العربية احـــد الاسباب الاساسية في هذا الانشقاق ·

فريق منهم خالد بكداش قال من بين ما قال :

«ينبغي ان يكون واضحا ان الوحدة العربية هي الطريق نحو استكمال تكوين الامة العربية تكوينا كاملا · هي الطريق نحو اندماج العرب في امة واحدة مستكملة جميع مقومات الامة · او بعبارة اخرى ان الوحدة العربية ليست نتيجـــة استكمال الامة العربية لتكوينها بل ان الوحدة العربية هـــي نتيجة موضوعية لوجود شعب واحد هو الشعب العربي في دول متعددة وبالتالي فهي الطريق لاستكمال الشعب العربي تكوينه كأمة واحدة » ·

هذا الخالد البكداش قد قال عام ١٩٢٧ فيما كتبه تحت عنوان « في طريق النهضة الوطنية » : « ان الاشتراكية العلمية تقرر على اساس درس تاريخ الامم والقوميات وتطورها ان الامة هي جماعة ثابتة من الناس مؤلفة تاريخيا ذات لغة مشتركة وارض مشتركة وحياة اقتصادية مشتركة وتكوين نفسي مشترك يجد تعبيرا عنه في الثقافة المشتركة (تعريف ستالين) .. ان جميع مقومات الامة الانفة الذكر التي تقررها الاشتراكية العلمية متوفرة في العرب كما هو واضح ساطع كالشمس في رابعة النهار» .

لماذا غابت شمس بكداش في رابعة النهار ؟ ..

الجواب كان في مقدمة كلمته امام المجلس الوطني ، قال :

«ان السؤال بالنسبة الينا هو : ما الذي يميز موقفنا نحن الشيوعيين عن الاخرين في قضية الموقف من الاتحاد السوفييتي ومن حزب لينين . ان ثمة شيئا رئيسيا يميز موقفنا نحن الشيوعيين هو اننا لا نكتفي ولا يمكن ان نكتفي بالاعلان عن تمسكنا بالصداقة العربية السوفيتية وعن نضالنا الدائب في سبيلها . لا يمكن ان نقول نحن اصدقاء الاتحاد السوفييتي وان نقول في الوقت نفسه : لسنا موافقين مع حزب لينين على هذا او هذا من المواقف في هذه او هذه من القضايا » .

« انني اكرر : لا يكفي ان نعلن نحن الشيوعيين اننا اصدقاء الاتحاد السوفييتي بل ينبغي ان تنسجم استراتيجيتنا مع الاستراتيجية العامة للحركة الثورية العالمية التي يؤلف

الحزب الشيوعي السوفياتي قوتها الرئيسية وطليعتها · تلك هي القضية الرئيسية · تلك هي ميزتنا الاساسية نحـــن الشيوعيين » ··

وميزة خالد بكداش انه مطلق الولاء للاتحاد السوفياتي ·· ولا ولاء له لاحد غيره حتى لو كان الشعب الذي ينتمي اليه · في حدود ولائه يفكر ويدير ويقود الحزب الشيوعي السوري سابقا ·

ضد هذا الموقف « البكداشي » وقفت اغلبية المؤتمر الوطني تردد وتؤكـــد مـــا قاله ظهيـــر عبـــد الصمـــد امين اللجنة المركزية · قال :

« ان القضية ينبغي ان تعالج بعيدا عن الرغبات بشكل علمي وموضوعي · هل هناك امة عربية قائمة فعلا · امة عربية مجزأة تتوفر لها كافـــة السمات والشروط والعوامل كما هي موجودة في صيغة ستالين : جماعة ثابتة من الناس تكونت تاريخيا لها لغة مشتركة · لها ارض مشتركة ومصالح اقتصادية مشتركة وتكوين نفسي مشترك يجد تعبيرا له في الثقافة المشتركة ·· فانا مع اعتراضي على اسلوب الصيغ والتعاريف في قضية الامة والاستناد اليها في الحكم على وجود او عدم وجود الامة الا انني ايضا لا يمكنني تجاهـــل التعاريف كمحصلة عامة تعكس الاشياء الاساسية التي ينبغي توفرها في الامة ·· ولكن هل عدم تكامل سمة المصـــالح الاقتصادية بسبب التجزئة التي فرضها الاستعمار او التخلف او الرجعية ينفي وجود الامة ؟ في الفيتنام الجنوبية والفيتنام

الشمالية توجد ايضا تجزئة ويوجد انتفاء للمصالح الاقتصادية المشتركة حاليا فهل يعني ذلك ان الامة الفيتنامية غير موجودة او غير متوفرة لها سمات الامة ٠ وكذلك توجد مثل هذه الحالة في كوريا الجنوبية وكوريا الديموقراطية وكذلك في المانيا الغربية والمانيا الديموقراطية فهل لا توجد امة كورية او امة المانية ؟ ٠٠ لا اعتقد ٠ ان قضية الامة العربية ووجودها او عدم وجودها لا يجوز النظر اليها بهذا الشكل ٠ ان الامة العربية ككل امة تتعرض في تاريخها لعوامل الاتصال والانفصال واشتداد او تراخي الروابط الاقتصادية بفعل ظروف طارئة ومؤقتة او ظروف قاهرة ولكن ذلك كله على اهميته لا يغير ولا يمكن ان يغير بصورة اساسية حقيقة ان الامة لا تزال قائمة » ٠٠

قال كل كلمته ثم انشق الحزب ٠ لماذا ؟

اهمية الموضوع :

لم يكن الميثاق ، ولا كان « الرفاق » السوفييت ، وما كان بكداش وصحبه ، ولا كان اخرون يعيشون وهم يناقشون مسالة « وجود الامة العربية » ٠ انها ليست معركة كلام ٠ ليست معركة ثقافة ٠٠ انها معارك تدور حول المواقف النضالية الثورية ٠٠ من هدف الوحدة العربية ٠ الوحدة السياسية ٠ الترجمة الواقعية لحق تقرير المصير الذي يقول ان لكل امة واحدة حقا في ان تكون لها دولة قومية واحدة ٠

فان كانت الامة العربية غير مكتملة التكوين فلا بد ان

يتجه النضال التقدمي الى اكمال تكوينها ثم تطرح بعد ذلك ـ وليس قبل ذلك ـ مسألة الوحدة السياسية (الدولة القومية الواحدة) · ولما كان اكمال تكوين الامم عملية تاريخية قد تقتضي قرونا فان الوحدة العربية تكون هدفا يتجاوز حتى المنظور الاستراتيجي · وتبقى التجزئة الاقليمية باعتبارها المنطلق · الواقع انها لا يمكن تسميتها تجزئة لانها غير واردة على امة واحدة · هي اقليمية مشروعة اجتماعيا والوحدة غير مشروعة · هي الاصل المقبول والوحدة هي الطموح البعيد الذي قد يقبل في حينه وقد لا يقبل ·

اما اذا كانت الامة العربية مكتملة التكوين فلا بد ان يتجه النضال التقدمي الى الغاء تجزئتها وتكون الوحدة السياسية (الدولة القومية الواحدة) هدفا ملحا · يبدأ النضال اليه فورا ، وبكل الاساليب ، بصرف النظر عن الفترة الزمانية التي يستغرقها هذا النضال الى ان ينتصر فيلغي التجزئة ويحقق الوحدة · تصبح الوحدة هدفا استراتيجيا يضبط خطا النضال التكتيكي والمرحلي · وفيه تكون وحدة الوجود القومي هي المنطلق · والتجزئة الاقليمية عدوانا غير مشروع اجتماعيا · تكون الوحدة هي الاصل المقبول والتجزئة هي الطارىء الذي يجب ان يزول ·

وتتفرع عن هذه المواقف المبدئية مواقف كثيرة من اداة النضال الجماهيري · فهي احزاب اقليمية او هي حزب قومي · ومن التنمية الاقتصادية · فهي بناء لكل دولة على حدة او هي بناء في كل دولة طبقا لما هو متاح في نطاق خطط بناء قومي ··· الخ ·

اذن ، فان الاسس الفكرية التي جاءت في الميثاق ، وما بناه عليها عبدالله زكريا في بداية مقاله عن « قراءة جديدة في مفهوم الوحدة العربية » ليست مجرد كلام نظري بل هي منطلقات نضـال يحدد مواقف عينيـة محددة مـن الوحدة العربية ، وعلى ضوئه تفرز المواقف فتتوحد او تنشق ·

دون كيشوت :

في الفترة من ١٥٤٧ الى ١٦١٦ عاش في اسبانيـا انسان غريب الاطوار ، عبقري ، اسمه ميجيل دي سيرفانتس ·· عاش اغلب حياته يحاول بكل جهد ممكن ، شريف او غير شريف ، ان يحل مشكلة « لقمة العيش » · ودخل السجن عشرات المرات من اجل جرائم تمس امـانته · امـانته في المسائل المالية · وبلغ به البؤس حـدا دفعه الى ان يلتمس ما يكفي اسرته لكي تعيش ، في احتراف القتال · ولم يكـن حظه كمقاتل افضل من حظه في اي مجال اخر · فوقع في الاسر هو يقاتل ضمن حملة غازيـة هاجمت الجزائـر ولـم تفلـح · وفي الجزائر قضى خمس سنوات اسيرا الى ان افتدته والدته ·

كان ذلك الانسان الغريب العبقري ، يحتال على مصاعب الحياة بين حين واخر ، بكتـابة مسرحيـات « تافهـة » · ولكنه في عام ١٦٠٥ اخرج للناس فجاة ، اروع واخلد مـا كتب الادب العالمي اطلاقا واوسعها انتشارا بدون منافس ، انه الكتاب الذي اعيد طبعه ثلاث مرات في بضعة اسابيـع

وست مرات في عام واحد وترجم الى عدد من لغات العالم لم يترجم اليها اي كتاب اخر ·

الكتاب ، القصة ، عن مغامرات صاحبين · اولهما خلقه دي سرفانتس واسماه دون كيشوت · والثاني خلقه ، واسماه سنكوبانزا · وبدءا مغامراتهما وانتهيا معا · اما دون كيشوت ، كما خلقه دي سرفانتس ، فانسان عاقل ، فيلسوف ، سوي السلوك في كل شيء الا في قضية واحدة · هو فيها لا عاقل ولا فيلسوف ولا سوي السلوك · هذه القضية هي النجدة وحماية المظلومين من البشر · يقاتل في سبيلهم بدون تردد ، وبشجاعة غير معقولة · على حصان اعجف وبسيف مثلوم ورمح خرع ومهارة معدومة تقريبا ، انطلق دون كيشوت في رحلة طويلة طاف بها اسبانيا يبحث عن المظلومين والضعفاء · ويحارب متحديا كل ظالم قوي لان تلك هي رسالته · ولقد كان سرفانتس يسخر بكلذلك من تقاليد الفروسية التي كانت سائدة كقيمة انسانية راقية في القرون الوسطى في اوروبا · نقول قيمة لان الفروسية كممارسة كانت قد انقضت قبل ان يولد سرفانتس ولكنها بقيت تراثا في القصص تحظى باعجاب الكثيرين · هذا يعني انه عندما بدأ دون كيشوت رحلته النضالية من اجل الدفاع عن المظلومين والضعفاء كان وحيدا · كان غريبا · كان يمثل نظاما انقضى منذ سنين طويلة · وهذه اولى الخصائص« اللاذعة » للدون كيشوتية · احياء المواقف المهترئة وبعثها من قبور التاريخ ثم توهم انها « جديدة » · او بمعنى « عصري » اثارة قضايا يقال لها جديدة بينما هي قد درست فلم يعد يثيرها احد · الدون كيشوتية هنا تنصب

على « توهم الجدة كما كان دون كيشوت يتوهم انه ما يزال يعيش في نظام الفروسية الذي انقضى ·

ولما كان دون كيشوت كما خلقه سيرفانتس ، عاقلا ، فيلسوفا ، سوي السلوك ، الا في جزئية نضاله ضد اعداء غير موجودين من اجل اهداف غير مطروحة ، فان ذهنيته « المريضة » كان لا بد لها من ان تختلق ضحايا وظالمين ، ضعافا واقوياء ، معتدى عليهم ومعتدين ، ليكون لـه دور المنقذ المنجد المغيث ، وقد صور لـه خياله المريض عشرات الاعداء الذين لم يتردد في الهجوم عليهم فلا يلاقي سوى الهزيمة المهينة · اشهرهم تلك « الجحافل المعتدية » التي رآها خلال ضباب فجر احد الايام فانطلق اليها مهاجما حتى اذا اقترب من طلائعها طعنها بحربة طاعنة كادت ان تكون قاتلة · قاتلة للسيد دون كيشوت نفسه · اذ لم تكن تلك الجحافل الا صفا من «طواحين الهواء» · طعن دون كيشوت احداها فجذبته اليها وما زالت تدور به حتى القته بعيدا عنها محطما تقريبا · واصبح مما يجري على اسنة الاقلام والسنة القائلين ان الدون كيشوتية هي محاربة « طواحين الهواء » · (والحق ان الطواحين هي الرحى اما ادوات الطحن بالهواء او البخار فاسمها مطاحن مفردها مطحنة) · ولم يكن ذلك الا مثلا لكل مختلق اعداء او مواقف معادية لا وجود لها · انما يختلقها ليهاجمها فيرضى نزعته الدون كيشوتية ·

دون كيشوت « الشورى » :

دون كيشوت العدد الاول من السنة الثانية (ابريل ١٩٧٥) من « الشورى » هو عبدالله زكريا نفسه · كان في

بداية مقاله « قراءة جديدة في مفهوم الوحدة العربية » عاقلا فيلسوفا سوي السلوك ، وان كان ادعاء « الجديد » مؤشرا الى الغرابة المتوقعة · ولقد اوضحنا عقله فيما سبق · ولكنه ، فجأة وبعد تلـك البداية مباشرة ، اكمل لنـا صورة دون كيشوت المعروفة واخذ يهاجم بقسوة « مطاحن الهواء » ·

المطحنة الاولى :

قال : «يرى البعض ان الوحدة العربية حركة سياسية تهدف الى انجاز مهام التحرير الكامل من الاستعمار بشكليه القديم والحديث والتخلص من التبعية والانطلاق لبنـــاء التقدم العربي بالارادة العربية الحرة · وان مبررات الوحدة العربية تكمن في ضرورة حشد طاقات الجماهير العربيـــة لانجاز مهام التحرر والسيادة القومية في اسرع وقت ممكن»·

وطبيعي ان مثل هذا المعنى لم يخطر على بال احد الا عبدالله زكريا · وعلى قدر ما نعلم لم يقل احد ان الوحدة العربية حركة سياسية · قيل ان الثورة العربية ، او الحركة القومية ، او الحركة الوحدوية ·· حركة سياسية ·· ولكن الوحدة العربية هي غاية وهدف اي من تلك الحركات ولكنها هي ليست حركة سياسية · وبقدر ما نعلم لا يمكن ان يخطر ببال احد ان مبررات الوحدة العربية تكمن في ضرورة حشد طاقـات الجماهير العربية لانجـاز مهـام التحرر والسيادة القومية في اسرع وقت ممكن · ان هذه هي مبررات وحدة القوى العربيـة التقدميـة ، او مبررات التنظيـم القومي ،

وستكون غايتها بعد انجاز مهام التحرر والسيادة القومية في اسرع وقت ممكن ان تجسد تلك السيادة في دولة الوحدة ٠

بعد ان اختلق عبد الله زكريا هـذا المفهوم المستحيل اخذ يهاجمها فقال :

«ان المفهوم السياسي البحت لحـركة الوحـدة العربية يفسح المجال لتسرب التيارات المعاديـة للعروبة كالتيارات الليبرالية التي وجدت طريقها الى معظـم الحركات الوطنيـة العربية واقامت انظمـة للحكـم لا تختلف في جوهرها عـن انظمـة الـدول الغربية المستعمرة وحافظت على الثقافـة الاستعمارية واسلوبها في الحياة فلم يؤثر جلاء الاستعمـار المادي شيئا وفي هذا المنـاخ تعاظم تاثير الحضارة الغربيـة والراسمالية المسيحية بكل ما تحمل من مؤثرات صهيونيـة علنية او مستترة ٠٠ »

انه دون كيشوت في ضرباته العشوائية ضد اعدائـه الموهومين ٠

« المفهوم السياسي البحت لحركة الوحدة العربية » ٠ لا يوجد ولا يمكن ان يوجـد مفهوم سياسي بحت ٠ « يفسح المجـال لتسرب التيـارات المعادية للعروبـة كالتيارات الليبرالية » ٠٠ الليبرالية منهج معاد للاشتراكية ولكنه ليس معاديا لا للقومية ولا للعروبة ٠ ومن قبـل توحـدت المانيـا وايطاليا ليبراليا ٠ انما هو معاد الان للوحدة الاشتراكيـة وليس للعروبة ٠ «تعاظم تاثيرا للحضارة الغربية والراسمالية المسيحية» ٠ لا يوجد ولا يمكن ان يوجد ما يسمى الراسمالية

المسيحية · الرأسمالية نظام اقتصادي لا تهمه الاديان في شيء · اما اذا كان يتصور ان المسيحية مثلا تجيز الربا وهو مدخل الى الرأسمالية فانه لا يعلم من امر المسيحية الشيء الكثير · ان المسيحية لا تحرم الربا كالاسلام تماما ·

ثم قال : «كما استغلت الشيوعية العالمية هذا الشعار (يعني المفهوم السياسي البحت لحركة الوحدة العربية) باعتبار الشعب العربي جزءا من الجبهة العالمية المعادية للاستعمار وحليفها موضوعيا وتلقائيا للمعسكر الشيوعي من الصراع ضد الاستعمار والرأسمالية العالمية فتكونت الاحزاب الشيوعية العربية واستطاعت في بعض الاحيان ، وفي غياب البرنامج القومي الثوري ، ان تفتح الطريق لتنظيم الجماهير في جبهات عريضة وتوعيتها بمشاكلها اليومية وتسليحها بمنهاج ثوري لمحاربة الاستعمار وحليفاته من الانظمة الرجعية والاقطاعية والرأسمالية والبورجوازية العميلة والهامها المثل الحي في الثورات الشيوعية التي تثبت التقدم في اقطارها بسرعة مذهلة ·· »

انه هنا دون كيشوت المهزوم المسحوق الذي يتخيل انه منتصر · ان ما قاله عبد الله زكريا عن الشيوعية ، لو صدق، لفتح ابواب الترحيب بالشيوعية في كل مكان من الوطن العربي · وماذا تريد الجماهير العربية اكثر من تسليحها بمنهاج ثوري لمحاربة الاستعمار وحليفاته من الانظمة الرجعية والاقطاعية والرأسمالية والبورجوازية العميلة وان تلهم المثل الحي في بناء التقدم · لماذا تهاجمها اذن · ؟ ثم لماذا تهاجم الوحدة بمفهومها السياسي البحت ، ان كان ثمة وجود لهذا المفهوم ، اذا كانت تؤدي الى الجماهير العربية كل تلك

المكاسب والفاعلية الثورية ضد اعدائها · الم يقرأ الاخ عبد الله زكزيا ، او يسمع ابدا ، ان الشيوعية ضد الوحدة العربية باي مفهوم ؟ لا بد ان قرأ او سمع · انما الذي لم يقرأ ولم يسمع فهو دون كيشوت الذي كتب في « الشورى » بتوقيع عبد الله زكريا ·

ثم ،

« ان مفهوم الوحدة العربية السياسي يجرد الامة العربية من خصائصها الفريدة والتي بفضلها تمكنت الامة العربية ان تحافظ على وجودها ومقوماتها كأمة واحدة في وجه جميع المحاولات المتصلة التي استهدف بها اعداؤها طيلة قرون عديدة ان يمزقوا ذلك الوجود وان يمحوا هذه المقومات ··· »

يا اخ عبد الله ·· آسف يا سيد دون كيشوت ·

كيف تجرد الوحدة السياسية الامة العربية من خصائصها الفريدة · هل تجردها من اللغة العربية ام ان التجزئة تنمي اللهجات الاقليمية على حساب اللغة القومية · هل تجردها من وحدة التاريخ ام ان التجزئة تختلق لكل اقليم تاريخا خاصا على حساب التاريخ القومي · هل تجردها من وحدة الحضارة ام ان التجزئة تبني في كل قطر حضارة اقليمية على حساب الوحدة الحضارية · هل تجردها منوحدة المصير ام ان التجزئة تدفع بكل قطر الى مصيره المنفرد المجهول بعيدا عن مصير الامة · واذا كان الاعداء طيلة قرون عديدة يحاولون تمزيق الوجود القومي افلا ترى ان التجزئة السياسية هي تمزيق سياسي كمقدمة لتمزيق اجتماعي وحضاري ··

المطمئة الثانية :

قال : « ويرى اخرون ان هدف الوحدة العربية ومغزاها الاوحد هو التصدي لدولة اسرائيل التي زرعها الاستعمار والصهيونية العالمية في قلب الوطن العربي بطرد الشعب العربي الفلسطيني من وطنه ... »

فهل قال احد هذا ؟

اقصى ما قيل ان دولة الوحدة « النواة » لازمة لمواجهة الاستعمار والصهيونية . ويعنون بها دولة تضم الاقطار المتاخمة لفلسطين المحتلة . ولكن لم يقل احد ان هدف الدولة العربية ومغزاها الاوحد هو تحرير فلسطين. اولا ـ لان هدف الوحدة سابق تاريخيا على الاحتلال الصهيوني لفلسطين . ثانيا ـ ان هدف الوحدة اعني الوحدة الشاملة ، لن يتحقق الا بعد تحرير فلسطين ، ولم يقل احد ولا يمكن ان يقول الا دون كيشوت عربي ان المغزى « الاوحد » للوحدة العربية هو تحرير فلسطين . « الاوحد » يا سيد دون كيشوت ؟.. الاوحد ؟.. سامحك الله ولكنك اختلقت هذا المفهوم لتهاجمه فقلت » :

« مهما تباينت الاراء وتشعبت فمن السخف والهزل القول بتجميد القضية الفلسطينية الى ان تتحقق الوحدة الغربية السياسية » .. انك ترد على نفسك . فانت وحدك من دون العرب جميعا الذي خطرت بباله فكرة تجميد القضية الفلسطينية الى ان تتحقق الوحدة العربية السياسية . وهو

خاطر ـ كما تقول ـ سخيف وهـازل انـك تهـاجم اوهـامك الشخصية كما فعل دون كيشوت تماما ·

المطعنة الثالثة :

قال : « وهناك مفهوم ثالث يقول بان الهدف الاساسي والاوحد لحركة الوحدة العربية هو بناء الاشتراكية في الوطن العربي ···» ثم يعترض عليه ·· ومع ذلك عـاد فهاجمـه فقال :

« ونتيجة لهذه الظروف ظهرت المدارس الاشتراكيـة المختلفة في الوطن العربي كالاشتراكية العربية والاشتراكيـة القومية والاشتراكية البعثية ·· الخ · هذه المدارس مهمـا تعددت واختلفت وتصارعت لا تخرج عن كونها تعبيرات عـن اثر الفكر الماركسي بشكل او باخر · بمعنى انها تعجـز عن رؤية مقومات الامـة العربية وتحصر جهودهـا في بنـاء الاشتراكية في الوطن العربي ··· »

ما هذا ؟·· حتى دون كيشوت كان في نوباته الذهنية اكثر منطقا ·

اولا ، من قال ، وهل يمكن ان يقول احد ، ان الهـدف الاساسي « والاوحـد » لحـركة الوحدة العربيـة هو بنـاء الاشتراكية في الوطن العربي · ان اي اشتراكي بـاي معنى يدرك انه الى ان يتم بناء الاشتراكية في الوطن العربي لا بد لحركة الوحدة العربية من ان تحرر كامل الارض العربيـة وتلغي التجزئة في الوطن العربي كلـه لتقيم دولة الوحـدة

الشاملة وبها يتم بناء الاشتراكية في الوطن العربي الموحد، وان كـــان يبدأ محدودا وجزئيا تابعـــا النصر في معارك التحرير · زاحفا ضد الاقليمية والرجعية في حركة ثوريـة وحدوية واشتراكية معا · هل انت عراقي من المتأثرين بفترة عبد الكريم قاسم · انك تستعمل كلمة «الاوحد» بنفس المعنى الذي قيلت به عن ديكتاتور العراق الصغير «الزعيم الاوحد» يا سيدي ان الوحدانية لله وحده ، اما في المسائل الاجتماعية والسياسية المركبة المتشابكة المعقدة فلا توجد تلك الوحدانية· لا محرك اوحد · ولا عنصر اوحد · ولا هدف اوحد · ومـا دمت تتكلم عن الاشتراكيين فعليك ان تعـرف انـه لا يوجـد اشتراكي من اي مدرسة يقبل هذه « الوحدانية » الاجتماعية لا في المنطلقات ولا في الاساليب ولا في الغايات · لان حركة التطور الاجتماعي يا اخ عبد الله ، تنطلق من واقع متعـدد العناصر ، وتدور في اماكن متعددة وتتم على عدة مراحل ·

ثانيا : دعني اعلمك شيئا ما دمت قد خضت بحـــور الاشتراكية حتى لا تغرق · فلقد كان سرفانتس حريصا فلـم يدفع بدون كيشوت الى مغامرات بحرية حتى لا يغرق · وكما ترى لو غرق لانتهت القصة · ونحن لا نريدك ان تغرق لاننا لا نريد لقلمك ان ينقطع عن الكتابة على صفحات «الشورى» ·

انك تتحدث يا ولدي عن المدارس الاشتراكية وضربت مثلا للاشتراكية العربية والاشتراكية القومية والاشتراكيـة البعثية وقلت انها « تعجز عن رؤية مقومات الامة العربية »· فهل تعرف عنها شيئا ؟ وهل تعرف لماذا تعاديها الماركسيـة ويرفضها الماركسيون ·· انا اقول لك · لانها على وجـه التحديد تصر على ضرورة ان يكون البناء الاشتراكي علـى

اساس من مقومـات الامة ٠٠ وهذا مـــا تنكـره الماركسية الاممية٠ ٠

الاشتراكية القومية تقوم على اساس ان لكل امة نظامها الاشتراكي الخاص الذي يتفق مع مقوماتها وتراثها التاريخي والحضاري ٠ الفكري والروحي ٠ الاشتراكية العربية تقوم على اساس انها اشتراكية قومية تصوغ نظاما اشتراكيا يتفق مع مقومات وتراث وحضـــارة الامـــة العربية على وجـه التخصيص بالاضافة الى مميز تنفرد به الامة العربية وهـو انها امة مجزأة ، وهكذا تكون الاشتراكية العربية في جوهرها اشتراكية قومية وحدوية ٠ اما الاشتراكيـة البعثيـة التي لا وجود لها مضمونا فاحسب انهـــا تلـــك المقولات الفكرية الاشتراكية التي يتبناها حزب البعث ٠ فهي بعثيـة من حيث انتسابها الى حزب معين وليس لانها ذات مضمون متميز عن الاشتراكية القومية او الاشتراكية العربيـــة ٠٠٠ ويقاتـــل الماركسيون ، يا بني ، ضد هذه المفاهيم الاشتراكية ، ويدعون ان ليس الا اشتراكيـة واحـــدة هي الاشتراكية الماركسية ويخوض الاشتراكيون العرب القتـــال الفكري دفاعا عـــن افكارهم ٠٠ لانهم على وجه التحديد يرفضون ان « يتحـول الوطن العربي الى كوبا اخرى وان يوضـــع التراث العربي في المتاحف » ٠٠

ابتعد يا ولدي ، عن مطاحن الهواء الاشتراكية فانهـا عاتية ٠٠

المطحنة الرابعة :

قال : « واخيرا فان مفهوم الوحدة العربية لا يعني بأي حال من الاحوال جمع شتات الامة العربية بطريقة حسابية الية بضم قطر عربي الى قطر عربي ثان ثم ثالث ثم رابع .. الخ في وحدة فدرالية او اتحادية او دستورية او اندماجية دون اعتبار لنوعية الانظمة العربية وطبيعة ارتباطاتها الخارجية .. »

هذه تخيلات لم يقلها احد ولا يمكن لعاقل ان يقولها ، لانه ـ يا بني ـ لا يمكن ان يوجد نظامان اجتماعيان او اقتصاديان او قانونيان في دولة واحدة سواء كانت عربية او غير عربية . هذا مستحيل . وعندما تتم الوحدة سيكون لها نظام واحد بصرف النظر عن الانظمة الاقليمية التي كانت قبلها . ثم اسمح لي . انك تفرق بين الوحدة الفيدرالية والوحدة الاتحادية وهما شيء واحد . الكلمة الثانية هي المقابل العربي للكلمة الاولى . وتفرق بينهما وبين الوحدة الدستورية ، مع ان كل وحدة حتى لو كانت تعاهدية هي دستورية لأن لكل دولة دستور .

ثم تهاجم كل هذه الخيالات فتقول :

« ان هذا المفهوم يستند الى ان التجزئة هي مصدر واساس كل معضلات ومآسي الامة العربية وهو مفهوم سطحي بقدر ما هو خطير في مضمونه كما ان تحقيقه مستحيل عمليا وتتأتى خطورته من انه يؤدي عمليا لتصفية الانظمة التقدمية وبالتالي تصفية ثورة القومية العربية الشاملة » .

يا اخي ،

اذا كان هذا المفهوم مستحيلا « عمليا » فكيف يـؤدي « عمليا » لتصفية الانظمة التقدمية · كيف يكون مستحيـــل التحقق ومؤثرا ـ في الوقت ذاته ـ الى هذه الدرجة الخطيرة· ثم لماذا يؤدي عمليا لتصفية الانظمة التقدمية ولا يؤدي الى تصفية الانظمة الرجعية ؟·· الا يتوقف الامـــر على القوى الثورية التي تلغي التجزئة وتحقق الوحدة وتقيم النظام الذي يتفق مع مبادئها ·· انها اذن وحدة تقدمية ستصفي الانظمة الرجعية · لأن النظم الرجعيــة ـ لعلمك يا اخ عبـد اللــه ـ ليست وحدوية · اليس كذلك ؟·· تجيب فتقول قياسا : « ان شعارا مماثلا ، ولكنه اقل طموحا ، وهو شعار « وحـــدة الصف العربي » والذي يعتبره البعض شعـــارا وحدويـــا تطوريا قد نجح الى حد ما في الاونة الاخيرة لارضاخ انظمة تقدمية لمخططات الرجعية العربية والامبريالية العالمية » ·

يا اخي ،

من قال لك ، ومن اين اتيت بما قلته من ان شعار وحدة الصف العربي مماثل لشعار الوحدة العربية · هل كنت غائبا عن احداث التاريخ العربي القريبة ؟· الا تعرف ان شعـــار «وحدة الصف العربي» قد طرح بدلا من شعار الوحدة العربية فهو تراجع عنها · التراجع عن الوحدة ليس مماثلة بل عودة الى النقيض · ومن هم اولئك الذين يعتبرون شعار وحـــدة الصف العربي شعارا وحدويا تطوريا ؟ الا تذكر ان عبـــد الناصر قد قبل هذا الشعار في مرحلة شرحها بالتفصيـــل

واوضح انها فترة انحسار وانتكاس للمد الوحدوي • ثمتقول ان هـذا الشعـار قـد نجـح في ارضـاخ انظمـة تقدميـة لمخططـات الرجعيـة العربيـة والامبرياليـة • فمـا هو مقيـاس التقدميـة عنـدك ؟ وكيف تتصـور ان الانظمـة التقدميـة ترضـخ لمخططـات الرجعيـة ؟ ألـم يخطـر فـي بالـك ان تلـك النظـم التي في ذهنـك وتسميهـا تقدميـه قـد لا تكون كذلك ، وبالتالي يكون شعار وحدة الصف العربي من حيث هو بديل مضاد لشعار الوحدة هو الذي يجمـع كل النظم الرجعية ؟ لماذا بالله عليك ، تفترض ان شعار وحـدة الصف العربي مماثل لشعار الوحدة العربية ، ثم تفترض ثانيا انه شعار وحدوي متطور ، ثم تفترض ثالثا ان النظم التـي التقت عليه نظـم تقدمية ، ثم تفترض رابعا انه ارضخهـا لمخططات الرجعية •• كل هذا تفترضه من عندك، لا لشيء الا لتعطي نفسك فرصة مهاجمة شعار الوحدة العربية ؟••

هل اظلمك عندما اسمي هذا دون كيشوتية ؟•• انـه البديل المهذب عن الوصف الذي تستحقه كلماتك •

الغريب حقا ان ما يشغلك مشروع •• وان لك قضية تبدو عادلـة • ولكنـك تطرح قضيتك طـرحا دون كيشوتيـا فاشلا • هل اقول لك ما هي قضيتك ؟•• ما الذي يشغلك ؟• قلته انت عندما قلت وبحق :

« ان الوحدة بهذا الشكل الالي لا سبيل لحمايتها ضد مخاطر النكسات والانحرافات اما الخطر الاكبر فيكمن في ان مثل هذه الوحدة قد تقبلهـا بعض الانظمة بدوافع نفعيـة انتهازية خاصة عندما يصل التناقض بين الجماهير الكادحة والطبقة الطفيلية الحاكمة حد الانفجار او الثورة الشعبية •

عندئذ تكتشف الطبقة الحاكمة من جديد ان الوحدة هي طوق النجاة الوحيد · وتأتي الخطورة من ان اية وحدة او مشاريع وحدوية تتم بدوافع غير او ضد وحدة ثورية هي خيانة للجماهير العربية بتجميد تناقضاتها الاساسية مع الطبقات الحاكمة البورجوازية او العميلة كما تساهم في ارباك الجماهير وتخديرها باوهام الحلول السهلة والسريعة لمشاكلها علما بان النتيجة الوحيدة لمثل هذه الوحدة هي تدعيم الطبقة الحاكمة وحمايتها وحل ازمتها مع الاحتفاظ بامتيازاتها وتنميتها ؟ · »

هذه هي قضيتك التي تشغلك وتقلقك كما فهمتها مما كتبت · وهي قضية عادلة · ان الاقليميين الفاشلين الذين يتذكرون الوحدة كانقاذ لهم من الفشل كثيرون في الوطن العربي · ولكن الوحدويين الثوريين لا يرفضون الوحدة ولا يدينونها ولا يتراجعون عنها ولو عرضها الحكام الفاشلون · لان الوحدويين الثوريين لا يتوقعون من الاقليمية الا الفشل · كل ما في الامر ، يا اخ عبد الله ان الوحدويين الثوريين يقبلون الوحدة التي يعرضها الفاشلون ولكن بشروطهم هم · شروط الوحدويين الثوريين وليس شروط الاقليميين الفاشلين · انهم يعتبرون تقدم الاقليميين الفاشلين بعروض الوحدة هو تقدم المهزومين بعروض الاستسلام · عندئذ يتذكر الوحدويون الثوريون ان ضحايا الفشل ، ودافعي ثمنه ، هم جزء من الشعب العربي ، فيفرضون شروطهم · وشروطهم هي دائما ان تتم الوحدة لحساب الجماهير العربية بحيث تحل تناقضاتها مع حكامها لا مصالحة وسطية ولكن لمصلحة الجماهير وانتصارا لها · هذا هو الموقف المبدئي يا اخ عبد

الله . ومن اجل الانتصار لهذا الموقف المبدئي الصحيح يختار الوحدويون الثوريون عشرات المواقف التكتيكية المنضبطة به المؤدية اليه ولكنهم لا يفرون ولا يتخلون عن غايتهم : الوحدة . لماذا تهاجم اذن الوحدة التي قد تقبلها بعض الانظمة بدوافع انتهازية خاصة لتفادي الثورة وخيانة الجماهير ؟ . انا اجيب بالنيابة عنك لأنك تصورت ان هناك مفهوما سياسيا بحتا للوحدة . ومفهوما اشتراكيا اوحد للوحدة . ومفهوما تحرريا اوحد للوحدة . كما توهمت انه يمكن ان تقوم الوحدة بين نظم مختلفة . ان هذه الاشياء التي تخيفك من بنات افكارك انت ولا وجود لها في الواقع . في الواقع العربي الحالي يا اخ عبد الله لا يوجد الا مفهوم واحد للوحدة العربية . انها الوحدة السياسية الديموقراطية الاشتراكية التي تتم لمصلحة الجماهير العربية . فاذا كانت ثمة قوى معادية للوحدة تحاول ان تروج مفاهيم معادية للوحدة العربية الاشتراكية من موقع الانتهازية او العمالة او التخريب ، فواجبك ان تكافح ضد هذه المفاهيم « المعادية » لتؤكد مفهومك التقدمي للوحدة العربية . وليس من واجبك ولا من حقك ، ان تقع في شباك التضليل فتطرح المفاهيم المعادية ، السطحية ، المستحيلة ، المربكة ، الساذجة ، تطرحها ـ انت ـ كما لوكانت هي المفاهيم الوحدويةالمطروحة في الساحة العربية على وجه الحصر ، ثم تبدأ تهاجم الوحدة العربية لانها ـ في تصورك ـ هي تلك المفاهيم الخاطئة . انك هنا تدخل معركة دون كيشوتية حقا . تطعن مطحنة الهواء ولكن لا تصرع أحدا بل تصرع نفسك ..

فماذا قلت ؟

قلت من عندك : « ان مفهوم الوحدة العربية يتجاوز

التحرر السياسي واسترداد فلسطين وبناءالاشتراكية وتوحيد الاقطار العربية » · ماذا اذن ؟·· قلت مـــن عندك : « ان المفهوم الصحيح للوحدة العربية هو النهوض الثوري الشامل في مواجهة جبهة عريضة من العداوات ·· » ما شاء الله · تمخض الجبل فلم يلد شيئا · نهوض ؟ نهوض من اذا لم تكن قوى الثورة العربية · النهوض الثوري الشامـــل ؟·· اي نهوض ثوري شامل ، اذا لم يكن ثورة شاملة في الوطـــن العربي كله من اجل التحرر السياسي واسترداد فلسطيـــن وبناء الاشتراكية وتوحيد الاقطار العربية · فكيف تجـاوز مفهومك للوحدة العربية ذاته ؟··

قلت : « ان المنطلق للعمل الثوري العربي هو التطبيق القومي على المستوى القطري في كلما تطرحه الثورة العربية من قضايا على مستوى قطري والنضال في الوقت نفسه مـــن اجل انجاز مهام الثورة العربية في كل ما تطرحه الثـــورة العربية على مستوى قومي ؟··

انا نستطيع ان نقبل منك هذا القول على اساس تكتيكي· بمعنى انه في نطاق استراتيجية الثورة العربية التي تستهدف اقامة دولة الوحدة الاشتراكية الديموقراطية يتعين على قوى الثورة العربية ان تضع طاقتها القومية في خدمة القضايـا القطرية والمرحلية للجماهير العربية · نقبله لان احـــدا لا يتوهم ان الحياة ستتوقف الى ان تتـم الوحدة · ونقبله لان كل مشكلة يعانيها الشعب العربي في اي مكان هي مشكلـــة قومية عند القوميين بالرغم من الحصار القطري · ونقبله لان قوى الثورة العربية القومية تعتبر نفسها مسئولة عن قضايا الشعب العربي في اي قطر ، ولا تقبـــل ولا يمكن ان تقبل

الحدود الاقليمية حائلا بينها وبين جماهير امتها العربية ٠

ولكنك للاسف لا تعني به هذا الذي نقبله ٠

انما انت تصنف مشكلات الشعب العربي «موضوعيا»٠ فتزعم من عندك ان هناك مشكلات قطرية موضوعيا وليست قومية ٠ وهناك مشكلات قومية موضوعيا وليست قومية ٠ فتضع الاقليمية على مستوى مواز في المشروعية من القومية٠ ثم تبدأ فتختار ما يهمك : قضايا الاصلاح الزراعي في ليبيا قطرية ٠ قضايا تصفية النظام القبلي والعشائري سلميا واخويا في اليمن قطرية ٠ قضايا الديموقراطية وحكم القانون في السودان ٠٠ الخ ٠ اذا كانت هذه القضايا قطرية « موضوعيا » فلماذا تطرحها الثورة العربية كما تقول ٠ والثورة العربية ثورة قومية ٠

تقول : « ان النظرة الاقليمية تلتقي مع الرجعية المحلية والدوائر العميلة عندما تحاول التصدي لحسم قضايا تطرحها الثورة العربية قوميا بوسائل وادوات محلية بحتة » ٠ فهمنا٠ ثم تضيف « وعلى نفس المنوال تسقط النظرة الاقليمية المغلقة في بؤرة الرجعية المحلية والدوائر العميلة عندما تحاول ان تحسم القضايا التي تطرحها الثورة العربية اقليميا بوسائل وادوات قومية » ٠ فهمنا ايضا ٠ ولكن اين هي النظرة القومية ، التي تحسم كل القضايا في اي مكان ، على اساس ان موقعها في المكان لا يسلبها سمتها القومية ؟ انك لم تتحدث عن هذا ٠٠ لان الذي يشغلك هو ما قلته :

« في الحالة الثانية تقطع النظرة الاقليمية جذورها من ارض الوطن وتنعزل كلية عن حركة الجماهير المناضلة

وتتحول الى رايات معلقة على المباني او حلقات ماسونيـــة ضيقة تتحول تحت القنوط والفشل والعزلة عن الجماهير الى جماعات سرية تنشد التعاون مع الانظمة الرجعية خلســـة وتتخذ من الهجوم المسعور على المناضلين جهارا نهارا مــع الجماهير وسيلة واداة لها ... »

يا اخ عبد الله ...

اذا كنت قد فهمتك ، وفهم مقالك ليس سهلا ، فانـــك تخشى امرين :

الامر الاول : ان تكون الدعوة الى الوحـــدة العربية ، او عرضها ، او قبولها ، وسيلة انتهازية لانقاذ نظـام حكـم اقليمي يستحق في نظرك السقوط ... وهذا حق .

الامر الثاني : ان تكون الدعوة الى الوحدة العربية ، او عرضها ، او قبولها ، مهربا يلجأ اليه المناضلـون حتى لا يواجهوا مخاطر النضال الشعبي بين الجماهير في كل اقليم . وهذا حق .

ولكن يا اخ عبد الله ما ذنب الوحدة العربية كهـدف قومي للثورة العربية التقدمية فيما يفعله او يحاول فعلـــه الانتهازيون او الهاربون ؟ ان كل ما يمكن عمله لمواجهة مثل هذه الحالات هو التأكيد المستمر ، فكرا وممارسة على امرين نقيضين :

الامر الاول : ان الوحدة اشتراكية ديموقراطية فهـي لمصلحة الجماهير العربية وليس لمصلحة حكامها واعدائها .

الامر الثاني : ان كل المشكلات قومية · ولكنها من حيث هي قومية منثورة في مواقعها على الارض العربية وبين جماهيرها · وانه حيث تكون المشكلة يكون القومي التقدمي هناك بين جماهيره العربية بصرف النظر عن الحدود القطرية او الصحاري او الغابات · ان كل المشكلات قومية ، وليس ثمة مشكلات قطرية حتى يزعم اي عربي ثوري انه لا يريد ان يشغل نفسه بالنضال من اجل حل المشكلات القطرية ، لانه قومي ، فيترك جماهير امته ـ مثلا ـ يعانون القهر السياسي او الاقتصادي لينضم الى تجمع الذين حولوا الثورة العربية الى كلمات في صالونات « المهجر » ·· في انتظار الوحدة التي تعيدهم الى حيث تركوا الجماهير العربية تعاني وحدها ·· ثم تضعهم على مقاعد الحكم « الاقليمي » باسم القومية والثورة العربية وكل هذه السفسطات ·

وانه لمن المضحكات حقا ان نتهم حكام بعض الاقطار العربية بالانتهازية لانهم يرفعون شعارات الوحدة العربية من اجل انقاذ حكمهم الاقليمي الفاشل · الفاشل لانه اقليمي· ثم نرفع نحن شعار الثورة العربية الشاملة لمجرد ان نصل الى حكم إقليمي ليس اقل فشلا ·· لانه منذ البداية يقسم مشكلات الشعب العربي الى مشكلات قومية لا تحسم الا قوميا ومشكلات قطريا لا تحسم الا قطريا · غدا سيقول ليس للثورة العربية ان تتدخل فيما هو « قطري » موضوعيا ·· كقضايا الديموقراطية وحكم القانون في السودان ·· مثلا· مجرد مثل يا اخ عبد الله ·· وبما ان الوحدة العربية متوفرة بوحدة الامة كجماعة تاريخية من البشر فلا داعي للوحدة السياسية ·· ساعدونا فقط واتركوا لنا افكارنا · مضحك لانه متناقض · وهل ثمة تناقض اكثر من ادانة الانتهازية

بمنطق انتهازي ٠٠ وبالمناسبة تعد قصة « دون كيشوت » ضمن ادب الملهاة (الكوميديا) الذي يثير الضحك ٠

سانكو بانزا :

صاحب دون كيشوت ورفيق مغامراته كان اسمه سانكو بانزا ٠ رجل عاقل بسيط هادىء ومع ذلك قبل مشروع دون كيشوت وصاحبه في مغامراته ولقى فيها متاعب كثيرة ٠ لماذا ؟ تمثل الاجابة على هذا السؤال قمة عبقرية دي سرفانتس كمؤلف روائي ٠ ففي نهاية الجزء الثاني من القصة يكتشف القارىء ان سانكو بانزا كان يعرف منذ البداية ما لم يصارح به دون كيشوت ابدا ٠ كان يعرف انه في تصوره للاعداء والضحايا وواجبه «كفارس» ان يقاتل من اجل انقاذ المظلومين وينجد الضعفاء ، كل ذلك كان اوهاما ٠ ولكنه لم يقل ابدا لدون كيشوت انها اوهام ٠ لماذا اذن شارك في مغامرات دون كيشوتية ؟ ليس لهذا تفسير واحد ٠ قال بعضهم لأنه ريفي بسيط جرته الى المغامرة عواطفه نحو دون كيشوت ٠ وقال اخرون انه لم يكن واثقا تماما مما اذا كان دون كيشوت عاقلا او مصابا ، وانه خاض التجربة خوفا من ان تكون صحيحة فلا يشارك في ثمارها ٠ واقول ان سانكو بانزا الذي يحب دون كيشوت كانسان ، ويعرف المخاطر التي تنتظره لم يشأ ان يقنعه بالعدول لانه يعرف ان الاقتناع يحتاج الى قدر من العقل كان مفقودا ، فشاركه المغامرة ليحرسه ، ما استطاع ، من مخاطرها ، مؤملا ان يتعلم دون كيشوت من التجربة ما لا يستطيع ان يتعلمه بالاقتناع وقد انقذه فعلا من مآزق كثيرة ٠ وعامله برفق المشفق المحب الذي لا يصد صاحبه ولكن يحذره

بمودة بالغة ، ثم يتابعه الى ما هو محذور حتى يحـول دون هلاك صاحبه ·

واني لاحسب الاخ تحسين عبد الحي يدرك من امر عبد الله زكريا ما ادرك سانكو بانزا من امر دون كيشوت ، وانـه عامله اذ رد عليه بمثل الرفق والرحمة التي عامل بهما سانكو بانزا رفيقه وحبيبه دون كيشوت · ثم احسب ان مرجع كـل هذا الى ان تحسين عبد الحي ، الذي يبدو من رده انه يغلي داخليا ، رجل عاقل وهادىء وبسيط · فجاء رده عاقلا وهادئا وبسيطا ·· وهو يكتب تحت العنوان ذاته «قراءة جديدة لمفهوم الوحدة العربية» · ان استعمال ذات العنوان الذي استعملـه عبد الله زكريا في الرد عليه هو ذاته رد لاذع ولكنه هادىء · وكل هذه فضائل عندما يكون الامر امر علاقات شخصية · اما عندما يكون الامر امر اهداف هذه الامة وعلى راسها الوحدة العربية فلا بد من الحزم او الحسم · ليس الحـزم والحسـم اللازمين لردع عبد الله زكريا ، ابدا ، بل الحـزم والحسـم اللازمين لحماية القراء من الجيل العربي الجديد من مخاطـر التاثر بالاراء المغلوطة ·· عمدا وبشرط الا نقطع الحوار ·· ان هذه دعوة الى الاخ عبد الله زكريا ليكمل حديثه فيطـرح على قراء «الشورى» برنامجه السياسي والقومي الذي وعد به ·

الاتقان والخطـا :

في العدد الاول من السنة الثانية من الشورى نموذجان احدهما نموذج للاتقان الذي يثير الاعجاب حقـا · والثـاني نموذج للخطا الذي يثير العجب حقا ·

اما الاتقان الذي يثير الاعجاب حقا فهو عرض كتاب «التخطيط والتنمية» تاليف شارل بتلهايم وترجمة الدكتور اسماعيل صبري عبد الله وعرض وتلخيص «نضال» • لقد كنت قرأت هذا الكتاب اكثر من مرة • واوصي الشباب العربي بان يقرأه • وفي كل مرة قراءته كنت اشعر بقلق التركيب الفكري فيه • يبدو انسياق الافكار فيه مضطربا • ولكنني لم اتوقف مرة لاعرف مرجع هذا الشعور • الى ان قرأت عرضه في الشورى وفيه قرأت : «تسهيلا للقارىء وبالذات القارىء غير المتخصص فاننا في العرض الذينقدمه سنعيد ترتيب القضايا الواردة في الكتاب ترتيبا منطقيا» •• هو هذا اذن • وعدت لمراجعة الكتاب فاذا بمرجع الشعور بقلق التركيب الفكري فيه ان الذي جمع مقالاته رتبها ترتيبا كيفما اتفق فلا راعى ترتيبها المنطقي ولا حتى ترتيبها التاريخي (الفصل الاول محاضرة القيت في جامعة الجزائر ١٩٦٣ والثاني محاضرة في كوبا ١٩٦٣ والثالث في جامعة بلغراد ١٩٦١ والرابع محاضرة في جامعة باريس ١٩٦١ والخامس في الهند ١٩٥٤ والسادس عبارة عن محاضرتين احداهما في القاهرة ١٩٦٣ والثانية في المكسيك ١٩٦٣ والسابع جزء من بحث مقدم الى المعهد الهندي للاحصاء والثامن مجرد ملاحظات من أجل مشروع بحث لم يتم والتاسع بحث كتب في ١٩٦٤) • فللقلق المنطقي فيه اسباب عدة • واعادة ترتيبها منطقيا يحتاج الى ثقة وتمكن • واشهد ان العرض او التلخيص يكاد يغني عن الكتاب ذاته وهو منتهى الاتقان •

الخطأ الذي يثير العجب جاء في «على السفود» • مصدر العجب هو المصادفات التي تكاد تتعمد السخرية • في الفقرة الاولى تحت عنوان «كل عام وانتم بخير» تحدث ابو ذر

طويلا عنالزمان «المفقود»· اسقاط الايام او الشهور او السنين من التسلسل التاريخي لتصحيح حساب التاريخ · فردت اليه مطبعة الشورى احد سهامه وكأنها تسخر منه واسقطت قرنين كاملين من حساب الزمان عندما طبعت «تولى عمر الخلافة يوم ٢٣ اغسطس سنة ٤٣٤ ميلادية» ·· وصحته ٦٣٤ ميلادية · الفارق قرنان ·· بسيطة ·

القاهرة في ٦ مايو ١٩٧٥

١٣

من ابي ذر الى رئيس التحرير :

لا يستطيع ابو ذر ان يضع كل من يستحق على السفود، والا لاحتاج الى مصنع خاص لانتاج القضبان الحديدية والى مثل نار جهنم لا تحتاج الى وقود من خارجها · ثم هب ان ابا ذر قد اخذته العزة بالحق ، فحمل رئيس التحرير على سفوده وشواه ، فاصدر الشواء قرارا بالاستغناء عن الشاوي فماذا تكون النتيجة ؟ ·· يختفي ابو ذر ويعود الى عزلته · الحق ان ابا ذر لم يعد يستطيع الا مكرها ـ وعسى الا تكرهوه ـ ان يختفي من صفحات «الشورى» ويعود الى عزلته · الم يقل من قبل ان نقد «الشورى» قد اصبح مصدرا عظيما لتنمية ثقافته · ثم ما بالكم بمعتزل عرف متعة المناكفة والمداعبة والمشاغبة مع اصدقاء لا يعاديهم ولا يتمنى ان يعادوه · اعني كتاب «الشورى» · ان رائحة الشواء قد ربطت ابا ذر و«الشورى» بمواثيق عاطفية مليئة بالشوق والامل كتلك الروابط التي تحمل الجوعى على ان يمروا ثم يعودوا ثم يمروا امام مطاعم «الكباب» · شوق وامل في ان يتحقق في «الشورى» شعارها ولا يبقى مطبوعا على غلافها المزوق ·

هذه العواطف التي لم تتجاوز الشوق الى اللقاء ، وما تجاوزت الامل الى الواقع ، والتي يؤججها الحرمان ـ كما لابد ان يعرف الشباب ـ تحمل صاحبها على ان يكون مشغولا

فكريا ونفسيا بموضوع عاطفته • وموضوعها بالنسبة الى ابي ذر ـ وليس بالنسبة الى الشباب بالضرورة ـ هي «الشورى» عندما تصبح شكلا وموضوعا «مجلة الفكر القومي التقدمي» ••

وما الذي يستطيعه العطوف المشوق المؤمل •• ايها الشباب ـ الا أن يتمنى ؟ ••

في اكثر من عدد قلت صراحة وضمنا ان «المادة» التي تنشر في الشورى ما تزال «اخف» من الشعار الذي تحمله • وحرضت الكتاب على ان يتعبوا انفسهم ـ قليلا ـ حتى تأتي مقالاتهم مراجع للدراسة يفيد منها الجيل العربي الجديد • موضوع محدود ولكن مدروس خير الف مرة من موضوع طويل انشائي اللغة ، غني التعبيرات ، فقير المضمون • ولما كنت منحازا الى القراء ضد «الشورى» وكتابها ، وكنت اعلم من خبرتي الطويلة ان مخازن القراء ـ من الشباب خاصة ـ مليئة بمواد فكرية غنية لا تجد طريقها الى صفحات «الشورى» ، ربما لان الشباب يتهيبون الكتابة ، فقد اقترحت على «الشورى» انتنشىء باباثابتا لرسائل القراءوالرد عليها• هذا الباب لم يظهر بعد • اعني ان ابواب «الشورى» ما تزال مغلقة علىنفر منالكتاب يكادالمرء انيحصيهم عددا علىاصابع اطرافه • ومهما يكن هؤلاء من الكفاءة فان للكفاءة وحتى للعبقرية حدودا • ولا يسع انسان الا ان يكرر نفسه او بعضها اذا حملها على الكتابة المتكررة •

وسنضرب فيما بعد مثلا •

قبـل ان نضرب المثل ، نعلن للقراء اننـا اقترحنا على الشورى اقتراحا يغنيها ولا عيب فيه · اعلنه لاحرض القراء على ان يساندوه او يقترحوا بدائل عنه · او اضافات اليه · ذلك لانه ـ والخطاب الى القراء من الجيل العربي الجديد ـ ما دامت الشورى قد حملت على غلافها شعار « مجلة الفكر القومي التقدمي » فان ملكيتها الفعلية ـ وليست القانونية ـ قد آلت الى القوميين التقدميين وخاصة الجيل الجديد منهم · ذلك الجيل الذي لـم تنفد بعـد قوة ابداعه ولـم تجف منابع خيـاله · ولا يقبـل القوميون التقدميون ، شيوخا وكهـولا وشبابا ، ان تطبع الشورى « سند ملكيتهم » على غلافهـا ثم يحتكرها نفر لاقلامهم ·

كان المدخل الى اقتراحي سؤالا : لماذا لاتكون «الشورى» مصبا تلتقي فيـه كـل الافكـار القومية التقدمية المنشورة ، ويدور على صفحاتها حوار بالكلمة مع كل المجالات الفكريـة التي تصدر في الوطن العربي؟ ·· اقترحت ـ كاجابة ـ اضافة باب ثابت جديد قد يكون اسمه « قالوا ·· وقلنا » تلخص فيه الشورى المقالات الجيدة التي تنشر في اية مجلة اخرى ويعلق عليها كتاب من «الشورى » او من خارجها او من القراء انفسهم ، بحيث يصبح قسم من رسائل القراء تلخيصـا لمـا يقراون في مجلات اخرى وتعليقا عليه · لو نفذت «الشورى» هذا الاقتراح لاصبحت فيما اعتقد ، اغنى مادة مما عليه الان· والمادة الغنية هي وحدها مقياس نجاح اية مجلة فكرية ··

وهذا رأي جديد من ابي ذر الى رئيس التحرير ··

ان رئيس التحرير غير محروم ، اعني ليس محرما عليه،

التعبير عن افكاره في مجلة «الشورى» اذا اراد ذلك ٠ ان اراد فعليه ان يقف في صف الكتاب ٠ ان يقدم مقالة لها عنوان يحدد ويلخص موضوعها وتحتها توقيع مسؤول عنه ٠ ثم ان ينتظر دوره على السفود ٠ ولقد سكتنا وصبرنا عـامـا على رئيس التحرير ، وهو ينشر افكارا وخواطر مجزاة موزعة عـــلى الاعداد ، عددا عددا ، في مسلسل لا نعرف الى اين ينتهي ومتى تنتهي ، تحت عنوان « الافتتاحية » وتوقيـــع « رئيس التحريـــر » ٠٠ لم يستطع ابو ذر ابـدا ان « يضبط » رئيس التحرير متلبسا بفكرة محددة البداية والمضمون والنهاية في عدد معين ، لينقدها او يعلق عليها ٠ ان هذا اسلـوب خطـر وخطير ٠ اما انه خطر فلان للكفــاءة وحتى للعبقرية حدودا كما قلنا من قبل ٠ ولا يستطيع الاخ جمعة المهدي الفزاني او غيره ، ان يبدأ مسلسلة افكار ويواليها حلقة حلقة طوال عمر المجلة المديد ٠ انه سيكرر نفسه ٠ انه سيناقض نفسه مرة ٠ انه سيفلت كل مرة من السؤال ٠ ماذا يريد ان يقـول رئيس التحرير ؟ ٠٠ لان الاجابة في كل مرة ستكون : انتظروا العدد القادم من كبرياء جمعة المهدي الفزاني ، ولكل كاتب كبـرياء لا يعرفها الا الكاتب ، قد تحمله على انكار انه يجهـد فكـره وقلمه اجهادا مستمرا خوفا من ان يكرر نفسه ويناقض نفسه ٠ ان ابا ذر يتدخل ليقول : كفى يا رئيس التحرير ٠٠ بارك الله فيك ولكن كفى ٠ ان الخطر عليك له نتائج خطيرة على المجلة٠ اهمها الا تكون الافتتاحية مقروءة ٠ ولا نريد لمجلـة الفكـر القومي التقدمي ان تحمل كلمة واحدة غير مقروءة ٠

نحن نعلم ان اسلوب « الافتتاحية » كما كتبهـا رئيس التحرير في العام الاول من « الشورى » اسلوب دارج ٠ انه

متكرر في كل مجلة تقريبا ·· ولا يفعل جمعة المهدي الفزاني الا ما يفعله رؤساء تحرير المجلات المماثلة في الوطن العربي· ولكن ـ يا اخ ـ جمعة هذا هو « مربط الفرس » كما يقولون· لا ينبغي لمجلة الفكر القومي التقدمي ان تكون « مثـل » باقي المجلات ، لا في الشكل ولا في المضمون ولا في اسلوب تقديمها الى القراء تحت عنوان « الافتتاحية » ·· ابـو ذر يدلك على الحل في مجلة فكرية كان عمرها قصيرا ، ولكنهـا ـ فـي عمرها القصير ـ كانت متفوقة في افتتاحيتها · انهـا المجلة الوحيدة ـ على قدر ما اعرف ـ التي كانت افتتاحيتها تقـرأ قبل موادها ، وكانت تغني ـ في بعض الاوقات ـ عن قراءة كل موادها ، وكان القراء يتصفحون الافتتاحية من كل عدد قبل ان يشتروه ·

انها مجلـة « الفكر المعاصر » التي ظهرت في القاهرة ثم اختفت · اختفت لاسباب لا علاقة لها باستحقاقها الحياة الطويلة · كـان رئيس تحريرها الدكتور زكي نجيب محمود كان يكتب افتتاحيتها في كل عـدد · ويكتب فيهـا مقـالات مستقلة من حين الى حين · كان الدكتور زكي نجيب محمود يقرأ كل المقالات المرشحة للنشر ـ واخد بالك يا اخ جمعة ـ ثم يختار منها لكـل عدد مجموعة من المقالات تتضمن فكرة « مشتركة » ، او افكارا متعددة « متكاملة » ثـم يفتتح العدد بمقال يعرض اهمية الفكرة المشتركة ، او الافكار المتكاملـة مشيرا الى الزوايا المختلفة التي نظر منها كل كاتب الى ذات الفكرة او الافكار · كانت الافتتاحية عرضـا واعيا للمقالات الرئيسية ـ على الاقل ـ بدون ان تكون تلخيصا لها · كانت « فاتحة شهية » للقراء ولم تكن «وجبة» موازية او بديلة ·

ارجـو ان يجرب الاخ جمعـة المهـدي الفزاني هذا الاسلوب في كتابة افتتاحيات « الشورى » · ان لديه كل ما

يلزم لنجاح التجربة • وعندما يرجو ابوذر فلانه ـ كما قال اولا ـ لا يستطيع ان يضع كـل من يستحق على السفود •

ويا ايها القراء من الجيل القومي التقدمي الجديد ، امطروا محرري « الشورى » باقتراحاتكم ورسائلكم• ولتنهمر عليهم افكاركم حتى تغرقهم • فلعل « الشورى » ان تكون في حاجة الى طوفان من الافكار الجديدة لتطفو صاعدة الى مستوى شعارها ••

الى ان تفعلوا ، سيكتفي ابوذر في هـذا العدد بان يجذب بعض الكتاب من الظل الى الشمس • ان الحر الذي يحرض على التقوى لأنه ينكر بنار الاخرة ، لكاف لكتاب العدد الثاني (السنة الثانية) من « الشورى » • ولعل لابي ذر مأربا اخر من جذب بعض الكتاب من الظل الى الشمس • لعله يريد ان يراهم القراء جيدا ويعرفوهم معرفة واضحة • فالحق الحق اقول لكم ان العدد الثاني من السنة الثانية من الشورى كان جيدا • ولقد اجاد كتابه جميعا الا نفر قليل •• وسيكون حرقا للافكار اذا ما احترف ابوذر وضع كل شيء على سفوده حتى الافكار الناضجة •• وما كان ابوذر يوما الا من المصلحين •• اقصد الصحابى الجليل ابوذر الغفاري •••

تكرار البيطار :

يعرف قراء الشورى الدكتور نديم البيطار منذ العدد الثاني من السنة الاولى حيث عرضت الشورى ملخصا لكتابه « نحو الارتباط بمصر الناصرية او طريق الوحدة العربية »•

في ذلك التلخيص جـــاءت فقرات لا تنسى · منهـا « قصور الفكر الوحدوي في تناوله قضية الوحدة لانه لا يضيف الــى معرفتنا الوحدوية شيئا ويقتصر اثره على شحذ وايقاظ مشاعرنا وتطلعاتنا الوحدوية · وعلى الرغم من حاجته الى مثــل هذه الدراسة الا انها غير كافية » · ومنها « ان من مهمة الفكــر ان يمارس ، عبر ذاته ، قوة دافعة نحو الوحدة ، لان قـــوة الفكر الثوري تكمن في قدرته على اعطائنا صورة جديدة عن تجارب نعانيها مما يعني تحولا في الوعي ، مهمة اخراجنا من المألوف » · ومنها : « الفكر الوحدوي اصبح يتحرك في مكانه تقريبا في عالـــم فكري مألوف عـــادي استنزف فيه امكانياته وقد اصبح لزاما عليه الانتقال الى مرحلـــة جديدة يكشف بها عن امكانيات وطاقات جديدة ·· تصحيح الوضع الوحدوي اذن يحتاج الى نظرية وحدوية جديدة » · ومنها : «ان الفكر الوحدوي يجب ان يرتفع من زاويته الخاصة فيشغل نفسه اولا بالقضايا والعناصر الاساسية العامة الدائمة التي تنطوي عليه التجربة الوحدوية» · ومنهـــا اخيـــرا : « ان المسألة لم تعد اليوم هل نريد الوحدة ام لا ؟·· او هل نحن امة واحدة تحتاج الى الوحدة ام لا ؟·· وانما المسألة الان هي كيف نصل الى الوحدة ؟ كيف نحققها ؟ مـــا هي الطريق اليها ؟··

الذي لخص الكتاب وعرضه هناك في العـــدد الثانـــي من السنة الاولى هو الاخ عبد الرحمن شلقم او شلجم ، لست ادري ، فان المطبعة قد وضعت قافا فوق الجيم ، على اي حال يستويان فنطقهما واحد في لهجـــة جنوب الجزيرة العربية والخليج العربي وصعيد مصر · المهـــم ان الاخ عبد الرحمن كاتب « عفريت » (من النباهة لا من الشيطنة) فقد ذكر في

عرضه للكتاب تعليقا على ادانة الفكر الوحدوي · ان المؤلف « يكتفي » بان يقول ان كل ذلك ينطلق من مفاهيم تبشيرية غير موضوعية تدل على خطأ فكري وليس على وعي علمي ، تعبر عن رغبات ومشاعر وانفعالات وليس عن وقائع وقوانين تحتل طبيعة وجوهر العملية الوحدوية» · والعفرتة (بمعنى النباهة) تكتفي بكلمة « يكتفي » لتقول · ان صحت الادانة فماذا تقدم انت ؟··

في العدد الثاني من السنة الثانية يعود الدكتور نديم البيطار فيعيد ذات الحكم بالادانة على الفكر الوحدوي ، مستعملا الجمل ذاتها ، الالفاظ ذاتها ، المعاني ذاتها ، ·· و « يكتفي » بها ايضا كما فعل من قبل ··

يقول مثلا :

١ ـ اكثرية الفكر الوحدوي الساحقة اصبحت عاجزة عن اضافة اي شيء مهم ، اساسي ، الى معرفتنا الوحدوية، واثرها يقتصر بشكل خاص على شحذ وايقاظ مشاعرنا وتطلعاتنا الوحدوية وتنبيه افكارنا الى المقصف الوحدوي · هذا ـ وان كان ضروريا ـ الا انه غير كاف ·

٢ ـ انه يحتاج كي يمارس قوة دفع فعالة نحو الوحدة الى معرفة وحدوية علمية جديدة عامة شاملة تسدد خطاه وتضبط قواه ووجهته ، وهذا لم يتوفر بعد للفكر الوحدوي ·

٣ ـ هذا الفكر الوحدوي استنزف امكاناته ولم يعد بمقدوره ان يدفع بشكل فعال العمل الوحدوي الذي اصبح يحتاج الى قفزة كبيرة من التفكير الوحدوي ·

٤ ـ المسألة لم تعد اليوم هل نريد الوحدة ام لا ؟ ٠٠ او هل نحن امة واحدة ام لا ؟٠٠ هل نحتاج الى الوحدة ام لا ٠ فالشعب العربي اجاب بوضوح على تساؤلات من هذا النوع ٠ المسألة الان هي كيف نصل الى الوحدة ؟ كيف نحققها ، ما هي الطريق اليها ؟٠٠

ماذا يمكن ان يقول حتى ابوذر في مثل هذا التكرار ٠ كيف تعيد الشورى على صفحاتها ما سبق ان نشرته ٠ ان كانت ذاكرة محرريها ضعيفة فان ذاكرة القراء حادة ٠٠ وهذا نقول «للاستاذ» الدكتور نديم البيطار نقول ٠٠ لقد حسب ابوذر الذي يتتبع ، بعناية ، ما تكتبه منذ ١٩٦٤ ، انك اهتديت الى حل « وحدوي » تقدمه الى الجيل الجديد يوم ان نشرت كتابك « نحو الارتباط بمصر الناصرية او طريق الوحدة العربية » ٠ وكان يتوقع منك وانت استاذ من اساتذة الفكر القومي ان تبدأ من تلك النهاية ٠ ان تكتب بعدها عن اسلوب وادوات وطرق وتفاصيل حركة الارتباط بمصر الناصرية من حيث هو طريق الوحدة العربية ؟٠٠ ولكنك عدت، وانت استاذ كبير ، تردد اتهاماتك للفكر الوحدوي ، كأنه لا يكفيك ما يقوله اعداء القومية والوحدة ٠٠ ان الرد على هذه الاتهامات سهل ٠ ونستطيع ان نعين لكافكارا وحدوية لا تنقصها العلمية ولا الواقعية ٠٠٠ والكتاب القوميون الوحدويون ينتصرون انتصارا ساحقا في كل مرة تحاول فيها القوى اللاقومية واللاوحدوية اتهام الفكر القومي الوحدوي بمثل ما تتهمه انت به ٠ ولكن المسألة ـ يا استاذنا ـ ان الوحدويين يخوضون على كل المستويات ، بما فيها المستوى الفكري ، معارك ضارية ضد اعداء الوحدة ٠ وهم يرون ان الكلمات مثل كل الاسلحة ، لا يمكن ان تكون محايدة ٠ وعلى كل صاحب فكرة ان يأخذ مكانه الى جانب رفاق معركته ٠ ومن هنا فانهم لا

يقبلون ـ الان على الاقل ـ ان يدخلوا معارك جانبية ضد رفاقهم · انهم يتحاورون فيما بينهم · ويعارض بعضهم بعضا · ويختلفون · وقد يتخاصمون · ولكن كل هذا من اجل شحذ افكارهم ـ اسلحتهم ـ الوحدة وليس من اجل تغذية وتقويةمواقف اعداء وحدة امتهم ·

ان ابا ذر ، الشيخ الضعيف ، يستطيع ، وتأكد من هذا، ان يثبت لك خطأ كل كلمة قلتها في مقالك · اقول كل كلمة لان الخيط الفكري الذي جمعها خاطىء · خاطىء علميا · ولكنه لا يفعل · على الاقل الى ان يلتقي بك ويحاورك محاورة المودة لا جدل الخصومة · لماذا ؟ لانه يعلم علم اليقين انك قد وضعت كل جهدك الفكري ، كل عواطفك الجياشة ، كل كفاءتك العلمية في خدمة القضية المشتركة : الوحدة العربية· وهكذا ترى يا استاذنا ، او يرجو ابوذر ان ترى ، انه كما لن يستفيد من الكشف العلني لخطأ مقولاتك الا اعداء الوحدة ، فان اصرارك المستمر على التشهير بالفكر الوحدوي ، جملة، لن يخدم الا اعداء الوحدة ···

كتاب كامل تدين به الفكر الوحدوي الذي ساهمت فيه اجيال من الاساتذة والمناضلين ثم « تكتفي » · ومقال كامل تعيد به « حيثيات » الادانة ثم « تكتفي » ·· وبعد ؟·· وبعد يا دكتور ·· اخطأت الاجيال · سلمنا لك « بالنبوة الفكرية » ·· فهات تعاليمك ؟·· بلغ رسالتك ؟·· قل للجيل العربي الجديد ·· افعل كذا ولا تفعل كذا وسيستمع اليك لانك نبي واستاذ ··

في مقدمة كتابه الذي سنتحدث عنه بعد قليل قال

الدكتور البيطار ان دور السياسيين في الحركة العربية قد زال ودخلت دور الانبياء ···!!

ان كان الجيل الجديد من الشباب العربي لا يعرف ذلك فاسمح لابي ذر ان يقدمك اليهم حتى تتأكد انت، ويتأكدوا هم ، انك جدير بان تجيب على السؤال الذي طرحته منذ ١٩٦٤ ولم تجب عليه بعد : ما العمل ؟··

ذكريات حلوة ومرة :

ايها القراء من الجيل العربي الجديد ··

لم تشهد الامة العربية في تاريخها اروع من السنوات الخالدات ١٩٥٨ ـ ١٩٦١ · سنوات الجمهورية العربية المتحدة التي جمعت سوريا ومصر في دولة واحدة تحت قيادة جمال عبد الناصر · انها الفترة التي كتب عنها الوزير الفرنسي بنواميشان كتابه العظيم « ربيع العرب » معبرا عن دخول الامة العربية مرحلة ازدهارها · كان كل شيء يبدو رائعا · قيادة عملاقة تحتل المكان الاول بين الزعامات العالمية · تلتف حولها وتأتمر بأمرها وتتبع خطاها عشرات الملايين في كل مكان من الوطن العربي · انحسار لقوى الاستعمار وهزائم متكررة في كل صدام · انكماش ورعب قاتل لدولة الصهاينة · حركة بناء بالغة الجدية في دولة الوحدة · احترام وتقدير كاملان لكل ما هو عربي ومن هو عربي في اي مكان من الدنيا · الثورة في العراق تنتصر · الثورة في الجزائر منتصرة · بذور الثورة في اليمن تنمو · الاسطول السادس ينزل قواته على شواطىء لبنان ·· فينبرى للدفاع

عن شواطىء لبنان جيش لبنان فلا يتقدم البحارة الامريكيون الى ان يعودوا الى سفنهم (تصوروا !!) ..

كان كل شيء يبدو رائعا .. كان كل شيء يبشر بدولة العرب الواحدة ، وبعصر جديد للانسان العربي . وتم كـل شيء رائع باسم القومية العربية وبواسطة جماهيرنا العربية وبقيادة القوميين وتحت شعارات القومية ، الى درجـة ان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر نفسه قال في تلـك الفترة ـ بعيد تحقيق الوحدة ـ «ان القومية العربية هي التي خلقتني . لست انا الذي اثيرها بل هي التي تحملني . انها قوة هائلة ولست الا اداتها المنفذة . ولو لـم اكـن موجودا لاوجدت غيري ، واحد ، عشرة ، الفا يحلـون محلي . ان القومية العربية لا يمثلها رجل واحد او جماعة من الرجال انهـا لا تتوقف على جمال عبد الناصر او على اولئك الذين يعملون معه . انها كامنة في ملايين العرب الذين يحمل كل منهـم مشعل القومية . انها تيار لا يمكن مقاومته ، ولا تستطيع اية قوة في العالم تدميره طالما احتفظ بثقته في نفسه » .

من هذا المنطلق كـان يقود جمال عبد الناصر جماهير امته . وبهذا المنطق كان يخاطبها . فاجتمع المنطلق الصحيح والمنطق الصحيح والقائد الفذ والجماهير المناضلة في حركة عارمة حققت للامـة العربية اروع سنوات تاريخها الحديث ١٩٥٨ ـ ١٩٦١ .

وفجأة ، استطاعت قلـة رجعية عميلة متآمرة ان تضرب دولة الوحدة وتفصل اقليمهـا الشمالي « سورية » وشلت المفاجأة المذهلة الجماهير العريضة وكـل القوى القوميـة

والوحدوية · وعندما حاولت الجماهير في دمشق واللاذقية وحلب ان تدافع عن دولتها ، انتصارها ، املها ، سحقت · سحقتها القلة الرجعية العميلة المتآمرة ·· وبدأ الانحسار · انحسار المد القومي ·· ومع الانحسار الهزائم · ومنهـــا هزيمة ١٩٦٧ التي ثبت فيمـــا بعد مما نشر مـــن وثائق ان الانفصال كان جزءا من خطتها التي اعدت في الاصـــل بعـــد الوحدة مباشرة ·· اعدتها الولايات المتحدة الامريكية لينفذها عملاؤها من العرب وادواتها من الصهاينة ·

لقد ظل القائد الى اخر يوم في حياتـــه يعـــاني فكريـــا وجسمانيا من جرح الانفصال· ولكنه لم يكن وحده الذي عانى وتعذب · جيل كامل من الشباب العربي (حينئـــذ) ·· ينتمي ابو ذر اليه ، ايضا الدكتور نديم البيطار ، تعذب ومـــا يزال منذ الانفصال ·· لانه ــ ذلك الجيل ــ يرى في كل يوم ــ حتى اليوم ــ من آثار الانفصال ما ينكأ جروحه ويجدد صديدها·· وكان لا بد ــ بالرغم من الآلام والعـــذاب ــ ان يطـــرح علـــى الشعب العربي كله سؤال : لماذا حدث هـــذا ؟ ·· اعني لماذا حدث الانفصال سهلا ولم يعلق العملاء الخونة الانفصاليـــون على اعواد المشانق ؟ ··

ويا للاجابات ، الحاقدة ، الشامتة ، الهدامة ··

انتهز كل اعداء الامة العربية وقوميتها ووحدتها مهزلة هزيمة جماهيرها العريضة امام القلة المتآمرة ، ليقولوا بكل لغة ، بكل صيغة ، ويبرروا بكل فلسفة ، بكل منطق ، ويثبتوا بكل دليل بكل قرينة ·· ان الخطأ كان في الوحدة ذاتها ·· فلا تعودوا اليها ابدا · لم يدينوا الرجعيـــة العربيـــة العميلـــة

المتآمرة ... لم يدينوا الولايات المتحدة الاميركية التي خططت للمؤامرة . لم يدينوا الصهيونية التي كانت حلقة الوصل بين العملاء وسادتهم . لم يدينوا واحدا ، لم يدينوا جماعة .. كل هؤلاء كانوا ابرياء . اما المجرم والجريمة معا فكانت الوحدة العربية .. كان الامر شبيها بما حدث اثر هزيمة ١٩٦٧ ، حيث ادين كل عربي ، فكرة او ممارسة او عملا .. ولم يدن احد المجرمين المعتدين .. الا الجماهير العربية وطلائعها من القوميين التقدميين .

في سنة ١٩٦١ ، بعد الانفصال ، وفي مواجهة تكتل بشع من كل اعداء الامة العربية ، كان على القوميين التقدميين ان يبحثوا عن الاجابة الصحيحة على السؤال الاساسي : لماذا حدث الانفصال ؟ .. اعني لماذا حدث سهلا وانهزمت الجماهير امام قلة متآمرة ؟ ..

باختصار ، انتهت التساؤلات ومرحلة التعذيب الذاتي الى ان الخطأ الاساسي هو : ان الجماهير الوحدوية مهما بلغ عددها ، ولو بلغ الملايين ، لا تستطيع ان تنتصر ، ولو ضد قلة منظمة ، الا اذا كانت هي - اي الجماهير - منظمة وان الانفصال قد تم سهلا ، وانتصرت فيه القلة المتآمرة ، لان الجماهير الوحدوية لم تكن ملتحمة في تنظيم . كانت القاعدة الجماهيرية تضم الملايين . وكانت كلها تحت قيادة عبد الناصر بدون منازع او شريك . وحققت بتلك الصيغة «الناقصة» انتصاراتها ، ولكنها في لحظة خاطفة لم تستطع ان تقاوم قلة منظمة ، لان التنظيم ، تلك العلاقة التي تربط القائد بجنوده، وتحدد لكل فصيل ساحة ، ولكل ساحة عملا، ولكل عمل وقتا ، وتتابع النشاط في مواقعه ، وتبقى على قنوات الاتصال بين القواعد والقيادة بحيث تستطيع القيادة ،

في اي يوم ، في اية ساعة ان تحدد بدء المعارك وقواها ومداها واهدافها في اي مكان ٠٠ ذلك التنظيم كان مفقودا ٠٠ فتحولت حركة مقاومة الانفصال في سورية الى ردود افعال جماهيرية عفوية غاضبة معزولة بعضها عن بعض ٠٠ فسحقت الى حين ٠

الجماهير المنظمة هو الحل ؟ ٠٠

سبحان الله العظيم ٠ انها بدهية عرفتها الانسانية منذ ان كان الناس يخرجون للصيد جماعة فكيف غابت حتى ضاعت وحدة ١٩٥٨ ؟٠٠ واحتوى الضياع نخبة من جيل كامل من المناضلين الثوريين فمنهم من انحرف ومنهم من ارتد ومنهم من اهترأ ٠٠ ولم يصمد الا القليل ٠ وكمادته في تحمل المسؤوليات كان عبد الناصر هو من اعلن ان الخطأ الاساسي كان عدم تنظيم الجماهير ٠ فلم تستطع الجماهير في اللحظة الحاسمة ان تدافع وتنتصر حفاظا على دولتها ٠ ولكن المشكلة الملحة في ذلك الوقت كانت رد الثقة الى الجماهير القومية الوحدوية وشن هجوم مضاد ضد اعداء الامة العربية وهزيمتها ٠ من هنا خاض الشعب العربي في مصر بقيادة جمال عبد الناصر اكبر حروب التاريخ ثورية وتقدمية وشرفا : حرب اليمن ٠ لم يهنأ اعداء الامة العربية طويلا بنصرهم الغادر في شوارع دمشق بل انطلق جنود القومية العربية يحاصرون الرجعية المتآمرة فوق قمم جبال اليمن ويشنون حرب تحرير منتصرة في جنوب الجزيرة العربية ويلجئون الرجعية العربية الى تأجير المرتزقة لتحمي مواقعها ٠ وباسم القومية والوحدة يسقط حكم الانفصاليين في سورية ٠ وباسم القومية والوحدة يصل البعثيون الى الحكم

في العراق ·· وتطرح قضية الوحـــدة الثـلاثية (مصر ـ سورية ـ العراق) ··

ويصر عبد الناصر على ان الاولوية في شأن الوحدة ليست الوحدة للدستورية بل لوحدة القيادة السياسية · وان وحدةالقيادة السياسية تعني وحدة الجماهير المنظمة، وانهذا بدوره يقتضي اولا الوحدة الفكرية ·· وتشهد القاهرة خلال شهـر ابريـل ١٩٦٣ مؤتمـرا فكريـا حقـا ، اسهمت فيـه قيـادات كـل القـــوى المنتسبـــة فـــي ذلـك الـوقت الى الخـط القـومي التقـدمي · ولـــم تتـرك مقـولة فكـريـة ممـــا ينضـوي تحت شعـــار الحـريـــة والاشتـراكيـــة والوحدة الا ونوقشت ودار حولهاحوار حار ·· وانتهى الامر ـ يا ايها الجيـــل الجديد من الشباب العربي ـ الى اتفـاق الاطراف جميعا على (١) وثيقة فكريـة (٢) نظـــام لوحدة القيادة السياسية (٣) دستور للوحدة الثلاثية ·· ثم ، انفجر الموقف كله بين الفرقاء ولم تتم الوحدة ·· وعاد اعداء الامة العربية وقوميتها ووحدتها يرددون ان الخطأ الاساسي هــو الوحدة · الم نقل لكم لا تعودوا اليها ؟

وعاد السؤال الملح : لماذا فشلت الوحدة ؟·· اتفـاق جماعي على مقولات فكرية ، واتفاق جماعي على دستور · واتفـاق جماعي على قيـــادة موحدة ·· فلمـــاذا فشلت الوحدة ؟·· ولم يصمد الا القليل !! وكعادته ايضا كـــان جمال عبد الناصر اول من اعلن عـــن الخطأ · فأعلـن ان الحركة الواحدة اصبحت ضرورة تاريخية ، وانه لن ينشئها وان انشاءها مسئولية الثوريين العرب ·· كيف كـانت دعوة عبد الناصر الى الحركة العربية الواحدة متضمنة اعلانا عن الخطأ في تجربة الوحدة الفاشلة سنة ١٩٦٣ ؟ ·· لان صيغة

التنظيم الجماهيري التي اتفق عليها في ربيع ١٩٦٣ كانت صيغة « الجبهة » جبهة ثلاثية الاطراف · بعث العراق وبعث سورية وقيادة ثورة ٢٣ يوليو · والجبهة مرحلية ومؤقتة توحد القوى ولكن لا تلغي الصراع بين اطرافها ·· وعندما قال عبد الناصر انالبعث بطرفيه العراقي والسوري يستهدفان وضع قيادة ثورة ٢٣ يوليو بين المطرقة والسندان لم يكن يتهمهما بل كان يعبر عن واحد من اعتى قوانين العمل الجبهوي ، حيث لا يكف اي طرف فيها ، ولا يمكن ان يكف ، عن تصفية الاطراف الاخرى من خلال الالتحام بهم في العمل الجبهوي المشترك · وبعد حين سيحضر الى القاهرة احد اقطاب الجبهة الفاشلة ويطلب من جمال عبد الناصر ان يسمح له بان يسجل بصوته ـ للتاريخ كما قال ـ حقائق الصراع المدبر الذي كان يدور في ذات اللحظات توقيع اتفاقيات الوحدة الثلاثية ·· وسجله في مقابل وعد بالا ينشر الا بعد مضي المدة اللازمة لنشر الوثائق التاريخية ·

انحصر الحل الصحيح اذن في الحركة العربية الواحدة · اصبح مصير الحركة القومية التقدمية متوقفا على قيام الحركة العربية الواحدة · اصبحت المساهمة في قيام الحركة العربية الواحدة هي المحك الصحيح لموقف كل منتسب الى الحركة القومية التقدمية والدليل المقبول على صدق الولاء للامة العربية وجماهيرها ·· وكان كل هذا خلاصة ركام من الانتصارات والهزائم من التجارب الصحيحة والتجارب الخاطئة ·

فانبرت قلة من المثقفين العرب ، القوميين الوحدويين التقدميين ، لارساء حجر الاساس الاول في بناء التنظيم الذي

سيضم طلائع امتهم ويقود جماهيرها ولا يسمح مرة اخرى بأن تنهزم تلك الجماهير امام الاقليات الرجعية المتامرة من اعداء الامة العربية ووحدتها · حجر الاساس في بناء اي تنظيم هو الوحدة الفكرية · وحدة النظرية التي تلتقي عليها الجماهير وتلتزم بها وتحتكم اليها ، فتضبط خطاها في مواقعها ولا تسمح للمعارك التكتيكية بان تكون على حساب الهدف الاستراتيجي ··

بكل المقدرة العلمية ، وبكل الثقافة الواسعة ، وبكل الصدق في الانتماء القومي ، وبكل الجدية في الاخلاص لهدف الوحدة ، وبكل الحماس لقيام الحركة العربية الواحدة ، اسهم الدكتور نديم البيطار في الوفاء بمسئولية القوميين التقدميين عن تحقيق الوحدة الفكرية ، بكتابه الموسوعي « الايديولوجية الانقلابية » ·· لان الدكتور نديم البيطار كان من تلك القلة التي لم تضع ، ولم تنحرف ، ولم تيأس ، ولم تهترىء ·· تحت وطأة هزيمة الانفصال سنة ١٩٦١ او فشل الوحدة سنة ١٩٦٣ ··

من اجل هذا الدور العظيم في ظروفه ، الذي وقفه الدكتور نديم البيطار من ازمة امته ، فلم يبخل عليها بذرة من كنوزه الفكرية ·· ولم يزل ، لا يستطيع اي قومي تقدمي ، خاصة اذا كان من امثال ابي ذر الذي عاش تلك الفترة ان يلتفت عن اعداء الفكر الوحدوي ليكشف الاخطاء التي وقع فيها واحد من اساتذة المفكرين الوحدويين ، ومن اجل هذا كان يتمنى ابوذر لو ان الدكتور نديم البيطار قد « اكتفى » بكل ما قاله من قبل ، ادانة للفكر الوحدوي ، وقال للجيل الجديد من الشباب العربي : كيف تتحقق الوحدة ؟··

الموسوعة البيطارية :

والان ، ايها الشباب ، بعد ان عرفتم نبذة عن الـــدور النضالي للدكتور نديم البيطار ، اليكـــم التعريف بكتابـــه « الايديولوجية الانقلابية » ..

صدر كتاب « الايديولوجية الانقلابية » عام ١٩٦٤. وقد صاحبه سوءالحظ منذ نشره. فلم يقرأ كما يجب ان يقرأ ولم يصل الى من هم في حاجة اليه واعني الشباب . حجبته عن الشباب عوامل لا تمس مضمونه الغني . اولها فيما اعتقـد – واهونها – عنوانـــه . ان اسم « الايديولوجية الانقلابية » اسم مخيف لمن لم يعتد مواجهة تلك الكلمات الكبيرة المركبة و « الانقلابية » بالذات توحي باسلوب مرفوض ومدان لانها توحي باستيلاء جزء من السلطة على كل السلطة بدون تغيير اقتصادي او اجتماعي . وفي الادب السياسي ، الـــدارج ، يوضع « الانقلاب » موضع المقابلة من « الثورة » . الثـــورة مقبولة والانقلاب مرفوض . ولقد حرضت ، بنفسي ، اكثـــر من واحد على قراءة كتاب « الايديولوجية الانقلابية » بعد ان تبينت انه قد رفض ان يقرأه للمعاني المرفوضة التي يوحـــي بها عنوانه . حرضت على قراءته ، ومـــا زلت احرض ، لان مفهوم « الانقلابية » كما يطرحه الدكتور نديم البيطار ابعد ما يكون عما توحي به كلمـــة « الانقلاب » . انه يعني به شيئا اخر اكبر حتى من الثورة . اعني اعـــم من الثورة واشمل وابعد اثرا في تاريخ الشعوب .

لم يكن العنوان هو كل ما حجب الكتاب عن القراءة . ما حجبه ايضا حجمه . انه يكاد يكون مكعبا . يتكون مـــن

١٠٣٠ صفحة على ورق سميك · ان الشباب عادة لا يقبلون على تلك الاحجام التي تحتاج الى مران طويل على الصبر في القراءة · شيء اخر · ثمنه · في عام ١٩٦٤ كان ثمنه ١٥ ليرة لبنانية · تساوي الان على قدر ما اعلم من خبرتي القليلة بالنقود واسعار صرفها عشرة اضعافها · فمن الذي يشتري اذا كان مستعدا للحمل · ومن الذي يحمل اذا كان مستعدا للصبر على قراءة ١٠٣٠ صفحة تحت عنوان « الايديولوجية الانقلابية » ؟؟ المحترفون فقط من امثالي · مظلوم الكتاب اذن لانه لم يصل الى ايدي وعقول الشباب · ومظلوم الشباب ايضا لأنه لم يقرأ كتابا موسوعيا ··

انه موسوعة بكل معنى الكلمة · ولقد اتمنى لكل شاب عربي ان يحصل عليه ويحتفظ به ويعود اليه من حين الى حين فسيجد فيه الوانا من المعرفة لا حصر لها لم تجتمع ابدا في كتاب واحد لمؤلف واحد على قدر ما يعرف ابو ذر من كتب ومؤلفين ··

ان الدكتور نديم البيطار ينتهج فيما يكتب المنهج التاريخي · فهو مقتنع اقتناعا تاما ـ كما قال في كتابه ـ بوجود سنن ايديولوجية انقلابية مشتركة ومتكررة في المراحل الانتقالية الثورية الكبرى · انها ذات الفكرة التي عبر عنها في مقالة عن «ازمة الفكر الوحدوي» عندما قال «عمليات الدمج والتوحيد السياسي عبر التاريخ تنطوي على تعدد لا يمكن حصره ، والمنهج التاريخي المقارن هو الاداة التي يمكن بها صياغة هذا التعدد في درجة عليا من الوضوح والجلاء· لأنه يوفر لنا القدرة على تعيين العام الذي يسودها » · وفي

كتابه ـ الموسوعة « الايديولوجية الانقلابية » ·· « يكتفي »
المؤلف بالدراسة المقارنة للايديولوجيات الغربية الانقلابية من
المسيحية الى النازية ، فقط !! ويعتذر فيقول : «ان المجال
لا يتسع مع الاسف لجميع التجارب التاريخية الايديولوجية
الانقلابية » ··· وللشباب ان يتصور كتابا صاحبه ذو معرفة
خيالية يناقش كل الافكار والفلسفات والمبادىء والمذاهب
والحركات السياسية والوقائع التاريخية على مدى تسعة
عشر قرنا ·· وهو لا يناقشها من حيث هي احداث فكرية او
ممارسات بدون رجال · انه يناقش انبياءها ، وعلماءها
ومفكريها ، وادباءها ، وساستها ، وفنانينها ، وفي مرحلة
وسطى من الكتاب يدخل الاسلام في المقارنة ايضا ، الى
درجة ان اسماء الاعلام الذين نقل عنهم الدكتور نديم البيطار
وناقشهم واستشهد بهم بلغ ٦٢٥ مفكرا وفيلسوفا وعالما
واديبا وقائدا وسياسيا ونبيا ايضا ·· وهو « يكتفي » بهذا
القدر ويعتذر في نهاية الكتاب بقوله : « كان علينا ان
نسهب بعض الشيء في قسم الحواشي والمراجع غير اننا
قد رأينا ان الكتاب امسى من الضخامة بمكان كبير وان ما
كنا وطدنا العزم على اضافته (خذوا بالكم) من الحواشي
والمراجع !! يبلغ ما يزيد عن الثلاثمائة صفحة) اضطررنا
الى الاستغناء عنه مكرهين، واكتفينا بنشر فهرس اسماء ·»
من فهرس الاسماء عرف ابوذر عدد الذين حاورهم الدكتور
نديم البيطار · وهل كنتم تنتظرون ان اعدها بنفسي ·· ليس
في العمر بقية كافية ··

المثير للاعجاب حقا ، ان ليس في كل هذا ان يقال انه
حشو لا لزوم له ، او كلام فارغ ، او استعراض للمعلومات

ابدا • انه الموضوع الذي اختاره ، اراد ان يوفيه حقه مـن البحث ، او بعض حقه ، فجاء الكتاب موسوعة معرفة حقا • وعندما يتصور الانسان كم بذل الدكتور البيطار من الجهود وسهر الليالي لمجرد ان يسهم بفكره في تجاوز امته العربية مرحلة ازمتها (١٩٦١ ـ ١٩٦٣) بدون باعث الا رغبته في ان يضع بين ايدي شباب الامـــة العربية ما « قـد » يحقق الوحدة الفكرية اللازمة لبناء الحركة العربية الواحدة •• لا يملك الا ان يدخر له تقديرا عظيمـا يستحقـه وان يأسف لأن الشباب العربي قد حرم من موسوعته البيطارية •••

ماذا قال في تلك الموسوعة ؟ اعني مـا الذي اراد ان يقوله ؟•• انـه بسيط وقليل • امـــا الجانب الموسوعي في الكتاب فلم يكن الا تدليلا تاريخيا على صحـــة هذا البسيط القليل • نعرض هنا ذلك البسيط القليل الذي اراد الدكتــور البيطار ان يقوله في موسوعته :

اولا : ان دراسة التاريخ المقارن تكشف عن انه يتكون من مراحـــل انقلابية متتابعة وان لكـل مرحلة ايديولوجية انقلابية خاصة بها ، وان الدراسة المقارنة لتلك الايديولوجيات الانقلابية تكشف عن توفر سنن مشتركة فيما بينها مترددة في كل منها ، نستطيع منهـــا ان نعرف خصائص الايديولوجية الانقلابية (من صفحة ٣٢ حتى صفحة ٧٩) •

ثانيا : ان كل الايديولوجية الانقلابيـــة لا تنشا فجـاة بل على اثــر تطورات فكرية فلسفية عديدة تتقدمها وتمهــد لها (من صفحة ٨١ حتى صفحة ١١٨)

ثالثا : ان كل ايديولوجية انقلابية تؤكد تأكيدا اساسيا على دور الافكار في توجيه التاريخ سواء كان مضمونهـــا ماديا او مثاليا ، وبناء عليه فان كل ايديولوجية انقلابية هي بالضرورة مثالية لانها تبشر بقيام مجتمـع جديد على صعيد انساني عال كمفهوم في الحياة · في هـــذا الجــزء يعرض الدكتور افكارا رائعة للكشف عن مثالية الايديولوجيات المادية مثل الماركسية والنازية · (من صفحة ١٠٩ الى صفحة ١٥٨)

رابعا : ان كل ايديولوجية انقلابية هي صيغة شاملــة لمرحلتها التاريخية (من صفحة ١٦١ الى صفحة ١٨٧) ·

خامسا : ان كـــل ايديولوجية انقلابيـــة « مطلق » اذ غايتها ان توحد بين الفرد والمجتمع يعني انها تعرض ذاتها وتمارس دورها باعتبارها الصواب المطلق الذي لا خطأ فيه · يقول : اما الحرية الفكرية او السياسية التي تزعمها بعض تلك الحركات الانقلابية فهي مغالطة كبرى ، فليس من حركة انقلابية تستطيع مهما صحت غائيتها في الحرية ان تسمـــح ، على الاقل في طور تبلورها او تحققها الاولى ، بتلك الحرية ، لان هذا الطور ينشأ من ايديولوجية ، تفرض عليها طبيعتها الانقلابية الامتداد الى المجتمع ككل » (من صفحة ١٨٩ الى صفحة ٢٠٦) واثبات هذه الفكـــرة (من صفحة ٢٠٧ الى صفحة ٢٢٨)

سادسا : « قاعدة الانطلاق في الايديولوجية الانقلابية هي الاعتقاد بان المجتمع قد وصل الى نقطة ، في مجـــراه التاريخي الخاص ، ضاقت عندها آفاقه ، وانكمشت امكاناته، واصبح من المستحيل متابعته ، وان حياته وفعاليته تفرضان

تجاوزه وتجديده على صعيد تاريخي جديد ‥ » (الشـرح والتدليل من صفحة ٢٢٩ الى صفحة ٢٥٨) وبه تـم الجزء الاول من الكتاب وعنوانه « الايديولوجية الانقلابية في التعبير عن ابعادها السياسية » ليبـدأ الجزء الثاني من الكتـاب وعنوانه « صورة الايديولوجية الانقلابية العامة » ‥ وفيه يقول :

سابعا : « ان كل ايديولوجية انقلابيـة ذات وجهيـن · يسميهما « ثنائية التجاوز الانقلابي » يعني بهما مرحلـة تاريخية قديمة سعيدة تستوحيها ‥ ومرحلة تاريخية مقبلة تدعو اليها اما ما بينهما فتلغيـه · بتعبيـر آخـر تقف كـل ايديولوجية انقلابية من التاريخ ثلاثة مواقف : موقفا مـن التراث تستوحيه وموقفا من التاريخ القريب (الواقع) تلغيه وموقفا من المستقبل تبنيه (مـن صفحة ٢٦١ الى صفحـة ٢٨١) ·

ثامنا : تشترك كل الايديولوجيات الانقلابية في رفضها (انقلابها على) صورة مجتمع ، و « شوقها » الى مجتمع انقلابي جديد · ويقـول : « لا تلتقي الايديولوجيات فقط في الشوق او الميل فقط ، بل ان المجتمـع الانقلابي الذي تهفو اليه هو مجتمع متماثل متشابه بينها · فهي تحن ، بالرغم من جميع الاختلافات والفروق ، الى صورة انقلابية واحدة في خصائصها الاولى والرئيسية ، حنينهـا واحـد ومجتمعها واحد » ‥ و « نحن نجد في كل ايديولوجية انقلابية دعـوة الى دخول الفرد في وحدة مقدسة مع الاخرين · فقد تؤكـد على فردية او طبقية تفصـل بين فرد وآخر ، بين جماعـة واخرى ، ولكن غايتها الاولى هي انشـاء تلك الوحدة » ·

(من صفحة ٢٨٣ الى صفحة ٣١٤) · هـذه الفكرة جديرة بالتأمل خاصة عندما يطبقها المؤلف على كل من المسيحيـة والنازية ·

تاسعا : تنشأ كل أيديولوجية انقلابية منواقع اجتماعي ترفضه وتنقضه بالتالي لا تستمد منـــه مبرراتها فتلجأ الى تبني فكرة القانون العام الذي يوحي بوجود نظام عام يسود حركة التاريخ بشكل مستقل عن ارادة الناس وانهـا ـ في مرحلتها ـ تمثله (من صفحة ٣١٥ الى صفحة ٣٤١)

عاشرا: لكلايديولوجية رموزها وشعاراتها وطقوسها· اذ لما كانت الايديولوجية الانقلابية تعني « صورة انسانيـة جديدة تحاول ان تفرض ذاتها على الواقع ، وعمـلا سياسيا ثوريا يحول الواقع تبعا لها ، مما يؤدي الى جعـــل تركيبها الايديولوجي يخسر الكثير من العقلانية ، لانها تجد نفسهـا مضطرة الى اعتماد عناصر اسطورية وعاطفية تقدمها على الفكر والعقل وتحاول ان تخلق فيها الاوضاع التي تبررها ، لهذا ، تتحـول الايديولوجية الى شعـــارات وطقوس تردد فرضياتها بشكل عاطفي وبصورة مطلقـــة » ·· ذلـك لان « قابلية الادراك في الجماهير محدودة جـــدا ، والانفتـاح الفكري فيها معدوم ، وهي تتميز بميل الى النسيان شديد · وكلها صفات تفرض على كل ايديولوجية انقلابية ان تنظـم ذاتها في كمية من النقاط الاساسية تحملها الى الجماهيـــر بشكل شعارات مبسطة » ·· ولهذا ، « تحتاج الايديولوجية الانقلابية دائما الى نخبة انقلابية تتمثـــل على الاخص في حزب انقلابي ، تكون على بينة من التاريخ ، من تجاربه الى سننه » ·· و « ان علمية او لا علمية ، واقعية او اسطورية

المذاهب والعقائد لا اهمية لها ابدا » .. « ان الايديولوجية الانقلابية التي تريد ان تنشىء العالم على صورتها تحتاج الى الايمان الاعمى » (الشرح والايضاح من صفحة ٣٤٣ الى صفحة ٣٨٥)

حادي عشر : ان الحرية في كل ايديولوجية انقلابية تعني التحرر من المجتمع القائم لحساب قانونها العام (من صفحة ٣٨٧ الى صفحة ٤٢٦) في هذا الجزء تطبيق ذكي لهذه المقولة على الماركسية خاصة ابتداء من صفحة ٣٩٤ وينتهي الجزء الثاني ليبدأ الجزء الثالث بعنوان « المضمون الميتافيزيقي في الايديولوجية الانقلابية » .

ثاني عشر : كل ايديولوجية انقلابية هي في الاصل ميتافيزيقية لانها تنطلق من حقيقة ثابتة ترجع اليها مظاهر الاجتماع والتاريخ والسلوك . هذه الحقيقة لا تجد ما يبررها في التحليل التجريبي (من صفحة ٤٢٩ الى صفحة ٤٥٠) .

ثالث عشر : اروع واعمق افكار الكتاب : ان كل تمرد ضد الميتافيزيقا هو موقف ميتافيزيقي . هنا يصول ويجول المؤلف ويستعرض مقدرته الفلسفية « الجدلية » (من صفحة ٤٥١ الى صفحة ٥٠٦) .

رابع عشر : تطبيق ما تقدم على الايديولوجيات الانقلابية : « تتحدى الايديولوجية الانقلابية في فرضياتها الاساسية كل تحليل وكل تفسير علمي، وتبقى فرضيات بدهية قبلية طالما كان باستطاعة الايديولوجية ان تولد ذاتها في النفوس الحماسة والولاء الوجداني العميق .. » التطبيق

على الليبرالية بشكل خاص (صفحة ٥٠٧ الى ٥٤٦)وينتهي الجزء الثالث ليبدأ الجزء الرابع بعنوان « المضمون الكلي في الايديولوجية الانقلابية » فيقول :

خامس عشر : كل ايديولوجية انقلابية هيكلية المضمون تمتد الى كل مناحي الحياة (راجع من قبل تاسعا) والتطبيق موضوعي ومطول وخصيب على المسيحية خاصة بالاضافة الى المذاهب الاخرى (من صفحة ٥٤٩ الى صفحة ٦٧٦)

سادس عشر : يترتب على كون كل ايديولوجية انقلابية مطلقة وكلية ان تلجأ الى العنف في نقض المجتمع القديم وبناء مجتمعها · اذ « تنشأ كل ايديولوجية انقلابية باسم العدالة تنكر مظالم وعنف العهد التقليدي ولكنها لا تلبث ان تتعصب لذاتها ، وعندئذ تشيد مقاصل وسجونا جديدة تحل محل تلك التي هدمتها وترغم الناس على تأدية العبادة المطلقة لها » و « لا تستطيع الحركة الانقلابية الحياة دون حقد تركزه على بعض الاعداء ، والحقد يولد الكراهية والعنف ، يستحيل اذن ظهور حركة انقلابية بدون عنف » (من صفحة ٦٧٧ الى صفحة ٧٢٠) وينتهي بهذا الجزء الرابع ليبدأ الجزء الخامس بعنوان « المضمون الديني في الايديولوجية الانقلابية » · ويقول :

سابع عشر : « ان ما تطلبه الاديان من الفرد هو الاستسلام التام ، الطاعة والتكريس الذاتي لها · لكي لا يجد الفرد نفسه يجب ان يخسرها · اخذت الايديولوجيات الانقلابية الحديثة مكان الدين في هذه الفروض » · من هنا فان الايديولوجيات الانقلابية ، حتى لو كانت ملحدة ، تلتقي

مع الدين « في طبيعتها وفي المقاصد والاهداف التي تبغيها ، وفي التجربة السيكولوجية الاخلاقية التي تولدها ، فالطبيعة واحدة والمقاصد متماثلة من حيث الشكل وان اختلفت من ناحية المضمون ، والتجربة السيكولوجية واحدة وان اختلفت في المصدر » .. هذا تلخيص للصفحات من ٧٢٢ الى ٨٠٨. تلخيص ذري . نسبة الى الذرة وليس نسبة الى ابي ذر .. والذرة بالرغم من ضالتها تحمل بسر الوجود كله .

ثامن عشر : كل ايديولوجية انقلابية هي ضابط اخلاق مرحلتها . اذ «تعني الايديولوجية احكاما وقوانين تنبع من نظام ايديولوجي يكشف عن نظام طبيعي ، يقبله المؤمنون ويريدونه . فهو يمثل النظام الاخلاقي ذاته فيتحقق الفرد اخلاقيا بالسلوك تبعا لهذا القانون وبموجبه »(من صفحة ٨٠٩ الى صفحة ٨٢٧) ويبدأ الجزء السادس من الكتاب بعنوان «المضمون الثوري في الايديولوجية الانقلابية» . فيقول :

تاسع عشر : بعد مقارنة طويلة وطريفة ، بين خصائص الانسان وخصائص الحيوان تكون «الانقلابية» اي المقدرة على تجاوز الواقع هي المميز للانسان . و«يمثل الدور الاقتصادي المادي الحديث جميع ما هناك من شر يصيب انسانية الانسان، فكان على سيادته ان تنتهي ان كنا نبغي الحياة والاستمرار والنمو لتلك الانسانية» .. فالانسان الان في طور انقلابي جديد يتجاوز به الانقلاب البورجوازي الذي حول الانسان الى كائن اقتصادي (من صفحة ٨٣١ حتى صفحة ٨٩٦) .. المادة فيما بعد هذا تضعف وتتكرر الى ان نصل الى صفحة ٩٨٥ حيث العنوان هو : «خاتمة حدود الانقلاب العربي» . فيقول :

عشرون : ان الحركة العربية القومية الثورية لم توفق بعد الى ايديولوجية انقلابية ، ولم تدخل الطور الايديولوجي الانقلابي المتكامل الصحيح» •• فهي «تحتاج الى ايديولوجية انقلابية تدعمها فلسفة اجتماعية كي تجد شخصيتها ، ويكتفي ••• الدكتور البيطار بهذا ••

وبعد ؟ •• ما العمل ؟ •• لا يجيب • ولكن يترك لنا كتابا موسوعيا يصلح مرجعا لكل الشباب من الجيل الجديد • انه الاسلوب ذاته الذي كتب به مقاله عن « ازمة الفكر الوحدوي» •

على اي حال فقد كانت فرصة طيبة نيعرف الجيل الجديد من الشباب العربي شيئا عن الكتاب الموسوعة «الايديولوجية الانقلابية»•• نقلها ابو ذرعن ملخصاته للكتاب حين ظهوره •• وهل استطيع ان اقرأه مرة ثالثة ؟ • ثم لماذا ؟ •• اني ابحث عن اجابة على الاسئلة لا تأكيد موسوعي على انني في حاجة الى جواب ••

الجواب من عند الشباب ••

انظروا ماذا قالوا في العدد الثاني (السنة الثانية) من الشورى ••

حوار الافكار الشابة :

ان محمد عبد الحكم يضع مشكلة المستقبل العربي كله في صيغة محكمة فى مقاله الجيد «الناصرية بين النظرية

والتطبيق» · يقول قبل ان يلخص تلخيصا وافيا تطور الفكر الناصري ·

«ان المعضلة الكبرى امام اي ناصري ـ الان ـ هي عدم قيام الحركة العربية الواحدة، واستمرار التعدد في التنظيمات والجماعات الناصرية · وان كان لهذا ما يبرره في ظل قيادة عبد الناصر لحركة الثورة العربية فان ذلك يعتبر الان قيدا على الحركة وعبئا على النضال الذي هو في امس الحاجة الى التوحيد من اجل القضية العربية المشتركة · ومن اجل الصمود فيتحقق اهداف النضال العربي في الحرية والاشتراكية والوحدة » ·
وبعد ان يلخص تطور الفكر الناصري تلخيصا وافيا يختتم مقاله بقول حاسم حازم حتى لا يميع احد الموقف عن طريق مناقشة تلخيصه فيقول : « وفي مواجهة المستقبل سنجد ان الناصريين امام موقف دقيق لن يخرجهم من هذا الموقف غير ايجاد الوعاء الثوري الذي يحتوي حركتهم ويزيد من فعاليتهم ·· هذا الوعاء يوحد الارادة ويخلق الاطار ويبلور المنهج ويثريه وهو ما يخلق الحركة العربية الواحدة كتنظيم قومي يتجاوز الحدود المصطنعة ويحشد الطاقة العربية من اجل المستقبل ومشاكله» ·

ان محمد عبد الحكم يرد هنا على ما كتبه الدكتور البيطار من اول الموسوعة الى اخر المقال ، يقول واحد : اذا كان في الفكر الوحدوي فقر فتعالوا الى الصيغة الوحيدة لاثرائه · الحوار المنظم داخل التنظيم الواحد ···

ومن اقصى صفحات «الشورى» يقدم الدكتور طيب تيزيني خطة الاثراء في بحث من اجود ما قرات هذا العام ·

عنوان مقاله هو «البحث العلمي واهميته المبدئية في تطور التنظيم السياسي» ·

يرسى في اوله قاعدته حتى لا يخلط احد بين البحث العلمي والمنهج فيقول : «الجدير بالذكر ان البحث العلمي لا يمكن ان تقوم له قائمة بمعزل عن الاخذ بمنهج او طريقة علمية دقيقة» · ثم يدين العزلة بين الفكر والممارسة · فيقول عن الفكر بدون ممارسة : «ان التأملية تؤطر المناضل في أطر فكرية موجودة مسبقا فتحيله الى انسان فاقد الشخصية يتحرك على واقعه ورغما عنه بتلك الاطر دون ان يتطرق الى ذهنه اي شك منهجي خلاق · انها ترفض في اخر تحليل الواقع العملي ، معتقدة بانه مرغم على التأقلم معها وان ادى ذلك الى اجهاض وتذويب معالمه الحية ، كما تعتقد (التأملية) بان تلك الاطر الفكرية تصلح لكل زمان ومكان» ·

ثم يقول عن الممارسة بدون ضابط فكري :

«ان اصحاب التجريبية يؤكدون بان ممارسة اسلوب الخطأ والصواب بعيدا عن اي تصور فكري يقود الى الحقيقة الخالصة فلنجرب ونخطيء ولنجرب ونخطيء ·· هكذا حتى نتشارف على الحقيقة ونقبض على ناصيتها · ان التجريبية تقع في خطأ اساسي هو انها تنكر وحدة التاريخ الفكري والانساني العام · ذلك لان الباحث والانسان عموما لا يبدأ من الصفر وان حاول تجاهل المنجزات الفكرية قبل ان يبدأ هو البحث ···» ·

هذان موقفان نقيضان · قدم الدكتور طيب تيزيني حلهما الجدلي الصحيح الذي يوحد بين الفكر والممارسة في

ست نقاط (١) الملاحظة (٢) الاستقــراء (٣) التــركيب (٤) الفرضية (٥) التحقق (٦) اقتراح حلول · ومنها نــرى كيف يتفاعل الفكر والممارسة في حركتهما الجدلية ·

فالملاحظة هي ملاحظة واقع وحصيلــة الممارســة التي تمت · ملاحظة جزئياته وانواعه وكلياته · ملاحظة حركتهــا وتحولها وتطورها · الممارسة اذن او حصيلتها الواقعية هي البداية ، ولكن لا من حيث هي بداية تجربة ولكن من حيث هي بداية بحث علمي يكون الواقع موضوع ملاحظته· هذه الملاحظة ليست لمجرد اشباع الفضول ، وهي تتم على اساس استبعاد الصدفة اي بتسليم اولي بمبدأ الخضوع لقانون· هذا التسليم المنهجي هو الذي ينقلنا مــن الملاحظــة الى الاستقــراء · «الحقيقــة ان المرحلة الثانيــة مــن البحث العلمــي التي هي الاستقراء مرتبطة اشد الارتباط بالمرحلة الاولى اي الملاحظة· هذا الامر يبرز بوضوح من خلال الوظيفة التي ينجزها كل من الاستقراء والملاحظة فكلاهما يبدأ بالعناصــر الجزئيــة مــن موضوع البحث اما الفروق بينهما فيقــوم على ان الملاحظــة تبقى في اطــار هذه العناصر غير قادرة على ان تتجاوزها · اما الاستقراء فيتحدد بالانتقال من العناصر الجزئيــة الــى نتائج كلية» ·· ثم تاتي مرحلة التركيب · انها مكملة لعمليــة الاستقراء · فالنتائج الكلية التي كانت حصيلة ملاحظة لاجزاء الواقع تكــون محدودة بتلك الاجــزاء التي كــانت موضــوع الملاحظة · ومهما كانت النتائج كلية فانها تبقى جزئية اذا ما ظلت واقفة عند حدود ملاحظتها الاولى · لا بد اذن من الدفع بالبحث العلمي خطوة اخرى لتكون النتائج الكلية شاملة ما تمت ملاحظته فعلا وما لم تتم ملاحظته · اي اعادة النظر الى الواقع وتركيبه (فهم تركيبه) على ضوء النتائج الكلية · عندئذ

تكون لدينا «فرضية» · وهي مقولة مرشحة لتكون قانونـــا اكتشفناه بدءا من الملاحظة حتى التركيب · لماذا «فرضية» ؟ لأنه وان كانت الممارسة قد قدمت لنا الواقع الذي نلاحظـه ، فان الاستقراء والتركيب هما مساهمة الفكر في عملية البحث العلمي · ولو اكتفينا بما ينتهي اليه الفكر ولو عـن طريـق الملاحظة والاستقـراء والتركيب ـ لعدنـا الى «التأمليـة» · فالتأملية ذاتها ليست تأمل الفراغ ولكن تأمل الواقع · وانما نأخذ الحصيلة الفكريـة من الاستقـراء والتركيب على انهـا «فرضية» ·· لا بد من ان تصدق · محك صدقها العودة الى الممارسة · اي «التحقق» · ان التعليل المقدم من قبل الفرضية يظل تعليلا محتملا حتى يتحول الى حقيقة صادقة بعد اجراء عملية التحقيق · ومن الضروري في هذه النقطة التأكيد على ان تحول الفرضية التخمينية الى نظرية عملية تعيينية صادقة يرتبط اولا واخيرا بالممارسة العملية والعلمية النشيطة» ·

يقول الدكتور طيب تيزيني : «هذه الخطوة هي الاخيرة في عملية البحث العلمي» ·· ونقول لان حصيلتهـا نظريـة علمية · بدأت بملاحظة الممارسة ، ثم صاغها الفكر ، وصدقت صحتها في اختبار الممارسة · من الواقع الى الفكر الى الواقع تلك هي الحركة الجدلية ·

ولكن دكتور طيب تيزيني يضيف عنصرا اخر : اقتـراح الحلول · لقد اعطى لهذا العنصر فقرتين قصيرتين في اخـر مقاله الممتاز · كنت اتمنى لو اطال فافصح اكبر مما فعل · لانه يقول «ان اقتراح الحلول هو نفسه يكون فرضية علميـة وهذه الفرضية تتحول بدورها الى نظرية علمية صادقة حيث تتواجد كل معطيات التحقق منها على النحو الذي اشرنا اليه

ان هذه الصيغة قد توحي باهدار النظـرية والبدا من جديد بالملاحظة ثم الاستقراء ·· الى آخره في النسق ذاتـه · في الموضوع ذاته · وهذا يعني العودة الى التجريبية · وما فهمه ابو ذر هو انه بالانتهاء الى «نظرية» اي فرضيـة صدقت في اختبار الممارسة يتعيــن علينـا ان نلتزمهـا في نسقهـا او موضوعها ·· ولكن ، وهذا ما اعتقد ان الدكتور طيب يعنيه ، ان البحث العلمي لا ينقطع في ظل النظرية للبحث عن حـلول لمشكلات«النمو الاقتصادي والاجتماعي والتكنولوجي والعلمي والقومي والسياسي » للواقع العربي ···

على اي حال ان كل هذا الايضاح من عند ابي ذر لانه يتمنى لو ان كل شاب عربي من الجيل الجديد قد احتفظ بمقال الدكتور طيب وقرأه واعاد قراءته واتخذه دليلا في كل موقف تطرح فيه تلك القضايا الشائكة · علاقة البحث العلمي بالمنهج العلمي · وعلاقة الممارسة بالنظرية · علاقة العلم بالسياسة· علاقة الجزء بالكل ·· الى آخره ·

اهم من هذا كله ، في خصـوصية نقـد العـدد الثاني (السنة الثانية) من «الشورى» ان مقال الدكتور طيب تكملـة لمقال محمد عبد الحكم في الرد على مقال الدكتور البيطار · محمد عبد الحكم اكـد ان المعضلـة الاساسية هي انشـاء التنظيم القومي حيث «يبلور المنهج ويثريه» · ومقال الدكتور طيب بيان لكيفية بلورة المنهج واثرائه داخل التنظيم ·

نعم ، فان مقال الدكتور طيب من اوله الى آخره تاكيد على ان اسلوب البحث العلمي يتم داخل التنظيم وليس تأملا فرديا من خارجه · يبدا «بنقد مبدئي وحازم لوجهة النظر التي

ترى ان المهمات السياسية والقومية والاجتماعية الكبيرة المطروحة امام التنظيم السياسي ٠٠ الخ» و«٠٠ ان الاهتمام العميق والمبدئي بالمسائل الثقافية والعلمية والعقائدية ٠٠ يجد مصادره العميقة في ضرورة اخضاع القضايا الثقافية والعلمية والايديولوجية لمقتضيات الاستراتيجية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقومية للتنظيم السياسي اولا ٠٠ الخ» و«٠٠٠ لا يمكن للتنظيم السياسي الا ان يرفض بنفس الحزم الذي يرفض فيه ظاهرة الثقافة للثقافة الاتجاه العفوي الذي يرى في التثقيف على مشارف الحقيقة التالية وهي ان من الامور الاكثر جوهرية في النشاط الجماهيري الثوري ان تنصهر شخصية العلم بشخصية المناضل الجماهيري لتنتج شخصية المناضل الثوري ٠ ذلك لان موقفا ثوريا غير منضبط بضوابط نظرية علمية ، وقومية ، يقود الى مزالق الفوضى والعفوية والارتجال ، كما ان موقفا علميا نظريا ذا بعد قومي بعيدا عن النشاط الثوري العلمي يودي الى الانعزال عن الجماهير والى خلق قطيعة من الواقع وبالتالي تقوقع التنظيم على ذاته ٠٠٠»

ان ابا ذر لا يكاد يستطيع كف قلمه عن اعادة كل فقرات هذا المقال الممتاز ٠ الاكثر من ممتاز ٠ ولا يكاد يستطيع ان يخفي فرحته بحوار الافكار الشابة ٠٠٠

ويا زميلي في الشيخوخة وجيل المعاناة ، يا دكتور نديم هذا هو الفكر الوحدوي حقا ، لانه يطرح مشكلة الوحدة على حقيقتها ، ويحاول حلها الحل الصحيح ٠

الوصـــايــا :

في « التوراة » المتداولة وردت وصايا عشر وصى بهــا الله بني اسرائيل · تبدأ : «اني انا الباقي الهكم الذي اخرجكم من مصر منزل عبوديتكم فلا تتخذوا آلهة غيــري» ثــم تأتي الوصايا المعروفة «اكرم والديك · لا تقتل · لا تسرق · لا تزن» مطلقة بدون تحديد · اما الوصايا الباقية مثل الشهادة الزور مثلا فتأتي مشروطة بالقرابــة · لست اشــك في ان اضافــة القرابة هنا الى باقي الوصايا تستحق دراسة في اصل النص ··· اذ ان مفهوم المخالفة ، وهو احد طرق التفسيــر ، قــد يؤدي الى اباحتها اذا كان ضحيتها غير قريب ···

جاءت الوصايا العشر في القرآن مطلقــة مــن حدود القرابة اي على مستواها الانساني الشامل حيث هي خطــاب للكافة · قال تعالى في سورة «الانعام» :

«قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم (١) الا تشركوا به شيئا (٢) وبالوالدين احسانا (٣) ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم (٤) ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن (٥) ولا تقتلوا النفس التي حــرم اللــه الا بالحق ذلكــم وصاكم به لعلكم تعقلون (٦) ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده (٧) واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها (٨) واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى (٩) وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكــم تذكرون (١٠) وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون» ·

ويبين احكامها وبواعثها المرحوم الامام محمود شلتوت في كتابه «تفسير القرآن الكريم» فلعل الشباب ان يقرأوه ٠

اقول قولي هذا لأنه قد خطر لي ان اوصي محمد عبد الحكم او اي «محمد عبد الحكم» والدكتور طيب تيزيني او اي «طيب تيزيني» ٠٠٠ في الوطن العربي وصية اخشى ان تنقطع صلتي بالشورى ، لاي سبب ، قبل ان اوصي بها ٠ والخواطر تتداعى كما تعلمون ٠

اقول :

لا تلتفتوا الى الوراء لتروا جيلنا ٠ لقد ضيعنا ثمن قرن نتحدث عن ضرورة التنظيم القومي ولم نتقدم خطوة ٠ وانتم اقرب اليه منا ٠ انظروا امامكم وحققوا امل امتكم واداة ثورتها ٠ احصروا انتباهكم في سؤال واحد ٠ واقصروا جهودكم على الاجابة عليه ٠ ما هي الخطوات العملية التي يجب انجازها لانشاء التنظيم القومي ؟ ٠٠ بدون ان يكون جبهة ٠ بدون ان تنتقل اليه رواسب الشللية ٠ بدون ان يحدث فراغ بين ما هو كائن وما يجب ان يكون ٠ بدون ان يكون تنظيم اي احد بعينه ، او اية مجموعة بعينها ، او اية دولة ٠٠ ليكون تنظيم الامة العربية ٠

اوصي بهذا لانني اتمنى ان ارى البداية ، مجرد البداية ، قبل ان اموت ٠٠ ولم تعد في العمر بقية تكفي لحسم معارك الفلسفات الكلامية ٠٠ بينما الانحسار الذي بدأ في ١٩٦١ كاد يصل الى قاع الهاوية ٠ فلينقذ الجيل الجديد امته ٠٠ بان ينشىء اداة انقاذها ٠

ليوفقكم الله ٠٠ ولتكونوا اسعد منا حظا ٠٠

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

القاهرةفي ٥ يونيو ١٩٧٥

١٤

بيان الى القراء .

في العدد الرابع الذي نعلق عليه الآن وننقده ، تعليق او نقد للعدد الثاني ٠

في بداية ذاك التعليق او النقد قلت :

«لا يستطيع ابو ذر ان يضع كل من يستحق على السفود ، والا لاحتاج الى مصنع خاص لانتاج القضبان الحديدية والى مثل نار جهنم لا تحتاج الى وقود من خارجها ٠ ثم هب ان ابا ذر قد اخذته العزة بالحق فحمل رئيس التحرير على سفوده وشواه ، فاصدر الشواء قرارا بالاستغناء عن الشاوي فماذا تكون النتيجة ؟ ٠٠ يختفي ابو ذر ويعود الى عزلته ٠ الحق ان ابا ذر لم يعد يستطيع الا مكرها ـ وعسى الا تكرهوه ـ ان يختفي من صفحات «الشورى» ويعود الى عزلته ٠ الم يقل ان نقد «الشورى» قد اصبح مصدرا عظيما لتنمية ثقافته ٠ ثم ما بالكم بمعتزل عرف متعة المناكفة والداعبة والمشاغبة مع اصدقاء لا يماديهم ولا يتمنى ان يعادوه ٠ اعني كتاب الشورى ٠٠٠»

وفي ختام ذاك التعليق او النقد قلت :

«اقول قولي هذا لانه قد خطر لي ان اوصي ·· وصية اخشى ان تنقطع صلتي بـ«الشورى» لاي سبب قبل ان اوصي بها ··· »

وقد استشعر بعض قراء الشورى ممـا قلت ان ابا ذر يكاد يودعهم فجاءوا الي يسألونني هل فهمت مما قال ابو ذر ما فهموا · وهم لا يدركون انهـم يطرحـون السـؤال على موضعه · قلت لهم : لقد يكون قريبا مما فهمت ان ابا ذر قد طرح مشكلة ذات وجهين · اولهما : رغبته في ان يستمـر في الكتابة · ثانيهما : امور لم يفصح عنها قد تكرهه علـى وداع «الشورى» كتابا وقراء ·

والحـق ان اسباب القطيعـة بين «الشورى» وابي ذر تتراكم منذ وقت وتكاد ان تثقل على الصلة القائمة بينهما مما قد يؤدي الى قطعها · وهي اسباب ذات شعب منها ما يتصل بالشورى ومنها ما يتصل بغير «الشورى» · اما ما يتصـل منها بابي ذر فهو اخذه الامور ماخذا «مفرطا» الجدية · وضيقه «المفرط» برخاوة تناول الامور · ولقد ضاق ابـو ذر ضيقـا شديدا حين لم يتلق العدد الثالث قبل ان يصدر العدد الرابع فلم يستطع ان يكتب عنه تعليقا ونقدا في حين انه كان قد الزم نفسه ان يتفرغ اسبوعا لنقده والتعليق عليه كما يفعل مـع كل عدد من «الشورى» فقضى اسبوعا فارغا لم يصدر خلالها من ادارة «الشـورى» ما ينبىء بانها فطنـة الى ان ابـا ذر ينتظر · ومر بعضهم قريبا من ابي ذر وتحدث اليه فيما تحدث الا في «الشورى» والعدد المنتظر ··· واشياء اخر ·

وهذا بيان للقراء بان ليس للشورى الا ان تقر وتعتذر ثم ترعى علاقتها مع ابي ذر بمثل الجدية التي يرعاها بها ·

فان لم تفعل فوداعا «للشورى» وكتابها وقرائها وسلاما على من اتبع الهدى ٠

السؤال المطروح :

منذ حين يحاول كثيرون باساليب شتى الاجابة على سؤال مطروح عن علاقة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بما سبقها من تاريخ ، وعلاقة منظمة «الضباط الاحرار» بالمذاهب والقوى السياسية التي كانت سائدة قبل الثورة ٠ في سبيل الاجابة على هذا السؤال اجتهد كثيرون وقدموا اجتهاداتهم الى الجماهير العربية في خطب مسموعة او كتب مطبوعة او منشورة ٠ وقد اعتمد اغلب الذين قالوا او كتبوا في اجاباتهم على بيان موقع موقف كل واحد من اعضاء مجلس قيادة الثورة من الاحداث والقوى قبل قيام الثورة ٠ فلما ان تبينوا ان قد كان لكل واحد من مجلس قيادة الثورة اتجاهات فكرية وانتماءات سياسية مختلفة عن الاخرين ، وان اتجاهاته تلك قد اختلفت بين حين وحين ، قالوا كما قال الدكتور عبد الكريم احمد في ختام مقاله «الثورة الناصرية واثرها في الفكر السياسي المصري» المنشور في العدد الرابع (السنة الثانية):

«لقد كانت الثورة الناصرية هي النتيجة الطبيعية ، ان لم تكن الحتمية ، للتطورات السياسية والاجتماعية السابقة عليها ٠ ومما يؤكد ذلك انها كانت تضم منذ بدايتها عناصر في قيادتها ممن يحملون بذور التيار الليبرالي بشقيه الراديكالي والمحافظ ، ومن يحملون بذور التيار الديني ، ومن يحملون بذور التيار الاشتراكي بمختلف اتجاهاته بما فيها التدريجي والماركسي» ٠

وانفرد الدكتور عبد الكريم احمد ، من بين كل الذين حاولوا الاجابة على السؤال المطروح ، باجتهاد يستحق التأمل والانتباه · ويقول هذا الاجتهاد بان المبادىء الستة التي التقى عليها الضباط الاحرار وقامت من اجل تحقيقها الثورة ، هي جماع المبادىء التي كانت متفرقة بين القوى السياسية السابقة على الثورة ·

يقول :

«ومما يجعل الحكم على اتجاهات الثورة في بدايتها عسيرا اننا عندما نعمد الى تحليل المبادىء الستة التي اعلنتها الثورة غداة نجاحها نجد انها كانت في الواقع صدى لهذا التكوين المختلط لقيادتها ·

«فالمبدأ الاول، وهو القضاء على الاستعمار كان شعارا ترفعه كل التيارات السابقة بلا استثناء · بل وجميع من عملوا في ساحة الحياة العامة المصرية منذ مطلع القرن وقبل ذلك ·

«وكذلك يرتبط المبدأ الخامس : اقامة جيش وطني قوي بالمبدأ الاول وينطبق عليه نفس الشيء فيما يتصل بموقف هذه التيارات وان كان بدرجة اقل ·

«اما المبدأ الثاني والثالث ، وهما القضاء على الاقطاع والقضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم وكذلك المبدأ الاخير وهو اقامة حياة ديموقراطية سليمة ، فكلها شعارات يمكن ان يرفعها ممثلو التيار الليبرالي والتيار الاشتراكي بل وكذلك التيار الديني على ان يفسرها كل منهم بطريقته الخاصة ·

«ويبقى بعد ذلك المبدأ الرابع الذي يتحدث عن العدالة الاجتماعية، ولاشك فيان هذا المصطلح اكثر ارتباطا باهداف التيار الاشتراكي (الديموقراطي الاجتماعي) منـه بالتيـارين الاخرين ، الا ان بعض ممثلي التيـار الليبـرالي وبخاصـة الراديكالي ، والتيار الديني ، وبخاصـة المجدديـن منهم ، استطاعوا تطويع مفهوم العدالة الاجتماعية لاتجاهاتهم ، ولم يلبثوا ان رفعوه هم ايضا كشعار من شعاراتهم ...» .

اما القوى السياسية التي تمثل التيارات الفكرية قبل ثورة ١٩٥٢ فقد حددها الدكتور عبد الكريم احمد بانها :

اولا : «تيار يعبر عن مصالح طبقـة كبـار الملاكيـن والاقطاعيين من ابناء الاسر الكبيرة في الريف ويمثله حزبا الاحرار الدستوريين والاتحاد» .

ثانيا : «التيار الليبرالي الذي يمثله حزب الوفد الضخم الذي حظي بتأييد اغلبية كبيرة» .

ثالثا : «التيار الديني الذي ينادي بتطبيـق الشريعـة الاسلامية بدلا من القوانين الحديثة» . واهم من يمثله كـان جماعة الاخوان المسلمين .

رابعا : «التيار الذي يمكن ان نطلق عليه في مجموعه الاتجاه نحو الديموقراطية الاجتماعية او «الاشتراكية» وقـد كان من الطبيعي (هكذا يقول الدكتور عبد الكريم احمـد) ان يكون الطابع الغالب على هذا التيار هو التيار الماركسي » .

ولقد استثنى الدكتور عبد الكريم احمد التيار الاول ثم اجتهد في بيان العلاقة بين ثورة ٢٣ يوليو والتيارات الثلاثة الاخرى فتحولت ثورة ٢٣ يوليو الى امتداد ، على المستوى الفكري في المبادىء الستة وعلى المستوى الذاتي في اشخاص قيادتها ، للوفد والاخوان المسلمين والاشتراكيين الذين يغلب عليهم الطابع الماركسي ٠

والحق ان هذا لظلم بيّن لثورة ٢٣ يوليو في مستواها الفكري ومستواها الذاتي ٠ والظلم لا يستغرب اذا جاء ممن لا يظاهرون الثورة فكرا او ينتمون اليها حركة ٠ ولا يستغرب اذا جاء من الذين يتوهمون ان ثورة ٢٣ يوليو قد انتهت واصبحت تاريخا قديما فاباحوا لانفسهم الحديث عنها منصفين انفسهم ظالمين اياها حتى لو كانوا يوما من قادتها او منقواها ٠ ظلمثورة ٢٣يوليو لا يستغربمن احمدحمروش عندما يكتب مجلدين عن قصة الثورة يحاول فيهما ان يصورها كما لو كانت من صنع المنظمة الماركسية «حدوتو» لأنه هو وخالد محي الدين ويوسف صديق كانوا اعضاء في منظمة حدتو ٠ فهؤلاء نفر كانوا يستهدفون ما لم تكن الثورة تستهدفه عام ١٩٥٢ فالتحقوا بها لاحتوائها ثورة فلما اخرجتهم قيادتها من صفوفها بعد اقل من ستة اشهر على قيام الثورة جاءوا يريدون اليوم احتواءها تاريخيا ٠ فظلموها لينصفوا انفسهم ٠ وظلم ثورة ٢٣ يوليو لا يستغرب من عبد اللطيف البغدادي وكمال الدين حسين حين جاءا يعلنان انهما قد استقالا من مراكز قيادتها يوم ان انحرفت عما يدينان به من فكر فاصبحت اشتراكية ٠ انهما يظلمان الثورة بالنوايا ولا يفطنان الى انهما لم يظلما الا نفسيهما يوم ان كشفا عن مواقفهما الرجعية ٠

كل هذا لا يستغرب ..

اما ان يأتي الظلم من الدكتور عبد الكريم احمد فهو غريب ..

اولا لأن الدكتور عبد الكريم احمد ينتمي الى ذلك الجيل من المخضرمين امثالنا الذين لم يعاصروا ما قبل الثورة ، واعين فحسب ، بل انهم لم يكونوا في ذلك الوقت راكدين . كان وعيهم واعمارهم تسمح لهم بان يخوضوا احداث ما قبل الثورة ويعرفوا من امرها ما يعرفه الخبير .

ثانيا لان الدكتور عبد الكريم احمد استاذ كبير ، خبير بالعلوم السياسية ، وعلى يديه يتلقى الشباب من الجيل الجديد دروسا في الفكر السياسي وتاريخه فتوافرت له امكانيات الحكم الصحيح والتأثير الفعال . وهما مناطا المسئوليات الجسيمة فيما يكتب ويقال .

ثالثا ، وهذا هو المصدر الاساسي للاستغراب ، ان الدكتور عبد الكريم احمد ينتمي فكرا وموقفا ، عقلا وعاطفة، الى ثورة ٢٣ يوليو ولم يزل . اعني بهذه الكلمة الاخيرة انه لم يغير مواقفه ولم يخرج على الثورة لا عقلا ولا عاطفة كما فعل الاخرون وما يزال يعتز علانية بالانتماء اليها ويدافع علانية عنها ... فلماذا يظلمها ..

خطأ المنهج :

احسب ان الدكتور عبد الكريم احمد لم يقصد ظلم ثورة ٢٣ يوليو حين ظلمها ، انما اراد ان ينصفها فانتهج في بيانه

خطأ منهجيا ذهب بما قاله دفاعا عنها الى حافة الظلم لها ·
وهو لم يفعل هذا غير ما يفعل غيره من الذين لا يهتمـــــون
كثيرا بمناهج البحث العلمي فتفوتهم العناصر اللازمة لتفسير
الاحداث التاريخية تفسيرا صحيحا ·

فمثـــلا :

١ ـ لما ان عرف من معاصرته لتاريخ ما قبل ثورة١٩٥٢
ان تيارات سياسية عددها كانت ترفع كل منها ـ منفـردة ـ
شعارا او اكثر من المبادىء الستة التي قامت عليها الثورة ،
تصور ان تلك المبادىء وقد اجتمعت في الثورة بقيت كما هي
فاعتبر مبادىء الثورة امتدادا لمبادىء الاحزاب قبلها · وفاته
ان المبادىء المتفرقة بين قوى متعددة تحمل كل قوة منها مــا
تشاء منها ، اذا اجتمعت لقوة واحدة فقد تغيرت · تغيـرت
نوعيا وفي مضامينها ولم تعد هي هي : لسبب بسيط وهي انها
عندما تجتمع تتكامل· يؤثر كل منها في الاخر فيغير مضمونه،
ويصبـح كـل منهـــا حـدا للآخـــر فتصبـح اجـــزاء لا
تفهم الا منسوبة الى الكل الذي يجمعها· وتطبيقا لهذا نستطيع
ان نقول ان مضمون كل مبدأ من المبادىء الستة التي حملتها
ثورة ٢٣ يوليو ليس امتدادا او استمرارا على اي وجه لذات
مضمونه يوم ان كان يحمله ـ منفردا ـ اي مـن التيـــارات
السابقة على ثورة ٢٣ يوليو ·

٢ ـ لما ان عرف من معاصرته لتاريخ ما قبـل ثـورة
١٩٥٢ ان كل واحد من اعضاء مجلس قيادة الثورة كانت له
انتماءات فكرية او تنظيمية ، ثابتة او متغيـرة ، بواحــد او

اكثر من الاحزاب والقوى السياسية السابقة ، تصور انهم عندما اجتمعوا معا في مجلس قيادة واحد لتنظيم ثوري واحد كان كل واحد منهم ما يزال محتفظا بانتمائه السابق • فكما جمع المبادىء الستة ميكانيكيا ، جمع مجلس القيادة ميكانيكيا فاصبح هو فلان وفلان وفلان • وفاته ان مجلس قيادة الثورة «شخص» آخرغير الاشخاص الذي يتكون منهم• لهذا الشخص فكر اخر غير افكار كل منهم وله ارادة غير ارادة كل منهم ، وله اهداف غير اهداف كل منهم لان افكاره وارادته واهدافه هي الحصيلة الجدلية لالتقائهم على افكار وارادات واهداف اكثر منها نضجا وتقدما لانها ثمرة الحوار والصراع الجدلي بين الافكار والارادات والاهداف فيما بينهم • ولا يمكن ان تنسب الى الثورة افكار او ارادة او اهداف الا ما ينسب لهذا الشخص الاخر الذي هو مجلس القيادة كما يعبر عنه صاحب الحق تنظيميا في التعبير عنه وهو قائده • وبالتالي فان كل الافكار والارادات والاهداف وحتى الانتماءات الخاصة باي عضو في مجلس قيادة الثورة كانت وما تزال من شئونه الخاصة التي لا تنسب الا اليه بعيدا عن نسبتها الى الثورة •

ولا يمكن ان ينسب الى ثورة ٢٣ يوليو من الافكار والارادات والاهداف الا ما عبر عنه قائد مجلس قيادة الثورة، وبصفته هذه ، وكلنا نعرف من هو •

ان ما قاله وما اراده وما استهدفه جمال عبد الناصر، وهو يمارس دور القيادة ، هو وحده الذي يستحق ان ينسب الى الثورة • ولا يجدي اي واحد من اعضاء مجلس قيادة الثورة ان يقدم لنا مذكراته الشخصية عما كان يفكر فيه او ما كان يريده او ما كان يستهدفه ما دام قد عجز عن ان يحوله

الى فكر وارادة وهدف الثورة ٠ كما لا يجدينا ونحن نتحدث عن ثورة ٢٣ يوليو ان نستمع الى مبررات العجز التي يشكو منها الان بعض القادة السابقين في مجلس قيادة الثورة ٠ ان الدراسة المنهجية الصحيحة لا تعتد بما يقولون الا من حيث مدى اثره السلبي او الايجابي في فكر الثـورة وارادتهـا واهدافها ، ولكنها لا تعتد به كفكر او ارادة او هدف من افكار وارادة واهداف الثورة ٠

انهم يبحثون ، يا دكتور عبد الكريم ، عن صكوك براءة مما يحسبونه تهما وهو موقف مجرد من العلمية ومن الاخلاق ايضا فلا تتبرع لهـم بما يريـدون وانت لست معهـم ولست مثلهم خلقا ٠

٣ ـ ان الخطأ المنهجي الاكبر الذي وقع فيه الدكتور عبد الكريم احمد ، وكل الذين كتبوا ويكتبون عن علاقة ثورة ٢٣ يوليو بما سبقها من مبادىء وقوى قد سلبه ، كما سلبهـم ، المقدرة على الاجابة على السؤال الحاسم :

اذا صح ان اعضاء مجلس قيادة الثورة قد ظلوا بعد قيامها على افكارهم وانتماءاتهم السابقة ، فلماذا اسسوا «منظمة الضباط الاحرار» اصلا ٠٠ ؟ لماذا لم يحاول كل منهم ان يحقق ما يريد من موقع انتمائه الفكري والحركي الى القوة السياسية التي كان ينتمي اليها ؟ ٠٠ لا بد ان يكون كل واحد مهنم قد قارن بين جدوى بقاء انتمائه القديم فكريا او تنظيميا وجدوى انتمائه الى منظمة جديدة فاختار الجديد ٠ وهنا يكمن السؤال: ما هو الفارق ـ الجديد ـ الذي حمل كل واحد منهم

على حدة على ان يختار الانتماء الى الضباط الاحرار بدلا من الانتماء الى حزبه ؟

الجديد اما ان يكون في الفكر او يكون في الاسلوب ٠
يقول الدكتور عبد الكريم احمد في ختام مقاله «الثورة الناصرية : اثرها في الفكر السياسي المصري» : ان الاتجاه الحقيقي للثورة لم يكن محددا مسبقا بل انه تكون بعد ذلك من خلال الممارسة» ونضيف : الا الاتجاه الذي يمثله ويعبر عنه اجتماع المبادىء الستة التي كانت من قبل شعارات يرفع كل حزب ما يختار منها ٠

اذن فقد يكون الجديد هو الاسلوب ٠ اعني اسلوب تغيير الواقع في مجتمع اظهر عناصر واقعه ، بالاضافة الى التخلف ، الاحتلال الاجنبي الذي كان يشل حركة تطوره بما يستطيع منذ سبعين عاما ٠ وفي مواجهة الاحتلال الاجنبي يختلف الناس اسلوبا فمنهم الثوري ومنهم الاصلاحي ٠ الثوري يتعامل مع القوى الاستعمارية باسلوب التعامل مع الاعداء فهو لا يعترف ولا يصطلح معها ولا يفاوضها ولا يساومها بل يقاتلها بكل اداة من اول الكلمات الى الرصاصات٠ ويدرك الثوريون ان التناقض الاساسي في ظل الاحتلال الاجنبي يقوم بين ارادة التحرير من ناحية وواقع القهر من ناحية اخرى فيضعون متطلبات معركة التحرر فوق كل المتطلبات الاخرى ، ويحددون مواقفهم من الاحداث والناس والقوى طبقا لمواقفها من معركة التحرر ٠ اما الاصلاحيون فيتعاملون مع قوى الاحتلال من منطلق مهزوم اصلا٠ يعترفون بشرعية الامر الواقع ويصالحون اعداءهم ويفاوضونهم

ويساومونهم على ذات مصير وطنهم • وفي كل مجتمع محتل لا يوجد ـ اذا استبعدنا الخونة ـ الا تياران اساسيان : تيار ثوري وتيار اصلاحي • وهذا لا يحول دون ان يفترق الاصلاحيون في اشكال تعاملهم مع المحتلين فيتوزعون احزابا • ويتنافسون فيما بينهم على «انسب» تلك الاشكال ويكون محور تنافسهم هو : من منا اكثر قبولا لدى من بيده الامر • ومن منا اقرب الى قلوب السادة فهو اقدر على ان «يسترد» منهم بعضا من الحرية المفقودة • هذا بينما يبقى الثوريون في موقف رفضهم التعامل مع العدو الا باسلوب التعامل مع الاعداء •

الاساس الفكري :

ولسنا نقول هذا لاننا نصطنع مقدمات لنصل الى نتائج نريد ان نقولها • ولكنا نقوله لاننا لا نفهم الاحداث ولا نفسرها الا على هدى منهج علمي نحتكم اليه ونقبل مقدما ما يؤدي اليه هذا الاحتكام • والمنهج ـ كما لا شك يعرف الدكتور عبد الكريم احمد ـ هو مجموع القوانين الموضوعية التي تضبط حركة الاشياء والظواهر حتما • وهي موضوعية بمعنى ان وجودها وفاعليتها غير متوقف على معرفتنا اياها • ان عرفناها فاستخدمناها في المعرفة اصبنا • وان جهلناها او تجاهلناها او انكرناها فقد نصيب وقد نخطيء • ويأتي الصواب والخطأ صدفة • وانا لنعرف ـ كما لا شك يعرف الدكتور عبد الكريم احمد ـ ان فهم الاحداث التاريخية وتفسيرها طبقا لقانون التطور الاجتماعي لا يصح الا اذا كانت في مجتمع متحرر من القهر الخارجي (الاحتلال) او القهر الداخلي (الديكتاتورية) • ففي المجتمع المتحرر وحده يخضع

التطور الاجتماعي لقوانينه الموضوعية وتتحدد مواقف الناس فيه ، ويفرزون تيارات او احزابا تبعا لمدى وعيهم على مصالحهم المادية والثقافية وعلاقتها بمصالح المجتمع الذي ينتمون اليه ككل · ويصح حينئذ ان نفرز من بين الناس تلك التيارات التي تحددها مصالح اصحابها كما يعرفها · ويصح حينئذ تقسيم تلك التيارات الى اقطاعيين وليبراليين ودينيين واشتراكيين · وتكون تلك المواقف المتميزة من الواقع الاجتماعي ومشكلات تطوره هي مناط الحكم والتقييم ·

اما عندما يفرض القهر من الخارج ، او من الداخل ، ويصبح المجتمع كله ، بما فيه من موارد وبشر ، مسخرا ، بالقوة ، لتحقيق غايات معينة سلفا ومفروضة عليه بالعنف فان شرط الحرية اللازمة لفاعلية القوانين الاجتماعية يزول· وتصبح المشكلة الاساسية التي تواجهها القوى السياسية هي كيف يتحرر المجتمع ليستطيع ان يتطور وليس كيف يتطور المجتمع في ظل الاحتلال · فيختار الثوريون الحرية ، وتصبح مضامين التطور الاجتماعي بالنسبة اليهم هدفا مرتبطا بانجاز مرحلة التحرر : التحرر من اجل التطور الاشتراكي مثلا ·· ويختار الاصلاحيون لعبة التعامل الظاهر او الخفي مع القوى المحتلة او القاهرة·· ويبادلونها مصلحة بمصلحة· تولي السلطة في مقابل الاعتراف · التنمية في مقابل ان يكون للمحتل نصيب من العائد · شرعية الاحزاب في مقابل شرعية احتلال · نشر التعليم في مقابل ان يكون بلغة المحتل وثقافته· الى اخره · وفي حدود ما تسمح به القوة المحتلة في حدودها فقط ، وبقدر ما تسمح فقط ، يتصارع الاصلاحيون على فتات

ما يلقى اليهم من مائدة امتهم المغتصبة · ويستعيرون عناوين سياسية فهم ليبراليــــون او راديكاليون او ديموقراطيــون اجتماعيون ···

اذن ، وهذا مجرد اجتهاد ، لا ينبغي ان نحتكم في بيان القوى السياسية في مجتمع محتــل الى ذات المقــاييس التي نحتكــم اليهــا في بيــان القــوى السياســيــة فــي مجتمــع متحـــــرر · ان اول مقيــاس في المجتمــع المحتــل هــو فرز النــاس على اســاس موقفهــم مــن المحتـــل نفسه واسلوب تعاملهـــم معـــه · وبعــد هذه البدايــة نستطيــع ـ اذا كــان ذلك لازما ـ ان نصنف القوى داخل التيــار الثــوري حسب الوعود الاجتماعية التي يربطونها بالتحرر وتصنيف القوى داخل التيار الاصلاحي حسب المواقف التي يأخذونها مــن القضايا الاجتماعية في ظل الاحتلال · وقــد نجــد ان بعض الشعــــارات مرفوعــة في صفــوف الثــوار وفي صفــوف الاصلاحيين · فاذا لم نفطن الى التيار الاساسي الذي تنتمي اليه كل قوة وقعنا في خطأ الجمع بيــن القــوى التي ترفــع شعارا واحدا بالرغم من اختلافها الاساسي في مواقفها من قضية التحرر · فنحسب مثلا ، ان «التيــار الديموقــراطي» يجمع كل الذين يرفعون شعار الديموقراطية بينما يكون شعار الديموقراطية في التيار الثوري مرفوعا كهدف من اهــداف الثورة في الوقت الذي يرفعه الاصلاحيون بديلا عن الثــورة ··· وهكذا ·

ويعرف الدكتور عبد الكريم احمد كما نعرف جميعا ان مصر العربية عام ١٩٥٢ وما قبله كانت محتلة فيكــون همنا

اولا ان نبحث في تاريخها السابق على ثورة ٢٣ يوليو عن التيارات السياسية الاتية : التيار العميل الخائن ، التيار الوطني الاصلاحي ، التيار الوطني الثوري ، ثم يكون علينا

بعد ذلك ـ ثانيا ـ ان نعرف الى اي تيـــار من هذه تنتمي ثورة ٢٣ يوليو ٠

المرجــع :

ان مرجعنا هو الدكتور عبد الكريم نفسه ٠ ففي رسالة الدكتوراه التي تقدم بها الى جامعة القاهرة في عام ١٩٧٠ وحصل بها على درجته العلمية المرموقة قال :

«وقد بدأ القرن العشرون وليس في مصر سوى قوتين سياسيتين ذات فعالية ، المستعمـر الاجنبي والقصـر الـذي كان يمثله خديو اجنبي الى حد كبير٠ ولكن لم تمض السنوات الاولى منه حتى كان المثقفون المصريون قد احتلوا مراكزهم كقوة ثالثة علـــى رأس الشعب المصري ، وظلت هذه القوة الثالثة تنمو معبرة عــن الارادة القومية للمصريين الــى ان بلغت ذروتها في ثورة ١٩١٩ ٠ وكان معظم هؤلاء المثقفيـن المصريين من تلامذة محمـــد عبـــده الذين تشربوا تعاليمه التقدمية واتفقوا معه في مبدأ الاخذ من الفكر الغربي الحديث بالقدر الذي يتفق مع الشخصية المصرية النامية ومع تقاليدها وتراثها ، وما لا غنى عنه لبناء الدولة العصرية ٠

« وقد انقسم هؤلاء المثقفون اساسا الى فريقين : يمثل احدهما النزعة الثورية بزعامة مصطفى كامـــل ، ويطالب بالاستقلال الفوري والحكم البرلماني المسئول والتعليم للجميع واشتراك الشعب في الحكم ٠

« اما الفريق الثاني ، الذي تألف منه حزب الامة فكان يتكون من لفيف من المثقفين الذين تلقوا تعليما غربيا وهضموا

كثيرا من المفاهيم السياسية الجديدة وبدأوا يدعون الى بناء دولة مصرية عصرية ، وكان من ابرز هؤلاء المثقفين لطفي السيد واحمد فتحي زغلول وقاسم امين وسعد زغلول ·· »

ولسنا نريد ان نضيف الى هذا الا ثلاث نقط · الاولى ان فريق مصطفى كامل كان فريقا منظما اسمه « الحزب الوطني » وهو ذات الاسم الذي حمله تنظيم احمد عرابي الذي خاض معركة الدفاع ضد الاحتلال سنة ١٨٨٢· والنقطة الثانية : ان الفارق الاساسي بين الحزب الوطني وحزب الامة كان منصبا على اسلوب التعامل مع الاحتلال · الحزب الوطني يرفض شرعية الاحتلال ولا يعترف به ويرفع شعار « لا مفاوضة الا بعد الجلاء » ويتجه الى الشعب يعده للثورة ، ويتجه الى الميدان السياسي الخارجي ليجمع الحلفاء ضد المحتلين ولكنه يرفض تولي السلطة او المشاركة فيها في ظلال الاحتلال · وحزب الامة يسلم بمشروعية الاحتلال ويعترف بالمحتلين ويرفع شعار التعاون معهم في نهضة البلاد تعليميا واقتصاديا ويتجه الى الاحتلال وعميله « القصر » في كل ما يريد ان يفعله ليستأذن اولا ويستمد من صاحب الاذن شرعية ما يفعل · النقطة الثالثة هي ان التناقض بين التيار السياسي الذي يمثله الحزب الوطني والتيار السياسي الذي يمثله حزب الامة كان في مثل حدة وعنف التناقض بين التحرر والاحتلال نفسه · فعندما حدث صراع مسلح بين بعض الفلاحين وبعض جنود الاحتلال في حادثة دنشواي الشهيرة، وقف الحزب الوطني موقفا ثوريا مع الفلاحين وشن حملة عالمية هائلة على الاحتلال انتهت بطرد اللورد كرومر · هذا بينما اختار المحتلون احمد فتحي زغلول عن حزب الامة ليكون قاضي دنشواي الذي حكم بقتل الفلاحين وجلدهم في موقع الاشتباك وامام اعين اهلهم ·

وهكذا كان في مصر العربية تياران اساسيان · تيار ثوري وتيار اصلاحي ·

اما التيار الثوري فقد ضرب ضربة قاسيـة بعد سنة ١٩١٤ عندما اعلنت الحمايـة على مصر · فسجن زعماؤه وطردوا وغلقت صحفه وحيل بينه وبين ما كان يمارسه مـن وجود علني · اما التيار الاصلاحي الذي بـدأ بحزب الامة فقد تكاثر وخرجت منه اسر اصلاحية كثيرة اسمت نفسهـا احزابـا باسم « الاحرار الدستوريين » او « الاتحاد » او « الشعب » او « الوفد » او « السعديين » او « الكتلة » ·الخ· وكلهم – في شأن قضية التحرر – ينتمون الى التيار الاصلاحي ويختلفون فيما بينهم حول قضايا اخرى اغلبها ذاتية وبعضها وطنية ومصلحية مع ملحوظة وحيدة هي ان الوفد لـم ينشأ حزبا بل نشأ « وفدا » مختارا من الساسة العاملين حينئـذ يوفده الشعب الى مؤتمر الصلـح في باريس ليعرض قضية استقلال مصر عليه استنادا الى حق تقرير المصير الذي اعلنه الحلفاء · في ذلك الوقت كان محمد فريد قائد الحزب الوطني منفيا في اوروبا ، ولكـن الحزب ايد ايفـاد وفد للمطالبة بالاستقلال ومثله في الوفد واحـد من اعضائه البارزين : مصطفى النحاس · بعـد فشـل الوفـد قامت ثـورة ١٩١٩ الجماهيرية · فمن الذي كـان قد علم جماهير ١٩١٩ من الفلاحين والعمـال والطلبة ·· ان الاستقـلال لا ينتزع الا بالثورة ؟ ليس اعضاء الوفد ·· ولكن تراكم الممارسات التي كان التيار الثوري قد ربى عليها جيلا كاملا من المصريين في المعاهد والمدارس الليلية والنقابات التي انشأها · ولعل هذا ما يفسر « العناد » الوطني الـذي عرف به مصطفى النحاس فيما بعد · انه على اي حال خريج المدرسة الثورية الذي لم

يكن يوما منتميا الى حزب الامة ولا من رجاله· فشلت الثورة ايضا فتحول الوفد الى حزب ثم احزاب كلها امتداد لحــزب الامة ، اي الى التيار الاصلاحي ··

تاريخ ما اهمل التاريخ :

الذي لم يكتب بعد على الوجه الذي يستحقه هو الاجابة التاريخية على السؤال : ما الذي آل اليه التيار الثوري الذي بدأ باحمد عرابي ثم مصطفى كامل ثم محمد فريد ، بعــد ان ساد وحكم التيار الاصلاحي ممثــلا في احزابه التي تنازعت وتقاسمت الحكم بعد فشل ثورة ١٩١٩ ؟

نقول :

ان الحـــزب الوطني كمؤسسة جماهيرية علنيـــة قد تقلصت بشرا واثرا بحيث انه في الفترة ما بين ١٩١٩ الــى ١٩٥٢ لم تكن تلك الحفنة العنيدة من الرجال الذين ابقــووا على الحزب الا رمزا لبقاء المقاومة الثورية التي لا يمارسونها هم انفسهم · كانوا يقاومون الاتجاه الاصلاحي بصلابة ولكن في اطارها الشرعي الذي صاغته الاحزاب الاصلاحية· وكانوا يرفضون الاشتراك في الحكم فلم يكن للحزب الممثل فيهــم جاذبية او امكانات الممارسة الشعبية واسعة النطاق · وكانوا متمسكين « بالامفاوضة » مع الاحتلال فلم يساهموا في لعبة المساومة مع المحتلين · واستجمعوا كل قواهم في آخر معركة مجيدة لهم في الحملة الهائلة التي شنوها على معاهدة١٩٣٦ التي ابرمتها جماعة « حزب الامة » التي اصبحت جبهة من الاحزاب الاصلاحية والمستقلين ·

ولكن ، يا دكتور عبد الكريم · ويا ايها الشباب العربي ·· لم يكن هذا هو كل شيء في تاريخ مصر العربية· الذي لم يكتبه احد بعد هو انه منذ ١٩١٤ تاريخ فرض الحماية الانجليزية على مصر ، وضرب الحزب الوطني « العلني » لجأ التيار الثوري مباشرة الى مواجهة الموقف الجديد باسلوب جديد هو : النشاط الثوري السري · وكان ايضا تحت قيادة شباب الحزب الوطني (حينئذ) الذي لم يعرف الشعب عنهم شيئا منذ ذلك الحين بينما كانوا يقودون ثورته الصامتة في الخفاء ولم يظهروا الا مع ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كأنهمخرجوا من جوف الارض · ولكن النشاط الثوري السري اتسع لكل الثوريين حتى ممن كانوا غير منتمين للحزب الوطني وامتد فجند عناصره وادار معركتــــه حتى بين صفوف الاحزاب الاصلاحية · ولقد استطاع ان يضع احــــد رجاله في اقرب موضع مع سعد زغلول نفسه وهــو عبــد الرحمــن فهمي ، الذي انشأ « الجهاز السري » للوفد كما يقول المؤرخون بينما الجهاز كله كان ينفذ مخططات ثورية لم يقررها الوفد بـــل قررهـــا التيـــار الثوري المتمركز خارج الوفـد والاحزاب الاصلاحية الاخرى ·· وكان النشاط كله بقيادة شخص مـا يزال حيا وان كان اغلب الناس لا تعرفه ، لانــه منذ ١٩١٤ حتى ١٩٥٢ لم يكن الا موظفا بسيطا في اجهزة دولة مصــر هو : عبد العزيز علي قائد التيار الثوري في مصر ورائــده ومعلمه منذ سنة ١٩١٤ ·· ومؤسس كل الجماعات الثورية التي كانوا يطلقون عليها « ارهابية » بدأ بجماعة « اليــــد السوداء » ولان العمل الثوري في ظل الاحتلال لا بد له من ان يكون عنيفا فان كل العشرات والمئات من اول الجنود الى الخونة الى اخر القائد الانجليزي للجيش المصري كانوا قــد اعدموا بناء على احكام اصدرها التيار الثوري المنظم الــذي

لم يكن يعرف عنه احد شيئا ··· هذا ـ طبعا ـ بالاضافة الى التبشير الفكري السري الذي كـان يأخذ شكــل منشورات والتحريك الجماهيري الذي كان يأخذ شكــل المظاهرات · منشورات ومظاهرات تحمـــل عناوين شتى ويقودهــا ـ او تحسب انها تقودها ـ شخصيات متنوعة الاتجاهات ، ولكـن الذي ينظمها ويحركها ويقودها فعلا جنود مجهولون ينتمون الى التيار الثوري ومنظماته ·

الاتجاه الى الجيش :

في عام ١٩٤٠ قررت قيـادة المقاومة الثورية للاحتلال تجنيد افراد من الجيش المصري للعمل الثوري · وتشكلـت اول خلية من القوات المسلحة مـــن ضباط ســـلاح الطيران (سعودي وبغدادي ووجيه اباظة وحسين ذو الفقار) وكانت تلك اول جماعة منظمة فيما عرف بعد باسم الضباط الاحرار· واقسم كل من هؤلاء يمين الولاء للثورة امام عبد العزيز علي الموظف البسيط في ذلـــك الوقت في الادارة المالية لمحافظة القاهرة· وبدأ انتشار الخلايا الى حينان وصل الى جمال عبد الناصر فتغير كل شيء تغييراً نوعيا · فقد كان جمال عبـد الناصر اكثر مقدرة على التنظيم إلسري من القيادة المدنية· وكانت القيادة المدنية اكثر ولاء للتيار الثوري واهدائه مـن المزاحمة على القيادة ، فاستقل الضباط الاحرار بتنظيمهـم تحت قيادة جمال عبدالناصر واستمرت الحركة المدنية بقيادة جيل جديد من شباب الحزب الوطني ، وظل الطرفان يرجعان للمشورة الى الرجل الذي تنحى وبارادته ليفسح المجال لمن اصبح اقدر منه بحكم الموقع والسن · ولقد كان عبد العزيز علي استاذا معترفا به مـــن الضباط الاحـرار ومستشارا

يرجعون اليه حتى قيام ثورة ١٩٥٢ عندما نقلوه من وظيفته البسيطة الى منصب الوزارة في اول وزارة للثورة ·

الى من تنتمي ثورة ٢٣ يوليو :

هل نريد بهذا التعليق على مقال الدكتور عبد الكريم احمد ان نقول ان ثورة ١٩٥٢ تنتمي الى التيار الثوري في مصر الذي بداه احمد عرابي ، في مواجهة وضد التيار الاصلاحي الذي بدأ بحزب الامة وامتد في الاحرار الدستوريين والوفد والسعديين والكتلة ··· الخ ؟

نعم

ان جمال عبد الناصر هو القائد الرابع للتيار الثوري في مصر · عرابي فمصطفى كامل فمحمد فريد فجمال عبد الناصر · وقد كنا نتمنى لو ان الدكتور عبد الكريم احمد فطن الى المشابهة بل المطابقة تقريبا ـ مع اختلاف اللغة ـ بين المبادىء الستة التي بدأت بها ثورة ١٩٥٢ وبين المبادىء التي قامت من اجل تحقيقها ثورة عرابي عندئذ كان يمكن ان يجد العلاقة بين الجانب التحرري والجانب الاجتماعي منها· فاحمد عرابي ركز على الجانب التحرري لان الظروف الاجتماعية لم تكن نضجت بعد ليرفع شعاراتها الاجتماعية· فيأتي مصطفى كامل ويعمق افكارها التحررية ويأتي محمد فريد ويتصل اتصالا مباشرا بالحركة الاشتراكية في اوروبا وتتأثر الحركة الوطنية المصرية الثورية فيمصر بهذا الاتصال ويتجه الحزب الوطني بقوة الى انشاء النقابات العمالية وفتح المدارس الشعبية الليلية التي كان يدرس فيها قادة الحزب

انفسهم • ويحضر رئيس الحزب مؤتمرات اشتراكية دولية التي تنعقد في اوروبا ممثلا للحزب • ثم ينقطع هذا الاتجاه بتولي الاصلاحيين الحكم بعد ثورة ١٩١٩، ولكن تلك المبادىء التي تتجه الى التكامل تظل تتفاعل وتنتشر في ظل الكفاح الثوري ضد الاحتلال ، الى ان تلتقي معا في المبادىء الستة لثورة ٢٣ يوليو • ثورة ٢٣ يوليو التي قامت ضد كل عناصر التيار الاصلاحي كما كانت تمثله الاحزاب الحاكمة في ذلك الوقت •

ولهذا نقول عنها ثورة •

ولو كانت امتدادا مختلطا من مبادىء الاصلاحيين لكانت انقلابا •

فهل هي ثورة ام انقلابا ؟••

ما خفي كان اعظم :

لو صح ما قلنا لكان لا بد له من ان يتجسد في ممارسات عينية تعبر بها ثورة ٢٣ يوليو عن انتمائها الى التيار الوطني الثوري الذي بدأه احمد عرابي بدلا من مجرد التحليل التاريخي • اذ ليس من المعقول ان تكون ثورة ٢٣ يوليو كما تعي ذاتها تنتمي الى تيار ثوري نشيط خارج القوات المسلحة ولا تلتقي به في مراحل نضالية مشتركة • لنطرح السؤال بوضوح اكثر ليكون الدليل على ذلك الانتماء اكثر وضوحا : ما هي العلاقة النضالية بين منظمة الضباط الاحرار والحزب الوطني (ممثلا في قوته السرية وليس في تشكيله العلني) قبل سنة ١٩٥٢ ؟••

لسنا نعيد هنا العلاقة التأسيسية التي تحدثنا عنها ، ولا العلاقة الشخصية التي كانت قائمة بين الافراد ، كما اننا لا نفشي الان كـــل اسرار الاجتماعات المشتركـة بين بعض الضباط الاحرار وبعض شبـاب الحزب الوطني مـــن قوته الثورية في منزل الشيخ محمد الاودن في منزله في الزيتون، ولا نريد ان نذكر المشروع المشترك الذي اعده الحزب الوطني سنة ١٩٥١ وعرض على الضباط الاحرار بتكوين قوة مقاتلة مشتركة تعبر الى سيناء وتدير من هناك حرب عصابات ضد القوات البريطانية ..

نكتفي فقط بنموذج واحد ..

الغيت معاهدة ١٩٣٦ في اواخر عام ١٩٥١ وكان ذلك نصرا بينا لمبادىء التيار الثوري الذي لـــم يكف ابدا عــن مناهضتها . وبدأت حركة مقاومة شعبية في منطقة القنـاة تحت اسم كتائب التحرير وتنافست الاحزاب جميعا في ارسال طوابير كثيفة من شبابها تقوم باستعراضات عسكرية حــول معسكرات الانجليز .. ولم يكتب احد بعد اين كان تنظيـم الضباط الاحرار من تلك المعركة .. ومما يؤسف له ان «الميثاق» وهو يستعرض تاريخ مصر الحديث اغفل الحديث عــن تلك الفترة المجيدة من النضال الوطني الثوري ..

الان نقول ، او نستطيع ان نقول :

انه تحت ستار التظاهرات العلنية الكثيفة التي استغلت فيها الاحزاب الاصلاحية معركة القناة الشعبية بعـــد الغاء المعاهدة كانت في منطقة القناة ثلاث قوات ثورية حقا تقاتـل

حقا • اولاهـا في القنطرة قـرب الاسماعيلية وعناصرها الاساسية من جماعة الاخـوان المسلمين • وثانيهمـا في السويس وعناصرها شعبية والثالثة في الشرقية في منطقة ابو حماد • هذه القوة الثالثة التي لم تظهر ابدا علانية ولم تصدر ابدا نشرات وصورا عما كانت تفعل والتي اتخـذت مواقعها الخفية في قرية المحجر وقرية السهرية بعيدا عـن المدن ، وادارت معركـة « القرين » الشهيرة وقاتلت حتى بعد حرق القاهرة ، ممن كانت تتكون وكيف تكونت ؟ • •

انهما مجموعتان (٢٥ فردا في كل مجموعة)تكونتـا من شباب الحزب الوطني• حملت احداهما اسم كتيبة مصطفى كامل وحملت الاخرى اسم كتيبـة محمد فريـد • دربتهما واعدتهما للقتال منظمة الضباط الاحرار • تم التدريب النظري في منزل رقم ٢ شارع خيرت بالسيدة زينب بالقاهرة خفية • خفية حتى عن التشكيل العلني للحزب الوطني • وتم التدريب العسكري على الرماية بالاسلحة الخفيفة في معسكرات سلاح المدفعية • وتم التدريب على استعمال المتفجرات في معسكرات سلاح المهندسين • منظمة الضباط الاحرار هي التي ادخلتهم خفية ودربتهم في تلك المعسكرات • ولما تم اعدادهم هي التي سلحتهم • وقبل ان يتجهوا الى الجبهة عينت لهـم قيـادة سياسية وقيادة عسكرية • اما القيادة السياسية فكانت من الحزب الوطني ومهمتها التدريس والتوعية للمقاتلين بالقضايا الدولية والوطنية ونظم الحكم والتقدم الاجتماعي والاقتصادي• وحملت معها مكتبة كاملة وذلك اثناء النهار الذي اتفق على ان يختفي اثناءه المقاتلون • واما القيـادة العسكرية فقـد اختارتها منظمة الضباط الاحرار وقد اختارت لهـا الضابط وجيه اباظة (محافظ القاهرة فيما بعد) • ومهمته التواجد

في المنطقة ابتداء من مغرب كل يوم لقيادة المجموعات في العمليات الهجومية على المعسكرات • اما ضابطا الاتصال اللذين لعبا منذ البداية دورا اساسيا في هذا النشاط المشترك فكانا ـ عبد المجيد فريد (سكرتير رئاسة الجمهورية فيما بعد) ممثلا للضباط الاحرار ، ومحمد عبد الرحمن حسين (المستشار فيما بعد) ممثلا للحزب الوطني ••

وكان الهدف المتفق عليه : تكوين جيش ثوري من خلال القتال ضد المحتلين يكون قادرا في مرحلة لاحقة على اشعال الثورة في القاهرة واسقاط النظام البائد ••

وفشلت الخطة عندما حرقت القاهرة وعاد الذين ذهبوا يلتمسون في معركة القناة سبيلا الى الثورة في مصر •• ولم يقل احد شيئا ولم يكتب احد شيئا ، لان الثوار حقا لا يهمهم ان يقولوا ماذا يفعلون ••

هل كل هذا صحيح ؟

عندما قامت الثورة قفز من الظلام الى النور فجأة رجل اسمه سليمان حافظ • كان وكيلا لمجلس الدولة فاصبح المدني البارز بجوار القيادة العسكرية للثورة • وكان هو الذي وضع وثيقة تنازل فاروق عن العرش • وكان هو ـ وليس احدا غيره او معه ـ الذي ذهب الى فاروق في قصره وطلب منه التوقيع على الوثيقة • فلما وقع بيد مرتعشة طلب اليه ان يوقع مرة اخرى بيد ثابتة • ويشن احمد حمروش في كتابه حملة شعواء على سليمان حافظ ويتهمه بانه المسئول عن الاجراءات العنيفة ضد الاحزاب التي اتخذتها الثورة في سنتها الاولى • ويشير الى تأثيره القوي على عبد الناصر •

واحمد حمروش مخطيء · فعبد الناصر لم يكن الرجل الذي يخضع لتأثير رجل مدني اسمه سليمان حافظ · كان اولى باحمد حمروش ان يسأل نفسه : لماذا قفز سليمان حافظ من منصبه القضائي الى موقع القيادة في الثورة ، وما هو مصدر حقه في ممارسة مهمات الثورة الصعبة ، ولماذا كان « الضباط » يقبلون تصديه لتلك المهمات ، ولماذا كان نائبا لرئيس الوزراء في اول وزارة تؤلفها الثورة (٧ـ٩ـ١٩٥٢)·
ولو سأل احمد حمروش نفسه ، بدلا من محاولة ان يصور ثورة ٢٣ يوليو كما لو كانت ثورة منظمة الشيوعية «حدتو» لعرف الاجابة على اسئلة اخرى · منها مثلا : لماذاكان نصف الوزراء في اول وزارة شكلتها الثورة من المنتمين الى الحزب الوطني (سليمان حافظ ـ نور الدين طراف ـ حسين ابو زيد ـ عبد العزيز علي ـ محمد فؤاد جلال ـ محمد صبري منصور ـ فتحي رضوان) · لا يمكن ان يكون كل هذا اعتباطا ، ولكن كان وراءه تاريخ · تاريخ ثوري سري فهو غير معروف الا لاصحابه · واصحابه ثوريون فلم يكن يهمهم ان يعرف ·· اما الان فلا بد من ان يشار اليه على الاقل حتى لا يقع واحد من اخلص الرجال لثورة ٢٣ يوليو وجمال عبد الناصر مثل الدكتور عبد الكريم احمد في الخطأ الذي وقع فيه فيحسب ان ثورة ٢٣ يوليو هي الحلقة الاخيرة من التيار الاصلاحي الذي بدأه حزب الامة بدلا من ان يعرفها الحلقة الاخيرة من التيار الثوري الذي بدأه الحزب الوطني · وان جمال عبد الناصر هو خليفة سعد زغلول ومصطفى النحاس بدلا من ان يعرفه خليفة محمد فريد ومصطفى كامل ··

لا اعتذر :

لست مدينا باي اعتذار لقراء الشورى عن هذه الاطالة

في التعليق على مقال الدكتور عبد الكريم احمد · ولو كنت قصدت به مجرد الحوار لاعتذرت · ولـــو كنت قصدت بـه استعراض معرفتي بالتاريخ لاعتذرت · اذ ماذا يهـم القراء من الجيل العربي الجديد من حوار حول التاريخ يدور بيـن اثنين من شيوخ الجيل السابق ·

ولست اعتذر فلقد قصدت به مـا يهم الجيل العربي الجديد من قراء مجلة الفكـــر القومي التقدمي · ففي مصر العربية يقيم ثلث الشعب العربي او اكثر · ومن هنا فان اي حركة الى المستقبل القومي تجري بعيدا عنهم او في عزلةمنهم لن تحمل من القومية الا اسمها · هـــذا الثلث من الشعب العربي يمثـــل بالنسبة الى امتــه قمة نضجها الاجتماعي والحضاري وبالتالي فان مصير الامة العربية ككل متوقفالى حد بعيد على ما يدور في مصر · ان انتكست انتكست · وان انتصرت انتصرت · هذا حكم الواقع التاريخي الراهن سواء اعجب احدا ام لم يعجبه · ومن هنا فان كل قضايا الشعب العربي في مصر هي في القمة مـــن قضايا الامة العربية · ويمثل الموقف منهـا افضل المحكـــات المعاصرة للتمييز بين المواقف القومية والادعاءات القومية ··

ثم ، وهــــذه هي الخلاصة : ان التيارين الاساسيين ، التيار الثوري الذي بدأه الحزب الوطني ، والتيار الاصلاحي الذي بدأه حزب الامة قد عادا يتنازعان مصير الشعب العربي في مصر ايمصير الامة العربية ذاتها ، بعد ان حسب البعض ان ثورة ٢٣ يوليو قد حسمت الخيار الى الابد لصالح التيار الثوري · وفي محاولة الانتصار للتيـــار الاصلاحي يحاول كثير من الكتاب منذ فترة نسبة ثورة ٢٣ يوليو الى التيـــار

الاصلاحي لتضاف اليه ايجابياتها كموقف مناهض للتيار الثوري الذي ما تزال الثورة مستمرة فيه ·

ومقال الدكتور عبد الكريم ينتمي الى الكتابات التي تنتصر للتيار الاصلاحي وتساعد في اضافة ثورة ٢٣ يوليو الى رصيده مناهضة للتيار الثوري ، هذا في حين ان الدكتور عبد الكريم احمد شخصيا ينتمي الى التيار الثوري الذي يناهض التيار الاصلاحي ··

هذا التناقض بين موقف الكاتب ومقاله ·· هو الغريب لان الكفاءة الفكرية والخبرة السياسية المتوافرتين للدكتور عبد الكريم احمد كانتا كفيلتين بان يقول غير ما قال ·

فلنقل اذن ·· لكل عالم هفوة ·

مشكلة الممارسة الديموقراطية :

لم اكن واثقا ما اذا كان من حق ابي ذر ان يضع على سفوده « الوثائق » التي تنشرها مجلة « الشورى » · اعني انني ترددت بين ان اعلق اولا على الوثيقة التي نشرت في العدد الرابع (السنة الثانية) من الشورى · والوثيقة هي قرار مجلس الثورة الصادر في ٣ ابريل ١٩٧٥ بتعديل النظام الاساسي للاتحاد الاشتراكي العربي في ج·ع·ل حسمت التردد بالحق لاسباب عدة :

الاول : ان في الوثيقة ما يغري اغراء شديدا بالتعليق والنقد ·

الثاني : ان الوثيقة جـــاءت في هامش تقديـم فكري يستحق ان يوضع على السفود ٠

الثالث : ان التقديم والوثيقة قد نشرا في مجلة الفكر القومي التقدمي فهما يخاطبان قراء الشورى الذين يكتب من اجلهم ابوذر ٠

الرابع : ان ما جاء في التقديم والوثيقة كليهما يتصل بواحدة من اهم المشكلات التي يواجههـا المناضلون عامة ، والمناضلون العربخاصة وهيمشكلة الممارسة الديموقراطية٠

الوثيقة :

ممـــا يستحق الانتباه في النظـــام الاساسي للاتحاد الاشتراكي العربي في ج٠ع٠ل ان عضويته مفتوحة لكـــل مواطن عربي من خـــارج ج٠ع٠ل (المـــادة الاولى) وان عضويته اجبارية لكل المواطنين في ج٠ع٠ل (المادة الثانية) وان الشعب مقسم فيه الى مؤتمرات شعبية اساسية وفقـــا للمكان (المادة الثانية) ولكن اختيار المؤتمر الشعبي لجنته القيادية مقيد بقيود منها الا يكون عضوا في مجلس الثورة او في قيادة الاتحادات او النقابات او الجمعيات واي روابط مهنية اخرى او احدى اللجان الشعبية لأن كل اولئك اعضاء في المؤتمر القومي (فقـــرة ب ١ و ٣ و ٤) بالاضافة الى قيادات لجانالمؤتمرات الشعبية الاساسية (فقرة ب ٢) كما جاء في المادة الثانية ٠ ثم قيد اخر جاء في الفقرة ٦ مـــن المادة ٦ ونصها « تكون الاغلبية الساحقة في عضوية لجان المؤتمرات الشعبية والمؤتمر القومي للكادحين » ٠

ثم يستحق الانتباه ان غاية التنظيم كما حددتها المادة الثالثة تضمنت :

١ ــ ارساء دعائم نهائية لمجتمع ديموقراطي · وتعبير « نهائية » هو الذي يستحق الانتباه ·

٢ ــ « حماية » الحرية و « اقامة » « الاشتراكية » و « الدعوة » الى الوحدة العربية · اقتصار غاية التنظيم على « الدعوة » فيما يختص بالوحدة هو الذي يستحق الانتباه ·

بعد الانتباه يأتي التأمل وبعد التأمل يستطيع ابو ذر ان يقول :

اولا : يعجب كل قومي تقدمي ويسعده قبل كل شيء ما نص عليه النظام من ان غاية التنظيم فيما يتعلق بالوحدة هي الدعوة اليها · لا تحقيقها · انه نص علمي وواقعي معا · فوراءه لا شك وعي ملاءمة كل اداة لغايتها · ولما كان الاتحاد الاشتراكي العربي هو التنظيم للشعب في ج·ع·ل· فان تحميله مسئولية غايات تتجاوز مقدرته كاداة لا يعني سوى ترشيحه للفشل · وبهذا يزول اول تناقض بين التنظيم في اقليم وبين التنظيم القومي الذي هو اداة لا بد منها لتحقيق الوحدة · يستطيع الاول ان يدعو ويحضر فكريا ودعائيا للوحدة ويبقى الانجاز او التحقيق منوطا بالثاني · انهما غير متوازيين وغير متناقضين فلا يعني تنظيم الشعب العربي في ج·ع·ل· في الاتحاد الاشتراكي العربي انه قد استغنى بتنظيمه عن المشاركة في التنظم القومي عندما يقوم · ولقد كان ابوذر يتمنى لو ان النظام الذي صدر قد تضمن مادة

اضافية تؤكد هذا المعنى كتلك المادة ٦٢ من دستور دولة الاتحاد التي نصت على التزام التنظيمات السياسية في الاقاليم تهيئة المناخ لاقامة الحركة العربية الواحدة بما يعنيه هذا من اعتبار ذاتها منظمات «مؤقتة» الى ان تقوم الحركة العربية الواحدة ، ليستقر في وجدان الشعب العربي ان كل تنظيم له في ظل التجزئة وحدودها هو تنظيم « ضرورة » مؤقتة لا بد له من ان ينتهي عندما يستطيع الشعب العربي ان يطوع ظروفه لقيام تنظيمه القومي ·

هذا يعجب كل قومي تقدمي ويسعده لولا فتح العضوية لكل « مواطن عربي » خارج ج·ع·ل· ان كل النوايا الطيبة التي املت هذا النص لن تغير شيئا في عدم جدواه · ان فتح عضوية الاتحاد الاشتراكي العربي في ج·ع·ل· لا يعني شيئا اذا لم يكن من اثاره الفورية المباشرة كسب الجنسية الليبية · وهذا يقتضي تغييرا شاملا وجذريا في التكوين الدستوري والقانوني لدولة ليبيا يجعل الانتماء اليها مباحا لكل من يريد في الوطن العربي · بكل ما يعنيه هذا من حرية الدخول والخروج والاقامة والعمل وتولي المناصب والالتحاق بالقوات المسلحة والوصول الى الحكم نفسه · الا فان طلب عضوية الاتحاد الاشتراكي لن يكون الا وسيلة لزيارة ليبيا والاقامة فيها على حسابها ولو في فترات انعقاد المؤتمر القومي وهي غاية لا تغري الا الانتهازيين · ثم ان هذا النص يلقي ضبابا كثيفا من اوهام التحول الى تنظيم قومي فيلغي اهم مميزات الاتحاد الاشتراكي العربي عندما يطرحه بديلا محتملا للتنظيم القومي ·

ثانيا : النص على ان غايـــة التنظيـم ارساء دعائم « نهائية » لمجتمع ديموقراطي نص غير قابل للفهم • فعندما نسلم بان التطور الاجتماعي في حركة مستمرة سواء كانت بطيئة او سريعة ، وبالتالي فان كـــل شيء متغير ولا يوجد شيء ثابت يكون من العسير فهم دلالـــة « نهائيـــة » الدعـــائم لمجتمع ديموقراطي • انها مصادرة مسبقة على المستقبل وقيد في بداية التجربة على تصحيح ما تسفر عنه الممارسة مــن اخطاء واضفاء « قدسية » غريبة على الظواهر الاجتماعية تحول دون المساس بها فتجمدها بحجة انها دعائم « نهائية »• وهي قدسية ستصيب بالاحباط والياس كل الذين قد يرون في المستقبل البعيد او القريب ، وعلى ضـــوء الممارسة ، ان في دعائم الديموقراطية التي ظنوا انهـــا نهائية مـــا يستحق التغيير • النهائي هو الدائم ولا دائم الا وجه الله •

ثالثا : النص على ان تكـــون الغالبيـــة الساحقـــة في عضوية لجـــان المؤتمرات الشعبية والمؤتمـــر القـــومي من الكادحين نص خطير • يرشحه ابوذر ليكون جرثومة الفشل التي ستصيب جسد التنظيـــم • لا لأن ابا ذر ضد الكادحين ولكن لان لكل فرد ولابي ذر ايضا مفهومه الخاص عن هاتين الكلمتين الغامضتين اللتين قدت حروفهما من « المطاط » •• كلمة « الاغلبية الساحقة » وكلمة « الكادحين » • كل منهما شرط للترشيح والاختيار لعضوية اللجان القيادية • فما هي الاغلبية الساحقة لتكون حدا للترشيح والاختيار ؟•• يقول التقديم المصاحب للوثيقة : « الاغلبية المطلقة هي ٥١٪ امـــا الاغلبية الساحقة فهي تفوق ٦٠ و ٧٠ و ٨٠ و ٩٠ ٪ ويمكن ان تكون الاغلبيـــة الساحقة ٩٩٪ • ويقـــول ابوذر لكاتب

التقديم : صدقني فالحق اقول ٠ مـا اثـار الخلف واجج الصراع وفتك بالصفوف الا الالتقاء ابتـداء على كلمات يخضع تحديدها للاهواء ٠ طبقا لرأيك تكون الاغلبية الساحقة فوق ٦٠٪ اما الاغلبية المطلقة فهي ٥١٪ ٠ فما حكم التسعة في المائة التي تمثل الفرق بينهما ؟٠٠ ومن الذي سيحكم ـ في الممارسة ـ عما اذا كانت النسبة قد وصلت حد «السحق» ام لم تصل ٠ انِ واحدا في المائة ، واحدا فقط، سيكون معناه ـ في الممارسة ـ ان اخا يصعد الى اللجنة القيادية او اخا يحرم من الصعود فهل تحسب ان الذيـن يرشحون انفسهم للقيادة ويكون مصيرهم معلقا على اختيار رقم تتحقق بـه النسبة الساحقة سيقبلون الرقم الذي تختاره انت مـا بين ٥١٪ و ٩٩٪ ؟ ابدا ٠

ثم نأتي الى كلمة « الكادحين » ٠٠ من هـم ؟ وبأي مقياس يفرزون ؟٠٠ هل سيكون على كل اخ يريد ان يرشح نفسه للقيـادة ان يحصل على « شهـادة ادارية » بانه من الكادحين ؟ واذا كان الكدح من الجهد المبذول المتعب فهـل سيقبل اي واحد ان يقال له انك لا تبـذل جهدا ولا تتعب في حياتك فانت غير كـادح ؟٠٠ صدقني مـرة اخرى فالحق اقول ٠ سينتهي الامر بالممارسة الى « حل سلمي » يرتضيه كل مؤتمر شعبي هو اعتبار الشعب في ج٠ع٠ل٠ كله شعبا من الكادحين وبالتالي اسقـاط هذه الشروط ، ويتلوه ان تكون نسبة « الكادحين » في كل لجنة ١٠٠٪ والا فابحث عن مقياس اخر غير الكلمات التي ان تحددت مزقت الناس وان توحد الناس سقطت هي ٠

هذا يكفي تعليقا على الوثيقة لان العبـــرة بما وراء الوثيقة من افكار جاءت في التقديم المنشور معهـا في العدد الرابع من الشورى ٠

التقديـم :

(١) يقول التقديم : « استهدف تعديل النظام الاساسي تاكيد الحق السياسي لكل مواطن وضرورة مشاركته الفعالة داخل التنظيم السياسي عن طريق تقسيم الشعب الى مؤتمرات شعبية اساسية وفقا للمكان ويسجل كل المواطنين اسماءهم لعضوية المؤتمر الشعبي الاساسي لمنطقتهم بحيث نجـد فـي النهاية ان الشعب كلـه اصبـح عضـوا في مؤتمرات شعبية اساسية وكل مؤتمر شعبي عليه ان يختار لجنته القيادية ومن مجموع اللجان يتكون المؤتمر القومي الذي هو مؤتمر الشعب وبهذه الطريقة تصل قيادات المؤتمرات الشعبية التي اختارتها الجماهير الى اعلى مستوى للسلطة في الجمهورية العربية الليبية وهي اداة الحكم٠ وبهذه التجربة تسهم ثورة الفاتح من سبتمبر في ايجاد حل عملي لقضية الديموقراطية واداة الحكم التي تعتبر مشكلة المشاكـل في العالـم الحديث والقديم ولم تحل بعد » ٠

ان هذا التقديم متفائل الى حد المثالية ٠ سنرى انه لم يحل مشكلة الديموقراطية بل زادها تعقيدا ٠٠٠

ان جوهر الفكرة التي تجسدت في النظام هي حق كل مواطن في ان يشارك في حكم دولته ٠ وهذا نظـام معروف منذ قرون طويلة ٠ انه اول نظام للديموقراطية التي هي كتابة

بالحروف العربية للكلمة اليونانية ومعناها حكم الشعب ·
وتعرف في الفكر السياسي بالديموقراطية المباشرة · وقد
طبقت في الدول الاغريقية القديمة كأثينا ولم تثر اية مشكلات
لان تلك الدول كانت مدنا تجمع كل المواطنين في مكان واحد
من ناحية ، ومن ناحية ثانية لان المواطنية لم تكن حقا عاما
في مدن الاغريق بل كانت مقصورة على «الاحرار» من سكانها
ولم يكن كل الاحرار ذوي مواطنة كاملة · افراد الاسرة من
النساء والاولاد كانوا معتبرين ملكا لرب الاسرة · وهكذا
انحصر حق الممارسة الديموقراطية في اقلية من سكان كل
مدينة تسهل دعوتهم الى الاجتماع في مكان محدد منها
فيسعهم ويتسع لحوارهم جوارا مباشرا حول شئون دولتهم
«المدينة» ولم يكن هذا النظام يستوجب او يستلزم «الانابة» اي
ان يمثل واحد من المواطنين عددا منهم ، ويحضر ويناقش
ويقرر بالنيابة عنهم · فلما ان اتسعت الدول واصبح مستحيلا
ـعمليا ـ جمع كل المواطنين في مكان واحد ، دخل التمثيل
النيابي في الممارسة الديموقراطية · فلم يعد كل المواطنين
يشاركون في حكم دولتهم بانفسهم بل يختارون من ينوب عنهم
في تلك المشاركة · عندئذ انقسم الشعب افقيا الى شريحتين :
شريحة تضم اغلبية المواطنين لا تشارك في اتخاذ القرارات
الخاصة بالحكم وانما يقتصر دورها على اختيار الذين
يحكمون فعلا · ثم شريحة تمثل الاقلية هي التي تحكم فعلا بعد
ان يكون قد تم اختيارها · من هنا نشأت اولى مشكلات
الممارسة الديموقراطية وهي مدى صدق التطابق بين ارادة
الشريحة التي تحكم وارادة الشعب الذي اختارها ·· ولم
يزعم احد ابدا انمجرد ان الحاكمين قد اختارهم الشعب يعني
انارادتهم مطابقة اومتطابق ما يريده الشعب ··· وبالتالي
لم يزعم احد ابدا ان«الشعب» اعني كل المواطنين» يشاركونفي

حكم دولتهم فعلا في ظل التمثيل النيابي · فاتجه الرأي في مراحل لاحقة الى فرض قيود ثابتة نسبيا على ارادة ممثلي الشعب لتلزمهم ماديا ومعنويا بالتعبير عن ارادة الشعب · ومن تلك القيود تقسيم الحاكمين الى سلطات ثلاث · احداها تضع القوانين ولا تنفذها (السلطة التشريعية) والثانية تنفذها وتسأل عنها (السلطة التنفيذية) والثالثة تحكم فيما اذا كان التنفيذ صحيحا ام غير صحيح (السلطة القضائية) لتكون كل سلطة رقيبة على الاخرى على افتراض ان القوانين التي تضعها السلطة التشريعية ستكون مطابقة لارادة الشعب · واقتصر التمثيل النيابي على اختيار الذين يضعون القوانين· ولكن المشكلة لم تحل: لان مجرد ان اعضاء السلطة التشريعية منتخبون من الشعب ويمثلونه لا يعني ان ارادتهم التي ستصبح قوانين ملزمة للشعب نفسه ستكون مطابقة لما يريده الشعب · فاضيف قيد جديد · ان يكون انتخاب الممثلين دوريا حتى يستشعر كل ممثل لجزء من الشعب انه في حاجة الى رضاء من انتخبوه اذا اراد ان يعاد انتخابه · وهو نوع من الاكراه المعنوي الذي لا يجدي كثيرا · ومع ذلك فحتى لو كان مجديا فان المشكلة لم تحل · لانه مع الاعتراف بالمساواة بين المواطنين يستبعد من الممارسة الديموقراطية غير البالغين من الرجال والنساء كما يستبعد المحجور عليهم والمرضى عقليا والمسجونون والذين لم يرد اليهم اعتبارهم بعد ادانتهم في قضايا مخلة بالشرف ومن لا يريدون او لا يقدرون على المساهمة الديموقراطية · فنرى الناخبين في كل مجتمع اقلية· يختارون بين المتنافسين على تمثيلهم ويفوز من ترضى عنه الاغلبية المطلقة (٥١٪) فيجتمع الممثلون في مجالسهم التشريعية وتصبح الجلسات صحيحة اذا حضرتها الاغلبية المطلقة من الاعضاء (٥١٪) ويتناقشون فاذا

اختلفـــوا نفـذت ارادة الاغلبيـة المطلقـــة من الحاضرين (٥١ ٪) فاصبحت قانـونـا · وهكـــذا نـرى ان الذيـن يحكمـــون فعـــلا ـ ديمـوقراطيـــا ـ هـم اقليـة اقليـة الاقلية ·· بالرغم من كل النصوص الدستورية والتنظيميـة التي تقرر حق الممارسة الديموقراطية لكل المواطنين ما دام المواطنون لا يستطيعون ماديا ان يجتمعوا في مكان واحـــد ليمارسوا الديموقراطية ممارسة مباشرة ·

انها مشكلة لم يحلها نظام الاتحاد الاشتراكي العربي في ج · ع · ل · لانه ـ وهذا واقعي ـ قد اخذ بالتمثيل النيابي، وبالتالي فان احدا لا يمكن ان يزعم ان ارادة المؤتمر القومي مثلاستكون مطابقة لارادة الشعب لمجرد ان المؤتمرات الشعبية الاساسية هي التي اختارت اعضاءه بمجرد الاختيار تنفصل الارادات ·· هذا لا شك فيه ·

وسنرى فيما بعد كيف يمكن ان تحل هذه المشكلة ··

(٢) يقول التقديم ان تعديل النظام استهـدف «تأكيـد الحق السياسي لكل المواطنين » وهـــذا صحيح لأن عضـــويته مفتوحة لكل مواطن· ولكنه يضيف «وضرورة مشاركته الفعالة داخل التنظيم السياسي» · وهذا يتفق فعلا مع باقي النصوص التي تنص على ان كل مواطن يسجل اسمه لعضوية المؤتمـر الشعبي الاساسي لمنطقته · ولكن كل هذه افتراضات قـد لا تتحقق · فليس ثمة اي ضمان بان كـل المواطنيـن يرغبـون في عضوية الاتحاد الاشتراكي او انهم سيسجلون اسماءهم لعضوية المؤتمرات الشعبية · فاذا لم يرغب بعض المواطنين ـ قلوا او كثروا ـ في التسجيل او لم يسجلـــوا بالرغم مـن رغبتهم لسبب او لآخر يسقط فرض اننا «نجد في النهاية ان الشعبكله اصبح عضوافي مؤتمرات شعبية اساسية» ··فاذا

الزمت الدولة كل مواطن بان يكون عضوا بالاكراه ـ فرض غرامة مثلا ـ فيسجل اسمه ولا يمارس · وجوهر النظـــام الاساسي كله لا يتفق مع الفكرة المثالية التي يستهدفها : رد امر ادارة الدولة الى الشعب كله · اذ لا يتفق مع هذا المنطلق الفكري ان يوضع للشعب نظام للممارسة لم يختردهو· انكان يمكن لكل افراد اي شعب ان يتفقوا على اسلـــوب واحـــد للممارسة الديموقراطية · اين هـــذه الفكـــرة مما لو اختـــار الشعب نظاما غير الاتحاد الاشتراكي العربي ؟ واين هي مما لو اختار الشعب تنظيما داخليا غير التنظيم الذي تضمنتـــه المادة الثانية ؟ ·· واين هي مما لو اختار الشعب غايات غير الغايات التي تضمنتها المادة الثالثة ··· الى آخره ·

(٣) ما فات يتصل بالشكل واهـــم منـــه مـــا يتصـــل بالمضمون · لقد عددت المادة الثالثة خمس عشـــرة غـــايـــة سياسية واقتصادية واجتماعية وخلقية مـــن بينهـــا اقـــامـــة الاشتراكية · وافترضت ان كل مواطن في ج· ع· ل· يؤمن بتلك الغايات ويريدها وبالتالي الزمته ان يكـــون عضـــوا في الاتحاد الاشتراكي العربي للعمل على تحقيقها · فمن ايـــن جاء هذا الافتراض ؟ ان التنظيم كان امام خيار بين امرين لا يستطيع ان يجمع بينهما · فاما ان يرد امر اختيار الغايات الى الشعب ليختار ما يريد وبالتالي يخلو من بيـــان لتلـــك الغايات او ان يترك عضويته اختيارية لـــمن يريـــد ان يلتـــزم بتحقيق تلك الغايات · اما الزام الناس جميعا في اي مجتمع غايات واحدة فانه يتجاهل اختلاف الناس في المصـــالح وفي الوعي وفي المقدرة · والناس مختلفـــون مصـــالح ووعيـــا ومقدرة سواء اعجبنا كل هذا ام لم يعجبنا · هل يمكن مثـــلا

الزعم بان كل مواطن مـن الشعب العـربي في ليبيـا يريـد الاشتراكية او حتى يعرف ما هي الاشتراكية ؟ ٠٠ لو صح هذا فأن الشعب العربي في ليبيا يعيش مرحلـة من التقـدم الفكري والاقتصادي لن تبلغها باقي المجتمعات الانسانية الا بعد قرون طويلـة ٠ وهـذا غيـر واقعي ٠ او لـو صـح ان الرأسماليين في ج٠ ع٠ ل٠ ملائكة يكتفون بالتنـازل عـن مصالحهم من اجل الاشتراكية بل يزيـدون فيناضلـون في الاتحاد الاشتراكي العربي من اجل الخير الاشتراكي ٠٠ وما ينطبق على الاشتراكية ينطبق على الوحدة ٠

هذا يكفي ايضا للتعليق على تقديم الوثيقة ٠٠٠

فكيف تحل مشكلة الديموقراطية ٠

لنسلم جدلا بما اقتبسه التقديم من اقوال الاخ العقيـد معمر القذافي حين قال : «العالم الان اما ان يحكمه حـزب او فرد او حاشية ملكية او طبقية او طبقة او طليعة او جماعة او صفوة ما هي الا ادوات ديكتاتوريـة التي لا زال العالـم يعاني منها التي تمثل اداة الحكم في العالم الآن كله الا في ج٠ ع٠ ل٠ نريد ان نقيم هذه التجربة باذن الله وهو حـل مشكلة الديموقراطية نهائيا في العالم ونحن نريد ان نطبقه على انفسنا اولا ، نخلق اداة سياسية لحكـم المجتمـع مـن المجتمع ذاته» ٠

اقول : لنسلم بان حلها الصحيـح الكامـل لمشكلـة الديموقراطية هي ان يحكم الشعب نفسه بنفسه فلا يحكمـه حزب او فرد او حاشية ملكية او طبقة او طليعة او جماعة

او صفوة .. ان هذا الحل الصحيح لا يتحقق لمجرد انه الحل الصحيح . وانما يكون قابلا للتحقق عندما تتوافر للمجتمع الامكانات الموضوعية والذاتية لتحقيقه .. من الامكانات الموضوعية تحرر كل فرد تحررا نهائيا من التبعية الاقتصادية لاي فرد حتى لا يستطيع اي فرد ان يستغل تلك التبعية في التأثير في ارادة تابعه وحمله على اخفاء ما يريد حقا والتعبير عما يريد المتبوع او الخوف من ان يقول «لا» لاي انسان او الاغراء بان يقول «نعم» لاي انسان . وهذا لن يتحقق موضوعيا الا في ظل مرحلة متقدمة من النظام الاقتصادي يعمل فيه كل قادر على العمل الا العاجزين ويكون العمل هو المصدر الوحيد للدخل الفردي ثم يكفل المجتمع العاجزين على وجه الاستقرار . ومن الامكانات الذاتية وصول كل فرد في المجتمع الى درجة من العلم والثقافة والمعرفة تمكنه من معرفة حقوقه والتمسك بها والدفاع عنها وبالتالي فرض ارادته دائما وفي كل وقت على ممثليه الذين اختارهم للتعبير عما يريد .

بدون هذه الامكانات، ومهما كانت النصوص الدستورية والقانونية عامرة بحقوق الشعب والمساواة بين كل افراده والاشادة بالديموقراطية وادانة الديكتاتورية ، سيعبر كثيرون من ابناء الشعب ، لا عما يريدون هم ، ولكن عما يرضى الذين يستمدون منهم ارزاقهم او ضمانات استمرارها . وفي المؤتمرات الشعبية ـ كما ستثبت الممارسة ـ سيفوز بعضوية اللجان القيادية الاكثر مالا او جاها او اكبر منصبا خاصة في المدن . وبدون هذه الامكانات سيعبر كل واحد من الذين لا يقبلون التبعية عن ارادته كما كونتها درجة تعليمه وثقافته

ومعرفته وقد يكون هذا كله مؤديا الى غاية مستحيلة التحقق موضوعيا او غاية ليست في مصلحته اجتماعيا · وفي المؤتمرات الشعبية ـ كما ستثبت الممارسة ـ سيفوز بعضوية اللجان القيادية في الصحارى والقرى اكثر الناس مقدرة على خداع البسطاء من ابناء شعبنا العربي ·

نقول هذا لأن شعبنا العربي في ليبيا ليس بدعة بين شعوب العالم الثالث او حتى العالمين الاول والثاني فان المشكلة ما تزال قائمة على مستوى العالم كله ·

ما الحل اذن ؟

توفير تلك الامكانات· وهذا يعني ان الحل الامثل لمشكلة الديموقراطية الذي استهدفه تقديم الوثيقة ليس قابلا للتحقق فورا ولكنه هدف بعيد يجب العمل على تحقيقه · اعني ان الديموقراطية التي تسمح للشعب فعلا بان يحكم نفسه فعلا هي غاية يجب النضال من اجل تحقيقها · غاية استراتيجية كما يقولون · وهنا يكمن الخطأ الاساسي في الطرح الديموقراطي الذي نشرته الشورى · انه الغاء مراحل التطور وزمانه والقفز مباشرة الى الهدف الاستراتيجي وتقديمه كغاية حالة لمجرد انها غاية سليمة وهذه مثالية ·

ويختلف الامر كله عندما نبدأ بالواقع المتخلف ديموقراطيا ، اي الذي لا تتوافر له الامكانيات الموضوعية والذاتية للممارسة الديموقراطية الصحيحة ثم تطوره بحيث تتحقق تلك الامكانات فتصبح الديموقراطية الصحيحة ممكنة التحقق وتتحقق · الشعب هو الذي سيحققها حينئذ · كيف

يتم كل ذلك ؟ ·· بالتحول الاشتراكي باكبر معدل من السرعة لتوفير الامكانات الموضوعية · الغاء التبعية الاقتصادية للانسان وما تتيحه من قهر اقتصادي · ثم بالتعليم والتثقيف والتوعية والتدريب المستمر على ممارسة الديموقراطية · وكل هذه لا تتحقق تلقائيا من ناحية ولا يحققها الشعب كله من ناحية اخرى بل تحققها طليعة اشتراكية ديموقراطية · أن الطليعة المنظمة المناضلة ضد القهر الاقتصادي والتخلف العلمي والثقافي التي تعيش مع الشعب وتوعيه « بالمشكلة الديموقراطية» وتقوده ضد كل انواع «الديكتاتورية» وتحكم لتسخر امكانات الدولة لتوفير الامكانات الموضوعية والذاتية لقيام الديموقراطية الشعبية هي وحدها التي يمكن ان تطور الواقع المتخلف الذي يسمح بالتسلط الديكتاتوري الى التقدم الاقتصادي والاجتماعي الذي يمكن الشعب من حكم نفسه بنفسه ·

ولست افهم كيف تدان الاحزاب كافه كأن الاحزاب موحدة الغاية فتستوي الاحزاب الفاشستية مع الاحزاب الديموقراطية وتستوي الاحزاب الرأسمالية مع الاحزاب الاشتراكية وكيف يمكن ان ينسب الى حزب اشتراكي ديموقراطي بانه اداة للدكتاتورية ، الا اذا كان مجرد تولي السلطة ديكتاتورية بصرف النظر عمن يتولاها ؟ ··

هل اطلت ؟ ···

نعم فالموضوع مغر ، ثم احسب ان هذا آخر لقاء بين قراء الشورى وبيني فاردت ان اقدم للجيل العربي الجديد

رأيا في واحدة من اعتى المشكلات التي سيواجهونها عندما يضعون اقدامهم على الطريق الصحيح الى دولة الوحـــدة الاشتراكية الديموقراطية ٠

وخلاصة رايي اننا لكي ننجح يجب ان نحتفظ باهدافنا ونناضل من اجلها الى ان تتحقق كاملة ، وعلى مدى زمـان نضالنا ، لا ينبغي ان نحاول الا تحقيق الخطوة الممكنة فـي زمانها ومكانها طبقا لظروفها الموضوعية وظروفنا الذاتية٠٠٠

حاشية

لم اشأ ان اعاتب الشورى على ان استبدلت بصفحـة من «على السفود» المنشور في العدد الرابع صفحة من مقال «المعتزلة» الذي كتبه الاستاذ محمد عمارة ، صفحة ٦٩ التي جاءت في سياق مقاله ليست له بـل لي ٠ وصفحة ٩٦ التي جـاءت في سياق تعليقي ليست لي بـــل له ٠ وماذا يجدي العتب ؟ ٠

القاهرة في ٢٧ يوليو ١٩٧٥

١٥

نقطة على حروف الثورة:

١٩٤٧ ·· دق على الباب ،

ـ علي · ولد يا علي · اصح ·

ـ ابي · ما يزال الليل ليلا ·

ـ اي ليل ياكلب يا ابن الكلب · قلت لك اصح · قم من جوارها لتدرك السوق · امامك مشوار طويل · لا بد من ان تأخذ اول «معدية» · قم يا ولد ·

ـ طيب · طيب · دعني لحظة فقط ·

ـ قم يا ولد · انا عارف · لا فائدة فيك ولا في جيلك الخرع ما دمتم قد تعلمتم في آخر الزمان النوم في احضان النساء · اتركيه يا امرأة ·

وخرج علي الى ابيه· وعلي شاب كالرجال طولاوعرضا وبناء متينا · ثم انه قد زفت اليه زوجته منذ ثلاثة ايام ·

ـ ابي حرام عليك · ما يزال الليل ليلا ·

ـ نحن في الصبح يا اعمى ·

فابتسم علي ابتسامة لم يرها والده الشيخ الضرير · وصحب اباه الى المسجد ليصلي عشرات من الركعات تعويضا لما فاته ايام الشباب قبل ان يصلي الفجر · وعاد بـه الـى المنزل · طار النوم وعليه ان يدرك السوق · امس خـاطت له عروسه عشرين جنيها داخل جيبه حتى لا يسرق منه ثمـن البقرة · اولاد الحرام كتير في سوق المركز والبقرة هي الركن المكمل لبناء الاسـرة · لا يكمـل الـزواج الا اذا دخلت مـع العروس بقرة · وها هو نصف المهر يا علي و«النقطة» التي اهداها لك الناس يوم عرسك لتشتري بقرة فتصبح رجلا ورب بيت · هذا ما كان والدك يستعجله · ان يراك رجلا رب بيت قبل ان تشرق شمس اليوم الرابع من زواجك · ولقد استعجل الحديث عن بقرتك امس فعرف الذين صاحبوه في صـلاة العشاء ان عليا سيشتري غدا بقرة ·

ارتجف علي · ان على الطريق من يتربصون به لا شك في هذا · كثر في هذه السنين الكفرة قطاع الطريق · ولكـن الجوع اشد كفرا يا علي · استعن بابن عمك احمد ليؤمـن طريقك الى السوق · واحمد «خفير نظامي» يحمل بندقيـة حكومية ويهابه الناس فلا يسرقون الا بقدر ما يرشونه · ثم ان احمد لا يقضي الليل في احضان امرأته · ان ابنه امين يشغل موقعه منذ بضع سنين · ولو اراد ان يشغله لما استطاع الا احتيالا · ولقد علمه احمد قبل زواجه كيف يحتال في الوصول الى زوجه عبر اجسام البنات والارامل اللاتي يملأن صحـن الدار · ثماني نسوة ورجلان وشيخ ضرير وغـلام اعجف

معروض كالابله هو امين • تلك هي الاسرة التي اضيفت اليها بالامس عروس وتضاف اليها اليوم بقرة •

لا حول ولا قوة الا بالله •

خرب البيت •

قال قائل : كان الجدعان يعبران القنطرة فوق الترعة الصغيرة عندما انطلقت الاعيرة النارية • سقطا في مياه الترعة • سقط علي بثروته وسقط احمد وبندقيته • وعندما تجمع اهل القرية وانتشلوا الجثتين كان علي واحمد ينقصان الحياة والثروة والبندقية • يكفر الجوعى حتى بحرمة الموتى فيسرقون الجثث • نسوة القرية كلهن يولولن في منازلهن فتجتمع اصواتهن في صدى واحد يردده الى القرية الجبل الذي تقوم على سفوحه • اما النسوة اللواتي تغرفن من الطين وتضعن على رؤوسهن ثم تدرن في حلقة تنشدن اغاني تقطر حزنا على ايقاع ضرب خدودهن فمنهن قريبات علي واحمد • عروس علي غير مدربة • انها تقع كثيرا قبل ان تتم الدورة • غدا ستدربها المآسي ولن يكون علي آخر قتيل تندبه • وفي ظلال اشجار السنط يجلس الرجال صامتين وقد دفنوا رؤوسهم بين ارجلهم • ولا تسمع الا همسا •

لا حول ولا قوة الا بالله •

خرب البيت •

اما الشيخ الضرير فقد شل حين بلغه النبأ ولم يلبث ان مات • وتزوجت من النساء من تزوجت • والتحقت الصغيرات بخدمة موظفي الحكومة وانتقلن معهم الى حيث لا يعرف احد

كما فعلت من قبل مئات الفتيات • وغادر امين القريـة الى حيث لا يعرف احد كما فعل من قبل مئات من الغلمان • من حين الى حين تتردد الشائعات ان بنت فلان اصبحت داعرا • ان ابن فلان اصبح مجرما • لا احد يهتم فقد كان الموت جوعا او غدرا هو البديل على اي حال •

وفي ذات اصيل ،

كان جالسا على مقعده المريح يتأمل البحـر ويـراقب الشمس وهي تكاد تغيب عنه • ويتذكر • اين الامس من اليوم، انقضت سنون طويلة منذ ان كان ورفاقه يتسابقون عرايا كما ولدتهم امهاتهم في الانزلاق على مجاري الطين يصطنعونها على سفح الترعة • انه الآن يتأمل البحر على شاطىء قصر المنتزه •

المنتزه ؟ !!

نعم المنتزه يا ابن القرية • يا صبار الطين • يا برص الجبل الاجرد • في المنتزه حيث كان يعيش فاروق الملك واهله يا ابن الفلاحين • يا لها مـن دورة رائعـة • لـم تـذق في العشرين سنة الاولى من حياتك ماء صافيا غير مخلوط بالطين والجراثيم • وكان اهلك يعرفون اوصاف البحر من حجـاج القرى الاخرى • ولكنك الان مزروع في حدائق قصر المنتزه منذ الصباح الباكر كأنك ورثته عن اهلك •• ترى من الذي ورثك اياه ؟

حينما يغيب الضوء تحتضن الظلمة احلام الغرور •

من رحلة الحمار على الطريق المترب الى ملاهي قصر المنتزه طريق طويل • قطعته بعقلك • بسهرك • بجدك • باجتهادك • تعلمت فتفوقت فتخرجت فاصبحت من رواد المنتزه • لم يورثك احد شيئا • كسبت كل شيء فلا فضل لاحد عليك •

ويحجب ما بقي من اشعة الشمس عملاق من البشر يلبس ملابس العوم • تدس فتاة رشيقة يدها تحت ابطه • انه لا يراهما الا كجسمين عابرين على صفحة ارجوانية •• ولكن الشاب يراه •• يتوقف •• يلتفت •• يترك فتاته •• يجثو على ركبتيه ليحتضن الكهل الجالس ويقبله قبلات حاره •

ـ من ؟

ـ امين ••

ـ امين من ؟

ـ الا تعرفني ؟

عرفه الان واحتضنه ونهض من مقعده فصافح زوجته• ••اصبح كل شيء واضحا بالرغم من غياب الشمس •
فهناك بعيدا عن القرية ، جنوب القاهرة ، انشئت قرية اخرى اسمها «عزبة الصعايدة» فيها اكثر من الفي شاب وفتاة يلبسون ملابس الافندية ويقرأون الصحف ويتجادلون في السياسة ولا يسرقون ولا يقتلون بل ينتجون خلقا معدنيا في مصانع حلوان • ثم تحملهم سيارات فارهة دفعات دفعات كل صيف الى شواطيء الاسكندرية • وتنثرهم كالجواهر على شواطيء قصر المنتزه وبينهم امين •

يا احلام الغرور ..!!
كيف ورث امين بعد خراب بيتهم موقعا في قصر فاروق ؟ .

حوار وعتاب :

قال ابو ذر لمحدثه : ما بالك تلقى سؤالك ثائرا كأنك تريد القتال وقد كنت تحكي هادئا قصة كأحلام الحالمين . قال : لانها كانت حلما واصبحت علما وانا مغيظ . قلت : وهل يغيظك ان يقفز ابناء الفلاحين من الظلمة الى النور . من المذلة الى الكبرياء . من الجهل الى العلم . من القرى الى المدن . من الاختلاس الى الانتاج . من المزارع الى المصانع . من ملاعب الطين الى ملاهي المنتزه .ما هكذا عرفتك . قال : بل يغيظني الذين ينتهكون قيمة التقدم الانساني فيحولونه الى كلمات فارغة . قلت : مثل ؟ قال : مثل ذلك « الكلمنجي » الذي اسمه الدكتور فؤاد زكريا .. ثم انفعل انفعالا لا يتفق مع كهولته . وقال : هل تعرف يا سيد إبوذر ماذا اتمنى الان ؟ قلت : قل .. قال : وقد اعتدل وتوثب — اتمنى ان اوصد على الدكتور فؤاد زكريا ابواب دار الكتب ثم اقول له : اذا صح ما كتبته من ان عبد الناصر قد سحق روح الانسان المصري ، فهاك كل كلمات الارض بكل اللغات ،اقرأها او كلها او اهضمها ، ولكنك لن تخرج من هنا الا اذا اجبت على هذا السؤال : كيف ورث امين بعد خراب بيتهم موقعا في قصر فاروق ؟ قلت اعزيه . هون عليك . فها هو العدد الخامس من مجلة « الشورى » فيه مقال يرد به الصديق محمد عودة على ما قال فؤاد زكريا . ولا شك في انه سبقك الى السؤال والجواب فدعنا

نقرأ ما كتب ليكون لك فيما كتب عزاء يهدىء من روعك فلا تفسد علينا جلستنا ٠

وقرأنا معا صفحات وصفحات تحت عنوان « ناصريون وماركسيون » ٠٠ حتى اذا انتهينا ابتسم صاحبي شامتا وانصرفت انا غاضبا لاكتب هذا التعليق العاتب في سياق ظروفه من قصة وحوار ٠

جوهر القضية :

بعد تجريد كل ما كتبه الدكتور فؤاد زكريا عن عناصر الاحتيال اللفظي وضباب الكلمات الكبيرة نجد انه طرح قضية ذات وجهين : الوجه الاول : ادانة ثورة ٢٣ يوليو بالبطش الذي سحق روح الانسان المصري ٠ الوجه الثاني : فشل ثورة ٢٣ يوليو في تحقيق تقدم للانسان المصري ٠ هذه القضية بصيغتها هذه لا تمكن مناقشتها او معرفة ما فيها من صدق او كذب ٠ حيث يعني الصدق التعبير عن الواقع وحيث الكذب مخالفة الواقع ٠ ذلك لان هذا الذي سماه فؤاد زكريا « الانسان المصري » لا وجود له في مصر ٠ انه كلمة ، « مجرد كلمة » ، وهي كلمة فارغة ايضا ٠ فلو سحبنا الدكتور فؤاد زكريا من يده ، بدلا من لسانه ، والقيناه في زحمة الناس في شوارع القاهرة او في مزارع الوادي وقلنا له : هيا ، يا دكتور ، دلنا على « الانسان المصري » الذي تحدثت عنه وقلت انه ضحية الثورة ، فأشار الى اي مصري ، لما وجدناه انسانا مصريا مجردا ٠ لما وجدناه كلمة ٠ سنجده طفلا او امرأة او رجلا ٠ سنجده صحيحا او مريضا ، سنجده فقيرا او غنيا ٠ سنجده جاهلا او متعلما ٠ سنجده مستغلا

او ضحية للاستغلال · سنجده قاهرا او مقهورا · سنجده وطنيا او عميلا ·· وهكذا · وعندئذ يكون متعينا على الدكتور فؤاد زكريا ان يخرج من مخبئه اللفظي وراء الكلمات الكبيرة ليحدد لنا على وجه التعيين من هم ، من كل هؤلاء الناس الذين بطشت بهم الثورة وسحقت روحهم · ولن يثور حينئذ اي نقاش · فقد بطشت الثورة وسحقت واستولت على اموال بعض الناس وخربت بيوتهم وشردتهم وطردتهم وسجنتهم ·· الخ · هذا لا شك فيه · وسنبصم باصابعنا جميعا على قائمة الذين بطشت بهم الثورة بدون رحمة · لا لاننا نسلم بالاعداد التي سيذكرها فؤاد زكريا في قائمته ولكن لنحمله رغم انفه على ان يدفن كلمته الكبيرة الفارغة «الانسان المصري» ويأخذ موقفا محددا مع او ضد من يريد من الناس في مصر · ويكون عليه حينئذ ان يجيب على السؤال الاساسي : لماذا بطشت الثورة بهؤلاء على وجه التحديد ؟ اي يكون عليه ان يواجه ـ رغم انفه ـ جوهر القضية التي يتحدث عنها · لينتقل الهجوم او الدفاع من ساحات الكلمات الكبيرة الفارغة الى واقع الحياة بمفرداته العينية · ولنعرف على الاقل الاجابة على سؤال صاحبنا القصصي : كيف ورث امين بعد خراب بيتهم موقعا في قصر فاروق ؟

هل كان ممكنا ان يكون قصر المنتزه لفاروق وامين كليهما ·· مستحيل · لان فاروق ما كان يقبل في قصره امثال امين · لكي يدخل امين ابن الفلاحين كان لا بد ـ اذن ـ ان يخرج فاروق ابن الملوك · هذه هي القضية · بطشت الثورة ؟؟ ·· نعم · ولكن السؤال هو : بمن بطشت ولمن

بطشت ؟ الجواب هنا لا تكفي فيه الكلمات · الارقام اكثر دقة · ارقام البشر اولا لنعرف هل بطشت بالاقلية لمصلحة الاغلبية ام العكس · ارقام ساعات العمل لنعرف هل بطشت بالبطالة من اجل العمل ام العكس · ارقام الدخل الفردي لنعرف هل بطشت بالمترفين من اجل الجوعى ام العكس · ارقام الدخل القومي لنعرف هل بطشت بالمستغلين من اجل المنتجين ام العكس · ارقام ضحايا معارك التحرر لنعرف هل بطشت بالخونة من اجل الوطنيين ام العكس ·· وهكذا · ان الرد الحاسم على فؤاد زكريا لا يمكن ان يكون قائما الا على جداول احصائية تمثل بارقام يقينية الدلالة الواقع الذي يتحدث عنه بكلمات مبهمة ، هذه الارقام هي التي ستبين بوضوح لا تجدي فيه المغالطة من هو « الانسان المصري » الذي انتصرت له ثورة ٢٣ يوليو ومن هو «الانسان المصري» الذي يدافع عنه فؤاد زكريا ·وسيبين بيانا ساطعا انهما انسانان مختلفان متناقضان متعاديان· احدهما «انسان فؤاد زكريا » ، الليبرالي المنافق ، الاقطاعي الرأسمالي المستغل ، العميل ، الذي ما كان قادرا ان يعيش وما كان يريد أن يعيش الا سلبا لعناصر حياة «انسان عبد الناصر » ، الفلاح العامل ، الامي ، المريض ، الفقير ، المقهور ، الذي قامت الثورة من اجل تحريره · تحريره ممن ؟ ·· ليس من «انسان مصري » اخر مجرد · ليس من كلمة يكتبها المثقفون · بل تحريره من اعدائه الذين قهروه المعنيين بالاسم وبملكية ادوات القهر واستعمالها · وان تلك لمشكلة واقعية كان يعرفها بكل اطرافها · ان اغلب الذين سجنتهم قيادة الثورة او طردتهم او عزلتهم او استولت على ما كانوا يملكون ، يعرفون معرفة اليقين ، كما يعرف فؤاد زكريا بيقين انهم كانوا ضحايا

عجزهم عــن سحــن قيادة الثورة او طردها او عزلها او الاستيلاء على مصر كلها لتكون لهم ملكية خاصة · ولقــد صارعتهم الثورة وصارعوها · واعد كل طرف ما استطاع من قوة · وفي الصراع قد تبلغ القسوة حدا يتجاوز مـــا يلزم · ويحدث هذا من الطرفين او الاطراف المتصارعة · ولكن هذا التجاوز لن يكون ـ ابدا ـ دليلا على عدم شرعية الصراع ذاته ·

فما الذي يشكو منه فؤاد زكريا وامثاله ؟

ضراوة الصراع الاجتماعي ؟ ··

اذن : مــن المسؤول عــن ضراوته ؟ ·· المستغلون ام ضحايا الاستغلال ؟ ·· القاهــرون ام المقهــورون ؟ الذيــن يملكون كل شيء ام الذين لا يملكون شيئا ؟ ·· الوطنيون ام العملاء والخونة ؟ يا لنفاق المثقفين وفراغ كلماتهم الكبيرة · يستنكرون الاعدام حكما ولا يستنكرون الموت جوعا · يبكون من اجل فراغ الصحافة من الكلمات ولا يهمهم فراغ الصحاف من المأكولات · ينكرون منع رحــلات المتعة الى اوروبــا ولا ينكرون شقاء عمال التراحيل في سبيل لقمة العيش الاسود · ويحولون الحياة نفسها الى كلمات فارغة ·

ويحسب ابوذر ، الذي عاصر المرحلة ، ان لو ترجمت الكلمات الكبيرة الى وقائعها العينية لانتهت الى خطأ اساسي وقعت فيه الثورة · وهو خطأ له اسباب تاريخية · ان ثورة ٢٣ يوليو لم تكن حاسمة ، لا على المستوى العقائدي ولا على المستوى التطبيقي ، في موقفها من « اعداء الشعب » · فلــم يكن بطشها بهم حاسما ونهائيا · وآية هذا انه ما ان غــاب

قائد الثورةحتى حضر اعداؤها اكثر مالا ومقدرة وضراوة كأن لم يبطش بهم من قبل · وادى عدم الحسم الى التجاوز ·· فمن ناحية تجاوز البطش اعداء الشعب فأصاب من لا يستحقه · ومن ناحية اخرى قصر عنهم فافلت منه كثير يستحقونه ·

اما شرعية البطش الثوري باعداء التقدم فلا ينكرها الا المنافقون ·

اما انت ، ايها الصديق ، محمد عودة ، فاليك من ابي‌ذر عتابا مرا · فلست ادري كيف فقدت وعيك وانت صاحب « الوعي المفقود » · كيف تقبل استدراج فؤاد زكريا فتخوض معه معركة الكلمات وتحول قضية « الانسان المصري » الذي ثار من اجله جمال عبد الناصر الى قضية تلك الشريحة الغريبة من المثقفين التي تأكل كلاما وتريد ان تطعم الناس كلاما فتستنفد طاقتك وصفحات الشورى في الحديث عن العلاقة اتفاقا او اختلافا بين الناصرية والماركسية ؟ ·· انك ـ كما اعرفك ـ لست مترفا في حياتك فكيف انت مترف في كلامك · ان الاختلاف او الاتفاق بين ما تسميه ناصرية وما تسميه ماركسية ، على المستوى المجرد الذي طرحته ، لا يهم احدا الا انت وفؤاد زكريا وبضعة الاف من مثقفي مصر · اما الذي يهم الناس في مصر العربية ـ يا اخ محمد ـ فهو ما انجزته الثورة ومصيره : الاصلاح الزراعي · التصنيع · القطاع العام · التخطيط الاقتصادي · المدارس · الجامعات· المستشفيات · الوحدات الصحية في القرى بالاضافة الى معركة الوطن من اجل التحرير · من هذه المنجزات العينية كان عليك ان تغترف ما ترد به على فؤاد زكريا ·· لأن فؤاد

زكريا يقول ان عبد الناصر قد سحق روح الانسان المصري • ولست احسبك تصدق ان « الانسان المصري » هم جماعة الليبراليين المنافقين ، اصحاب الكلمات الكبيرة المجردة من مضامين عينية من حياة الناس •

عدد الكلمات :

لم تكن الجولة الكلامية التي خاضها محمد عودة على صفحات العدد الخامس باستثناء مما كتبه الكاتبون فيه • انه بحق « عدد الكلمات » • اعني الكلمات الكبيرة التي يتوه القارىء في ضجيج الفاظها الضخمة فلا يهتدي الى دلالتها العينية •

تأملوا مثلا مقالة رئيس التحرير تحت عنوان « فلسطين بين المسؤولية القومية والحلول القطرية » • قال :

«تحققت الثورة العربية على امتداد ساحة الوطن العربي فحركت الطاقات الفعالة في الجماهير فأصبحت الثورة جماهيرية المنطلق ، جماهيرية الاداة ، جماهيرية الغاية •• وحققت الثورة العربية ـ من عمق تعاملها مع الجماهير ـ زخما ثوريا فرض من خلال الجماهير البعد القومي بكل مسؤولياته تجاه القضايا المصيرية في الوطن العربي » •

يا جمعة يا مهدي يا فزاني ،

هل تحقق كل هذا ؟

يا رجل • حرام عليك • كيف بقيت اذن اعلام الصهاينة مرفوعة على الارض العربية ؟

وتأملوا ـ مثلا اخر ـ ما قاله الدكتور احمد صـــدقي الدجاني تحت عنوان «الوحدة العربية وقضية التحرر» قال: «لن نكون منصفين لو اننا ـ غفلنا او تغافلنا عن ذكر حقيقة ·· تبرز بقـوة ·· نراهـا ساطعـة كالشمس تشـع نـورا وتوحي معاني عظيمة وتطرح قيما سامية · تلك هي حقيقـــة وجود ثورة عارمة في الوطن العربي تناضل من اجل وحدتـه وازالة الحدود والسدود بين اجزائه وتناضل من اجـل بنـاء مجتمع الكفاية والعدل فيه لتظلله الشورى والديمقراطية هذه الثورة كما نراها وتحيط بها النظرية الشاملة ويتعمق فهمها بادراك حركة التاريخ هي ثورتنا العربية الواحدة ·· » ·

يا دكتـــور ،

هل توجـــد ـ حقا ـ ثورة عربية واحدة في الوطـــــن العربي ؟·· كيف اذن مايزال كثيرون ـ انت منهم ـ يناضلون بأساليب شتى ، وبدون نجاح كبير ، من اجل ايجاد اداة الثورة العربية ، التنظيم القومي ، او الحركة العربية الواحدة ، او « الطليعة العربية » او سمها ما شئت ؟· هل توجد الثـــورة العربية الواحدة قبل وجود الاداة الواحدة للثورة العربية ؟··

الاجابة تتوقف على مدلول الكلمات ·

ما معنى الثورة ؟

ما معنى عربية ؟

ما معنى جماهيرية ؟·· الخ ·

ما الثـــورة ؟ :

يقول الدكتور عصمت سيف الدولة في كتابه « نظريـــة

الثورة العربية » (صفحة ٦٣٥) ويؤيده ابو ذر تأييدا تاما :

« ثمة مبررات في الوطن العربي تقتضي تحديد مفهوم الثورة تحديدا علميا دقيقا · من هذه المبررات شيوع استعمال المعنى «المجازي» للثورة حيث تعني ضخامة الجهد او ضخامة الاثر ، ولقد ادى هذا الشيوع الى ان اضبحت الثورة تطلق على اداء الواجبات اليومية ولا تزيد عن هذا الا قليلا · ومنها اساءة استعمال كلمة الثورة لتغطية اعمال لا تمت الى الثورة بصلة · ومنها غموض المضامين التي تنسب الى الثورة · فالثورة التي هي تغيير جذري في المجتمع تجرنا الى السؤال عما هو الجذري · والجذري الذي هو اساس يحتاج الى معرفة ما هو الاساسي ·· وهكذا · كل هذا يفتح الباب واسعا لادعاء الثورية والتضليل باسم الثورة ·

« لهذا ينبغي ان تكون الثورة بمعناها الحقيقي معروفة لنا حتى لا نضل او نضلل · والمعنى الحقيقي للثورة هو تغيير النظام في المجتمع على وجه يحقق ارادة الشعب ، او اغلبه، من غير الطريق الذي يرسمه النظام القانوني السائد فيه· ذلك لانه في اي مجتمع مضامين اقتصادية واجتماعية وسياسية ، تكون معا مضمون علاقات الناس انفسهم · وفي كل مجتمع تصاغ علاقات الناس حول هذه المضامين في عديد من القواعد والقوانين العادية والدستورية تكون معاالنظام القانوني للمجتمع وكل نظام قانوني يتضمن طريقة قانونية ايضا ، او مشروعة كما يقولون ، لتعديله او تغييره ـ ويفرض ـ في الوقت ذاته ـ جزءا رادعا على محاولة تغيير العلاقات التي يحميها من غير الطريق الذي رسمه ، وينشىء ادوات الردع اللازمة لتنفيذ احكامه ·

« ولما كان النظام القانوني في اي مجتمع نظاما عامـا بمعنى انه للجميع ويخضع له الجميـــع طبقا للشروط التي يتضمنها ، فان مشروعيته قائمة على فرض ان المضـــامين والعلاقات التي صاغها فحماها تتفق مع ما تريده الجماهير التي تعيش في ظله او اغلبها ·

« الا انه يحدث ان يكون هذا الفرض غير صحيح · اما لانه نظام قانوني مفروض على ارادة الجماهير منذ مولـــده كتلك النظـــم التي يفرضهـــا الاستعمار على الشعوب التي يستعمرها ، فيرسم لها حدودها ، ويضع لها دساتيرها ، ويعين لها سلطاتها ويسن لها قوانينها ، ليوفر الحماية لمصالحـــه تحت ستار الشرعية ، واما لان المضـــامين الاجتماعية قـد تجاوزت عن طريق النمو والتطور اطارهـــا القانوني الثابت نسبيا ، فتصبح مصالـــح الشعب او اغلبيتـــه ، مجردة من الحماية القانونية ، وخارج اطار الصيغة التي يمثلها النظـام القانوني القائم ·

« عندما يسقط افتراض حماية النظام القانوني لمصالح الجماهير التي تكون الاغلبية ، يتجرد من الشرعيـــة ويبقى عدوانا على الشعب مصوغا في شكل قانوني ، ويصبح تغييره مشروعا · هنا ينقسم الناس عادة الى قسمين ، قلة رجعيـة لا يزال النظام القانوني المتخلف يوفر الحماية لمصالحها فتقف ضد اي تغيير فيه · وكثرة تقدمية تريد ان تغيره على وجـه يكفل حماية مصالح اغلبية الشعب · ثم يفترق التقدميـــون انفسهم حول اسلوب التغيير : فمنهم الاصلاحيون الذين يرون ان يلتمسوا التغيير عن طـــريق ذات الاسلوب الذي رسمـه النظام القانوني الذي يريدون تغييره ، يعدلون لائحة هنـا ،

ويضيفون نصا الى قانون هناك ، ليلائموا بين النظام القانوني ومصلحة الجماهير وتلك وسيلة ناجحة عندما تكون الجماهير قادرة فعلاعلى تغييرالنظام القانوني، اي فيظل الديمقراطية، عندما تكون القوانين من صنع الشعب خاضعة في وجودها والغائها لارادة الشعب فعلا · ولكنها وسيلة فاشلة تماما عندما يكون النظام القانوني ذاته قد جرد الجماهير ، اقتصاديا او سياسيا او اجتماعيا من المقدرة على تغييره ·

« هنا تكون قد توافرت الظروف الموضوعية للثورة ·

« وهنا تكون محاولة التزام احكام النظام القانوني السائد لتحقيق غايات الجماهير التزاما مثاليا عقيما ، ولا تبقى الا الثورة اسلوبا يلتزمه التقدميون الذين يسمون عندئذ « ثوريين » · وتكون مهمتهم توعية الجماهير المقهورة وتنظيمها وقيادتها لاسقاط اسس النظام القانوني المتخلف واعادة صياغته طبقا لمصلحة الجماهير ذاتها · اي تمكين الجماهير ذاتها عن طريق النضال الجماعي المنظم من استرداد مقدرتها على التغيير ، وتحقيق غايتها ، خارج اطار الاصلاح القانوني ·

« لهذا فان الثورة ليست رغبة جامحة ، ولكنها حل حتمي لمشكلة موضوعية خلقها النظام القانوني القائم · فحيث تسلب الجماهير المقدرة على تحقيق ارادتها ديموقراطيا ، لا يكون امامها الا طريق الثورة · ولهذا حق ما يقال من ان الثورة تعني دائما انها شعبية وتقدمية · وتخرج بذلك من عداد الثورات الانقلابات التي يلجأ اليها البعض لمجرد الوصول الى السلطة ولو عن طريق العنف · انها مجرد مخالفات دستورية ولو كانت عنيفة · كما تخرج اعمال العنف التي تلجأ

اليها الرجعية ضد الثوريين للابقاء على النظم غير المشروعة ، وهذا ما يسمى عادة « الثورة المضادة » • انه ارهاب •

« ومن المهم ان نفطن هنا الى ان العنف ليس شرطـــا للثورة • وان وقع فليس الثوريون مسؤولين عنه • ان العنف الذي قد يلجأ اليه الثوار اجراء مشروع لتجريد اعداء الثورة من المقدرة العنيفة على تثبيت نظـــام قانوني يجب ان يسقط لمصلحة الجماهير • ولما كان ذلك النظام القانوني ذاته يبيح العنف ضد الذين يحاولون اسقاطه ، فانه اعتداء ، قـــائم ، والرد عليه بمثل اسلوبه العنيف دفاع مشروع •

« تلك هي الثورة •

« بمجرد التزام المنطلق القومي التقدمي ، وطبقا لهــذا المفهوم المحدد للثورة ، يتضح ان الثورة هي الطريق الوحيد الى دولة الوحدة الديموقراطية الاشتراكية •

« ذلك لان الوجود الموضوعي للامة العربية كمجتمــــع قومي واحد يعني ان مقياس الضرورة الثورية هو مدى مـــا يبيحه النظـــــام القانوني في الوطـــــن العربي ككل من سبل ديموقراطية لتحقيق ارادة الجماهير العربية ككل • فقد قلنا ان الثورة هي البديل الحتمي عندما تسلب الجماهير مقدرتهـــا على التغيير ديموقراطيا •

« والواقع من النظام القانوني في الوطن العربي انــه مجموعة عديدة من الدساتير والقوانين ــ حيث توجد دساتير وقوانين ــ تجزيء الوطن الواحد الى دول عدة ، وتجسد هذه

التجزئة وتحميها · وهي لا تحميها بقوة الاقناع بل بالزجـــر الرادع من اول القتل شنقا الى النفي خارج الحدود · ومـــع ان بعض دساتير الدول العربية تنص على ان شعوبها اجزاء من الامة العربية فليس في اي دستور في اية دولة عربية نص على وحدة الوطن العربي ، او نص لا يعتبر الارض العربيــة خارج حدود الدولة ارضا أجنبية ، او نص لا يعتبر العــرب الوافدين الى الدولة اجانب قادمين اليها او مقيمين فيهـــا عرضا الى ان يعودوا الى « اوطانهم الأصلية » ·

ما معنى عربيــة ؟

هذا المعنى الاصيل للثورة لا يكفي ـ بمفرده ـ لوصف اية ثورة في الوطن العربي بأنها ثورة عربية · فالثورة قـد تكون اقليمية اذا ما توافرت شروطها وقامت في قطر عربي من اجل تغيير الواقع الاجتماعي فيه · والثورة الاقليميـــة لا تكون ثورة عربية لمجرد ان تحدد لها اهدافا تتجاوز حـدود اقليمها كأن تعلن مثلا ان غايتها الوحدة العربية انها حينئـذ ثورة عربية « بالنية » وليست بالفعـــل · انما تكون الثورة عربية ، ولو بدأت في اقليم ، اذا لم يكن الاقليم الا منطلقـا لها او احدى ساحاتها، اي الا اذا كانت هي في ذاتها محررة من الاقليمية ، محررة من اقليمية المنطلقات بأن تكون قوميـــة المعتقد · محررة من اقليميـــة الغايات بأن تكون وحدويـــة الهدف · ثم ـ وهذا هو الفيصل ـ محررة من اقليمية الاداة · بأن يكون تنظيمها الثورة واداة تحقيق غايتها الوحدوية قوميا في تكوينه البشري ونظامه الداخلي واستراتيجيته الحركيـــة ووحدة قيادته · انها خصائص الحركة العربية الواحدة التي يتوقف على وجودها امكان وجود ثورة عربية · اما استعمال

« الثورة العربيـــة » تعبيرا عن مجموعـــة من الثورات او الانقلابات القطرية لمجرد انها حدثت على الارض العربيــة ، الثورات او الانقلابات في اقطارها لمجرد انها تغير الواقـــع واستعمالها تعبيرا عن الانجـــازات التي تحدثها اي من تلك في كل قطر على حدة ، واستعمالها تعبيرا عن النشاطـــات الثورية او السلمية التي تعبر عن اهداف الثورة العربيـــة المرتقبة كما لو كانت واقعا قد تحقق مع ان اداتها لم تتحقق بعد ، واستعمالها للتعبير عن امال الجماهير العربية التـي تفتقد المقدرة على التحقق ثوريا لانها تفتقد التنظيم القـومي الذي يقودها في طريق الثورة ، فكلها استعمال لكلمة كبيرة استعمالا مجازيا لا يمثل شيئا عينيا في الواقع ·

هل ثمة ضرر في هذا الاستعمال ؟

نعم · ضرر يستحق تدخل ابي ذر ليننذر وهـو يعلـق على مقالين كتبهما كاتبان يستمع اليهما ويتأثر بهما الجيـل العربي الجديـــــد من الشباب العربي · وهو ضرر ذو وجوه عدة · اولها الا ينتبه الشباب العربي من الجيل الجديد الى التزامه التاريخي بأن يبني اداة الثورة ويشعل الثورة العربية· اذ لو كانت الثورة العربية متحققة لما كان ملتزما بالاعـــداد لها واشعالها· ثانيها : ان ينسب كل القهر والتـردي الـذي تعانيه الجماهير العربية الى الثورة العربية · اذ انها لو كانت متحققة ثم تقهر الجماهير وتتردى في ظلها لكانت ثورة فاشلة· ثالثها : ان يحجب عن وعي الجيل الجديد من الشباب العربي الهدف الاساسي للثورة العربية وهو تحطيم وسحق التجزئة الاقليمية · اذ لو كانت متحققة في ظل التجزئة لما كان ثمـــة تناقض بين الثورة العربية والتجزئة الاقليمية · رابعها ان تمد

في عمر الاوهام التي سادت دهرا وهي امكان قيام ثورة عربية باداة او ادوات اقليمية · اذ لو كانت متحققة بدون ان يكون التنظيم القومي لما كان التنظيم القومي لازما للثورة العربية ··· الخ ·

لا يمكن ان يغيب اي من هذه المعاني عن فطنة رئيس التحرير او الدكتور الدجاني ، وانما هما يكتبان عن الثورة العربية وفي ذهنيهما تكملة محجوبة لم تكتب · اعني ان ما كتباه انما هو جزء « بسيط » مما يعيانه · ولو كتبا كل ما يعيانه لسدا ثغرات المخاطر فيما كتب · ولكن الخطأ هنا هو ان الفكرة المكتوبة تنتقل الى القارىء مستقلة عن وعي كاتبها · ومن هنا فلا ينبغي للكاتب ان يفترض ان القارىء يعرف كل ما يعرف او يفكر كما يفكر · فعليه ، اذن ، ان استعمل كلمة « الثورة العربية » استعمالاً مجازيا الا يبخل على القارىء بجملة يضيفها ويقول فيها « انني اعني بالثورة هنا كذا » او « اعني بانها عربية انها كيت » ·· ذلك لانكم ـ ايها السادة ـ لا تخاطبون انفسكم بما تكتبوه بل تخاطبون الجيل الجديد من الشباب العربي · وهي مسؤولية تستحق الحذر ·

الوضعية المنطقية :

يقول الدكتور زكي نجيب محمود في كتابه «نحو فلسفة علمية » :

« انها لنكبة ثقافية كبرى تصاب بها الامة اذا سادت بين قادة الرأي فيها عادة التفكير على المنهج الارسطي الذي اسلفناه (المنطق الصوري) · لانهم عندئذ سيغوصون في بحر من الثقافة اللفظية الفارغة · انهم سيتمسكون بكل ما في

اوراقهم ودفاترهم ومجلداتهم من الفاظ ثم يصبح مجهودهم الفكري بعد ذلك هو ان يشرحوا هذه الالفاظ ثم يشرحون الشروح ثم يضعون لهذه الشروح هوامش شارحة يعلقون عليها بمجلدات في اثر مجلداتمع ان الالفاظ الاولى التي بنوا عليها هذا البناء الهش كله قد تكون زائفة بغير معنى ·· »

يقول ابوذر : كأن نبني افكارنا مثلا على اساس ان « الثورة العربية » متحققة · ما علينا · انما نريد بهذا التعليق على « عدد الكلمات » من الشورى ان نقدم الى الجيل الجديد من الشباب العربي فكرة مختصرة عن مشكلة التضليل اللفظي ومخاطر الكلمات الكبيرة المبهمة على حياة البشر · ليعرفوا اولا انها مشكلة غير مقصورة على كتاب الشورى ولا على العالم العربي بل هي في القمة من ازمة الفكر الانساني مما حدا بجماعة كثيفة العدد من الفلاسفة والمفكرين في انحاء العالم جميعا الى الالتقاء في مدرسة فلسفية حديثة ـ نسبيا ـ تحاول ابداع ضوابط محددة لاستعمال المفردات اللغوية لانقاذ الفكر الانساني من تضليل الالفاظ · ولقد انتهت جهودهم الى فلسفة تكسب كل يوم مزيدا من الاعتراف ويصيبها في كل يوم مزيد من التطور اسمها « الوضعية المنطقية » ·

عميد هذه المدرسة في الوطن العربي هو الدكتور زكي نجيب محمود ، الاستاذ السابق للفلسفة في جامعة القاهرة ، والفيلسوف المؤلف الكاتب الاديب المرموق

نشأت « الوضعية المنطقية » في جامعة فيينا (النمسا) على اثر تولي مورتس شليك منصب استاذية الفلسفة فيها ·

ولم يكن شليك فيلسوفا في الاصل بـل كـان عالما للطبيعـة حصـل على الدكتوراه في موضوع «انعكـاس الضوء على وسط غير متجانس» وكـــان استاذه عالـــم الطبيعة الكبير بلانك ، التفت حوله جماعة من رجال الفكر العلمي الذيـن يميلون الى الاتجاه الفلسفي في طريقة تفكيرهم · واصدروا في ١٩٣٠ مجلة فلسفية ثم امتدت افكارهم الى كثير من بلاد العالم وجامعاتها وخاصـة انكلتـرا والولايـــات المتحـدة الاميركية ·

اساس « الوضعية المنطقية » هو المنهج التجريبي الذي قال به لوك وهيوم ومؤداه ان الادراك الحسي هو السبيـل الوحيد للمعرفة العلمية · فاي شيء لا يخضع للتجربة الحسية ولا تدركه الحواس هو ببساطة غيـر موجـود · على هــذا الاساس اقامت مدرسة فيينا فلسفتها على محور البحث فــي دلالة اللغة وتركيبها · « بحيث يكون المعنى الوحيد في تحديد معنى كلمة معينة هو الشيء الذي جاءت الكلمة لتسميه » · « على ان الشيء الذي نريد الاشارة اليه باللغة قد لا يكون كائنا واحدا فردا بحيث تكفي كلمة واحدة او اسم واحد للدلالة عليه ، بل قد يكون واقعة مركبة من طرفين او اكثر تربطهمـا علاقة معينة فعندئذ تكون الاداة اللغويـة في تصويـر هــذه الواقعة جملة ، او ان شئت فقل « قضية » باصطلاح المنطق ، وها هنا يكون حكمنا بالصواب او بالخطا على « القضية » مرتكزا على مـا بيـن اجزائها مـن جهـة واجزاء الواقعة الخارجية من جهة اخـرى ، بحيث يجـوز ان نقـول عـن القضية حقا انها صورة للواقعة المراد تصويرها فان وجودنا انفسنا ازاء قضية لا نجد لها من وقائع العـالم ما تطـابقه ، حذفناها من جملة الكلام المفهوم اذ لا وسيلة لفهم قضيـة اخبارية الا بردها الى الواقعة المادية التي جاءت القضيـة

لتخبر عنها او تصورها » (نحو فلسفة علمية) ·

ويقول : « اننا نتطلب من العبارة ، اذا اراد قائلها ان تكون دالة على وجود فعلي تجريبي لشيء او اشياء في العالم الخارجي ان تكون كل لفظة في الفاظها ، اذا اريد ان يكون لها معنى موضوعي (ما عدا الالفاظ البنائية مثل « اذا » و « ليس » و « اذ » وما اليها) مشيرة الى مضمون من الخبرة الحسية بحيث يعرف السامع من دلالة اللفظة في خبراته الماضية من الوان وطعوم واشكال الخ ·· فاذا استخدم المتكلم كلمة « نهر » مثلا عرف السامع الى اي نوع من الخبرات الحسية يشير المتكلم بكلمته تلك · ·

« ولما كانَ » وضع « الامور في عالم الواقع هو وحده مجال البحث العلمي اطلق على النظرية العلمية اسم «الوضعية» فانكان «الوضع» القائم الذي يشغل الباحث عبارة عن عبارات اللغة او لفظة من الفاظها ، كانت « الوضعية » في هذه الحالة وضعية « منطقية » ومن ثم كان هذا الاسم (الوضعية المنطقية) ·

هذه هي الفكرة الجوهرية في الوضعية المنطقية · ان تصدق الكلمات في تصوير واقع يمكن اثباته · الكلمات ولو كانت جملا مفيدة محكمة المنطق لا تعني شيئا الا اذا كانت تعبر عن واقع عيني متحقق يمكن ادراكه · فالمنطق الصوري اذن لا يعني صدق اية قضية · وعلى اساس المنطق الصوري يمكن ان يقام بناء فكري كامل ، فارغ لا معنى له لانه لا يمثل شيئا في الواقع · وهو انتهاك واساءة استعمال اللغة · على هذا الوجه طرح الوضعيون المناطقة مشكلة « التسيب » اللغوي

او « استبداد » الحديث بكلمات مرصوصة منمقة « منطقية » في ذاتها ولكنها مجرد كلمات مقطوعة الصلة بالواقع ، اي كاذبة • ولسنا نريد ان نضيف دليلا الى ما يذكره الوضعيون المناطقة من ادلة على الكلمات والمقالات ، بل والمؤلفات ، التي لا تعني شيئا واقعيا ، يكفينا ما جاء في العدد الخامس من الشورى من احاديث عن « الثورة العربية » التي تحققت وانجزت في الوطن العربي • انما الذي يهمنا ـ الان ـ حتى تكمل الفكرة المختصرة عن تلك الفلسفة ان نعرف مدى ما استطاع اصحابها ان يقدموه حلا للمشكلة •

ان فشلهم يتمثل في محنة واحد من مؤسسي مدرستهم •

محنة فيلسوف شجاع :

لودفج فتجنشتين فيلسوف ولد عام ١٨٨٩ وتوفي عام ١٩٥١ • كان في الاصل مهندسا حمله اعجابه بتمين القوانين الهندسية الى دراسة الفلسفة الرياضية • اراد ان يخضع الفكر لقواعد من المنطق في مثل يقين واحكام وقوانين الرياضة • نشر في عام ١٩٢٢ كتابه « رسالة منطقية » •

قال :

«اللغة هي ناقلة الفكر • انها تهدف الى تقرير الواقع • وهو ما تحققه عن طريق تصوير هذه الوقائع • فلا بد لها من ان تكون شبيهة من حيث البنية بما جاءت لتصوره فالجملة المثبتة تكون صورة لاحدى حالات الواقع الممكنة • بنفس الطريقة التي يمكن للخريطة التخطيطية ان تصور بها معركة وان تصور بها ترتيب الاثاث في الغرفة • وهذا صحيح حتى بالرغم من شدة

زحـام اللغة الاصطـلاحية العادية بالمصطـلاحات الاتفاقية الخاصة وبالقواعد الجزافية • وهي امــور من شأنهـــا ان يتعذر معها تبين الجانب التصوري من اللغة ، تماما كما ان خريطة استراليا قـد ترسم بطريقة غريبة في رسم الخرائط تجعلها لا تبدو لنـا استراليا عند النظرة الاولى • علـى ان اللغة الكاملة ممكنة التصور كما انها ممكنة التركيب من حيث المبدأ • وفي مثل تلك اللغة على سبيل المثال تكون علاقـــة الاشياء الممكنة مصورة تصويرا واضحا تاما عن طريـــق استعمال اشتقاقي للغةولكنه استعمال مشروع وهو الاستعمال الذي نصوغ به تحصيلات الحاصل • ونمثل ذلك بمثل بسيط فنقول : اما ان تكون السماء ممطرة واما غير ممطرة • فهما علمان صحيحان صحة خالية من المعنى اذ هما ينبئان بشيء • اما فيما عدا صورة الواقعة الكاملة المعنى وتحصيل الحاصل المشروع مــع خلوه من المعنى فـلا يوجـد استعمال مشروع للغة • وكل محاولة تبذل لاستعمال اللغة على صورة اخرى لـن تكون الا هــراء • وبصفة خاصة تكون جميــع الاقوال الميتافيزيقية اشباه قضايا اي انها إنتهاك خـال مـن المعنى لاستعمال اللغة استعمالا صحيحا ما دامت اقوالا لا هي بالتجريبية ولا هي بتحصيلات الحاصل ؟••

واضح انه هنا قد ارسى نظرية الوضعية المنطقية •
ولكنه فوجيء بان نظريته الفلسفية هذه تؤدي الى ان تكون هي ذاتها هراء ميتافيزيقيا لا معنى لها • اذ ان التجربة الحسية هي المصدر الوحيد لصدق اية قضيــة فان القضيــة الاساسية في الوضعية المنطقية تكون كاذبة • ذلك لان القضية التي تمثل منطلق النظرية وهي « ان اللغة هي ناقلة الفكــر وانها تهدف الى تقرير الواقع وهو ما تحققه عن طريق تصوير

هذه الوقائع فلا بد لها من ان تكون شبيهة من حيث البنية بما جاءت لتصوره » • هذه القضية ، هي مقولة قبلية ميتافيزيقية لا يمكن اثباتها بالتجربة الحسية ومع ذلك فهي اساس فلسفته كلها • وعلى هذا وجد فتجنشتين نفسه امام هذا الحرج •ان صحت فلسفته فهي ليست فلسفة صحيحة •

ماذا فعل ؟

نشر كتابه في الفلسفة ثم التزم فكره مسلكا فاعتزل الفلسفة لانها هراء لا معنى له ••

هكذا طرحت الوضعية المنطقية مشكلة واقعية تحرضنا على الحذر من استعمال الكلمات مقطوعة الصلة بالواقع ، ولكنها فشلت في حل المشكلة • لان منهجها الى الحل كان خاطئا • فليست التجربة الحسية هي الطريق « الوحيد » للمعرفة • ولا تقل الميتافيزيقية المادية بعدا عن العلم عن الميتافيزيقية المثالية •ايا ما كان الامر فاننا في حاجة الى الحذر الشديد من كذب الكلمات سواء كنا كاتبين او قارئين • وما يزال بعض الكاتبين في الوطن العربي في حاجة الى مثل شجاعة فتجنشتين •

ماساة ابي ذر

يؤمن ابوذر ايمانا مطلقا بان « الاكتفاء » بالحديث عن الحرية والوحدة والاشتراكية والثورة العربية وفلسطين المغتصبة •• الخ ، قد اصبح عارا وضررا • وبأن قد سقطت

قيمة الكلمات اذ انتهكت مضامينها واهترت الفاظها فالحرية عبودية والوحدة انفصال والاشتراكية استغلال والثـــورة العربيــة استرخاء عـلى صفحات المجـلات في حقل مـــن المبارزات الكلامية وفلسطين المغتصبة قد حملت سفاحـــا ووضعت « خيانة » ·· هكذا يؤمن ابوذر · ولكنه ـ وهــذا جوهــر ماساته ـ « عاجز » عـن تجسيد هــذا الايمــان الا بالكلمات المرصوصة على الورق يبذل فيها جهدا ضائعا · ويتقزز ابوذر من الشعور الزائف بالرضى عن النفس الذي يتلو رص الكلمات · ومع ذلك ، فهو لا يستطيع ان يديـــن الكلمات الكبيرة الا بكلمات آكبر · لا يستطيع ان يحارب العار الا اذا شارك فيــه · لا يستطيع ان يلتــزم افكاره الا اذا الغاهــا ··

من يعرف منكم عذابا اكثر هولا من هذا العذاب فليقل عسى ان يكون فيما يقول عزاء · اما الذين لا يعرفون فليصلوا من اجل ابي ذر عسى ان يمنحه الله شجاعــة فتجنشتيــن او بعض شجاعة الغفاري فيصمت او يعتزل ·

الم اقل من قبل ان اسباب القطيعة بين الشورى وبيني تتراكم وتنبىء بفراق قريب ·

فليهدأ ـ اذن ـ رئيس التحرير فان ما يخصه من تلك الاسباب لا يعدو انه يتصرف على اساس ما « يعتقده » لا على اساس ما هو « واقع » · وليس في هذا شيء جديد ، علينا

نحن الذين نسمي انفسنا قوميين تقدميين · انه جزء من محنة القطيعة المأساوية بين الفكر والممارسة ايا كان المضمون ·

اما ابوذر فهو يحاول ان يجد شجاعة الافلات من عذابه ·

والسلام عليكم ورحمة الله ·

القاهرة في ١٠ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٥

الفهرس

صفحة

صفحة

صفحة